كلمة افتتاح

الملتقى الرابع عشر للفكر الاسلامي

للسيد

عبد الرحمن شيبان

وزير الشؤون الدينية

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمد النبي الكريم

معالي السيد الوزير الأول،
السادة الوزراء،
سادتي العلماء،
أبنائي الطلبة وبناتي الطالبات،
السلام عليكم ورحمة الله..

وبعد فيسعدني أن أرحّب بكم، ضيوف الجزائر، وأبناءها، يا من قدمتم خير مقدم؛ تلبيةً لدعوتها، وهي تسعى سعياً حثيثاً في طريق البناء والرقيّ، والعزّة والكرامة؛ على هدي من العلم والإيمان، بالتآخي والتضامن مع أبناء الأمة الإسلامية في السرّاء والضرّاء؛

وَبالتعارف وَالتعاون مَعَ أبناء الإنسانية في الشرق وفي الغرب، عَلى أساسٍ من العَدل والإحسَان والإحترام المتبَادل.

إننا نجتمع في هَذا الملتقى الرابعَ عشر للفكرُ الإسلامي؛ بعاصمَة الجمهورَيّة: الجزائر، مَدينَة المقاومَة العَنيفة طيلة قرون كثيرة، حَملت فيها راية الإسلام، وَتحطمت - عَلى صخرتها الصّلدة؛ وعَزيمة أهلهَا الصّلبة - كل حَملات الطغاة البغاة الطامعين، ممن أرادوا بلعهَا، أو مَسخها، أو بترها من جسم أمة الإسلام، وَربّما زيّن للإستعمار وسَدنته الغرور؛ والطغيان، وَالجَهل بحقائق التاريخ؛ وَخصَائص الشعوب أن يعلن في احتفالات العيد المئوي لاحتلال الجزائر: "أن الجزائر قد تحولت عَن وجهَتها العربيّة الإسلامية، وأنها غَدت قلعةً لدين، غير الإسلام، واللسَان، غير لسَان القرآن؛ وإذا بالإرادة الإلهيّة تسفّه أحلام الطغاة؛ وتقيض عَبد الحَميد بن بَاديس ليوَاجهَ التحدي ويعبّر، بصدق وقوة، عن حقيقة الشعب الجزائري وعقيدته بقوله:

شعبُ الجزائرِ مسلمٌ ، وإلى العروبةِ ينتسب
مَن قال حادَ عن أصلِه ، أو قال مات فقد كذب
أوْ رامَ إدماجًا له ، رامَ المحالَ من الطلب

وَإذا بالصّبغة المزيفَة - بفضل الإيمان والجهاد - تمحى وَتزول ، وإذا بالصّبغة الإسلامية الأصيلة تبرز مشرقة وضاءة ؛ خالدة على مرّ الزمن إن شاء الله .

ولقد اخترنا الجزائر مقرًّا لهذا الملتقى ؛ لما يوجد فيها من وسائل قد لا تكون كاملة في غيرها ؛ مما يضمن الراحة للملتقين ، بعد أن طوفنا بهم مدة سبع سنين في الآفاق مشرقين ومغربين ، متهمين ومنجدين ؛ وفي مهامه الصّحراء وقفارها مغامرين .

فمن تيزي وزو عاصمة جرجرة ومَعقل الجهاد والقرآن المبين ، إلى بجاية عاصمة الحماديين ، وَمن تلمسان الزيانيين ، إلى عنابة قلعة الصّناعة وروضة الرّياحين ؛ ومن ورقلة ينبوع الطاقة وباسقات النخيل ، إلى باتنة عاصمة الأوراسيين ، أباة الضيم ، وأسود العرين ؛ وأخيرًا إلى تمنراست مدينة الهقار ومَعقل الأبطال الملثمين .

أيها السادة .

إن الهدف من عقد هذه الملتقيات هو بالدرجة الأولى نشر الوعي في الشباب وتوجيهه الوجهة الصالحة، وتدريبه على تنظيم الاجتماعات والاستفادة من مختلف الخبرات؛ والدعوة إلى الحق بالحكمة والبرهان؛ والجدال بالتي هي أحسن.. في جو علمي راق؛ تتجمع فيه شخصيات عالمية بارزة شرقية وغربية، قد يكونون مختلفين في جنسياتهم ولغاتهم، وألوانهم وأوطانهم، وأديانهم ومذاهبهم؛ إلا أنهم متحدون في البحث عن الحق، واحترام الفكر، والإخلاص للعلم، وبذله بسخاء لمن طلبه .

إننا بهذه الملتقيات نتيح الفرصة، كل سنة، لجمع كثير من شبابنا؛ طلاب وطالبات جامعاتنا وغيرهم؛ أن يستمعوا إلى محاضرات هؤلاء الأعلام؛ وما يتبعها من تعقيبات ومناقشات، وأسئلة وأجوبة، ثم نتيح لهم الفرصة، ثانية، أن يقرأوا كل ذلك، في هدوء وتمعن؛ مطبوعاً في كتاب، أو منشوراً في مجلة، أو ملخصاً في مقالة، أو محللاً في بحث، أو معاداً في إذاعة أو تلفزة .

وهكذا أصبحت ملتقياتنا تحتل مكانة سامية في أوساطنا الثقافية والشعبية، وتسترعي اهتماماً بالغاً

من الحزب والدّولة ووسائل الإعلام، مما جعل ولايات الجمهورية تتسابق إلى طلب عقدها في عواصمها.

أما في الخارج فإن هذه الملتقيات تتمتع بسمعة كبيرة بفضل من شاركوا فيها من العلماء والدارسين، وما تحدّثوا به أو كتبوه عنها، بفضل ما نشرنا من أعمالها من محاضرات وتعقيبات، وبحوث ودراسات.. باللغة العربيّة وبالفرنسيّة، في مجلدات تطالب بها المكتبات العامة، والشخصيات الثقافية في مختلف أنحاء العالم، مما يوجب على الوزارة بذل جميع ما في وسعها في نشر ما تأخر من أعمال الملتقيات السّابقة.

ولعل السّر في النجاح الباهر لهذه الملتقيات، هو ما تمتاز به من جدية، ومن حريّة في القول، واحترام للرأي، ومن مناقشة صريحة في نطاق آداب البحث والمناظرة، ومراعاة الموضوعية في الحديث والمحاورة، والتزام النظام من جميع المشاركين، أساتذة وطلاب ومسيّرين.

أيها السّادة..

لقد عالجت ملتقياتنا السّابقة موضوعات مختلفة، مفيدةً هادفةً، خاصة أو عامةً، إسلاميةً أو عربيّة،

وَطنية أو إنسَانية عالمية، علمية أو دينيَة أو اجتماعية أو تاريخية، عصريّة أو قديمَة، مما يجعَلها حَرية باهتمام الدارسين، واتخاذها أطروحَات للجامعيين، ومَصَادر لمعرفة الفكر الإسلامي، والتعريف به من الدعاة والباحثين.

وقد تضمَّن ملتقانا الرابع عشر برنامجًا حَافلاً، اشتمل علىٰ موضوعات أربعة:

أولهَا: "الونشريس قلعة من قلاع العلم والنضال"

والونشريس سلسلة جبال شاهقة، من سلاسل الأطلس التليّ؛ ذات المناظر الخلابة والخضرة الدائمة الشائقة، والأشجار الباسقة. تقيم فيهَا أو تحفّ بهَا قبائل جزائرية أصيلة، وكان الونشريس منبت أبطال كثيرين في شتى الميادين، نكتفي بذكر اثنين منهم:

أولهمَا: أبو محمّد عبد الله المعروف بالبشير، رَجل العلم والدعوة وفن القتال، عَاش أثناء القرن السّادس الهجري، وصَحب المهدي ابن تومرت، وعَبد المؤمن بن علي، وقاد الجيوش الأولى لتأسيس دَولة الموحّدين.

والثاني: انتسبَ إلى الونشريس، وَعاش أواخر القرن التاسع وأوائل العَاشر من الهجرة النبَوية، وكان

رَجل العلم والبحث والتأليف، وَهو أبو العبّاس أحمَد بن يحيي الونشريسي، صَاحب التآليف الثمينة، التي منها كتابه الشهير: "المعيَار" الذي جَمَع فيه فتاوي علماء الأندلس وأقطار المغرب، وترك ثروة نفيسة لمن أراد أن يَدرسَ الحالة الدينيَة والاجتماعية لأهل هَذه الديار.

وأثناء حَرب التحرير الوطني كان الونشريس وأهله - كغيره من الجبَال - عَرين أبطال المقاومة والجهَاد؛ فهو لماضينا المجيد، وعَهده الجديد، يَستحق اهتماماً من علمائنا، ليعرفوا به الشبَاب والأجيَال.

وثاني الموضوعَات عنوانه: "الإسلام والمذاهب الاجتماعية الحَديثة"

إن الاسلام هو دين الله الذي لا يقبَل غيره "وَمَن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وَهوَ في الآخرَة من الخاسِرين"

إنه دين جميع الأنبيَاء والمرسَلين، من لدن آدم إلى خاتم النّبيئين محمّد صَلى الله عليه وَسَلم.

وقد سَعدت به الإنسانية وسَمت، وخرَجَت من الظلمات إلى النور؛ ثم تكالبت الأمم علىَ الإسلام وأهله، وأججت الحروبَ ضده؛ لمحو حَضارته، فَنالت مِن

المسلمين، وكانت بذلك وَبالاً على الإنسانية؛ إذ حرمتها مما في الحَضارة الإسلاميّة من عَدل وَرحمَة وإحسان .. وَطال على الجميع الأمَد؛ فقسَت القلوبُ، وَران عَليهَا الكدَر، واشتدّت الظلمات، وَتعرض الناسُ للظلم والجُور، والجَهل والجوع، والعري والطغيان؛ فالتمسوا مخارج تقيهم من المهالك؛ ونبتت فيهم مذاهب حَديثة: فلسفية واجتماعية، اقتصَادية وسيَاسية؛ أرادَ بهَا دعاتها إنقاذ الإنسانية من الويلات المتنوعة التي كانت تعانيهَا؛ فَنشأ عن هَذه المذاهب ثورات عَارمة: كان لبعضها انتصارات سَاحق في الميدان المادي؛ إذ كانت سَبباً في رقي أقوام نهَضت بهم من الحضيض إلى القمّة، وتفوقوا على غيرهم في الصّناعة، والتجارة، والفلاحة، وفنون الحَرب، وبلغت بهم إلى القمَر والسّبح في أفلاك السّمَاء، وفرضت هَذه المذاهب نفسَها على المجتمع البشري، وصَار إهمالها وإغفالهَا شأنها فعلَ النعامة أمام الصّائدين؛ فلابد من دراستها بموضوعية واهتمام، والانتفاع ببعض ماجاء فيهَا مما يوافق الإسلام، بحيث إن طبقناه كنا لم نخالف شيئاً من مبَادئ وقواعد دينِنا، وما كان فيهَا مما يصَادم

روح الإسلام ويتنافى مع نصوصه الصحيحة الصريحة، وأحكامه القاطعة، نبذناه وأعرضنا عنه عن هدى وبصيرة.

إن بيدنا ميزان صدق، يعدل ولا يحيف، نزن به ما يجدّ من المذاهب والمبادئ والأحكام، ذلكم الميزان هو كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلّم، وكل أئمة المذاهب الإسلامية، من المجتهدين، أوصى أن يعرض كلامه عليهما: فما خالفهما ضرب به عرض الحائط، وإذا كان هذا حالنا مع المذاهب الإسلامية، كنا أجدر وأولى برفض ما خالف ديننا من مذاهب قديمة أو حديثة، غربية أو شرقية: لأن ديننا لا يخالف، في كلياته ومبادئه، شيئاً صالحاً للحياة، وما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وقد كمل الدين وأتم الله به النعمة على المسلمين: «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً» وإنما يرضى الله لنا أن نكون، في دنيانا وأخرانا، خير أمة أخرجت للناس؛ وحاشا لله أن يرضى لنا الضعف والهوان، والجهل والخصاصة، والتخلف عن ركب الأمم بكل مظاهره وأشكاله؛ أو نكون عالة على فتات موائد الأمم، أو طعمة

لأعدائنا، ينهبُون خيرَاتنا ويَستذلون رقابنا؛ ويحقّقُون مخططاتهم بطاقاتنا البشرية والمادية؛ بل يأمرنا بالجهَاد في مَيدان الحيَاة، ومغالبة الآلام عليها، ويعلمنا أن ذلك سنة الله في الكون: «ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لفسَدَت الأرض»

إننا نعيش في عالم اشتدّ فيه السّبَاق بين الشعوب والأمم، لتحقيق التفوّق في كل ميادين الحيَاة...؛ فإغماض العيَنين عمّا يجدّ فيهَا، من ابتكارات ونظم وتيَارات، حماقة؛ وقبول كل شيء جَديد، من غير تمحيص، ضلالة وخذلان؛ فالإسلام شريعَة لا إفرَاط فيهَا ولا تفريط. والمسلمون أمة وسط تزن كل شيء بالموازين القسط، وتأخذ بالصّالح المفيد؛ وتنبذ الشر والفسَاد؛ دُون أن يؤثر فيهَا مَصدر ما تأخذ ومَا تذر، أشرقيًا كان أم غربيًا، هَذا هو سَبيل الفلاح والنجاح.

إن الإسلام - بمَبادئه السَّامية - هو المحرّر الحقيقي للإنسان من العبودية الروحيّة والماديَة. وقد كان أداة احتفاظ الشعوب الإسلامية بشخصيتها طوَال ابتلائها بطغيان الإستعمار؛ ثم كان السّلاح الفعّال في استعادة حريتها واستقلالها.

وَفي الميثاق الوطني للجزائر تسجيل لهذه الحَقيقة، إذ يقول: " الإسلام هو الحصن المنيع الذي مكّن الجزائر من الصّمود في وجه جميع محاولات النّيل من شخصيتنا، فقد تحصّن الشعبُ الجزائري بالإسلام: دين النضال، والصّرامة، والعدل، والمساواة؛ واحتمى به في أحلك عهود السّيطرة الإستعمارية، واستمدّ منه تلك الطاقة المعنوية، والقوة الروحية التي حفظته من الاستسلام واليأس، وأتاحت له أسباب الانتصار"؟!

وفي هذه الحقيقة الواقعية التي أعلنها هذا النصّ من الميثاق الوطني تسفيه لأعداء الإسلام: من المستعمرين المستغلين، أو الجاهلين المغرورين؛ أو الملحدين الماديّين، الذين يرمونه بالسلبية والتحجّر والتأخر، ويقولون: إن على المسلمين إذا أرادوا الخروج من تخلفهم، والانطلاق في ركب المتقدمين أن ينبذوه.

ولقد أدرك كثير من المصلحين الاجتماعيين، في عصرنا، أن هذه المذاهب الاجتماعية الحديثة، على اختلاف فلسفاتها ومنابعها، لم تحقق للإنسان ما ينشده من سعادة وانسجام في حياة الأفراد والأسر والجماعات، مما جعلهم ينادون: "أين البديل الذي ينقذ الناس من الحيرة واليأس والضياع"؟

وَعنوان ثالث الموضوعات: " آفاق الدعوة الإسلامية في القرن الخامس عَشر الهجري"

إن الدعوة الإسلامية استمرارٌ لتَبليغ رسَالة محمد صلى الله عليه وسَلم إلى العَالمين. قال تعالى: "قل هَذه سَبيلي أدعو إلى الله على بَصيرة أنا ومن اتبعني، وسبحَان الله وَما أنا من المشركين" فعَلى الداعية المبلغ أن يلتزم بأسلوب الدعوة إلى الله بالحكمة، والموعظة الحسَنة، والجدال بالتي هيَ أحسَن؛ وعَلى المسلمين أن يكونوا في المستوى المادي والروحي والخلقي الذي يجعَل دعوتهم مَقبولة، وَحتى لا يكونوا، بانحطاطهم وسوء أحوالهم، حجة على الإسلام وفتنة لغيرهم: "رَبنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا".

والفرصَة موَاتية لنجاح الدعوَة الإسلامية، وقبولها في الآفاق كلهَا، لما نراه من إقبال عَظيم من ناشئتنا عَلى الإسلام، يدرسُونه، وعَلى الشعائر يعظمونهَا، وعَلى الأركان يؤدونهَا بإيمان وحماسَة، ولما نراه من جماعات كثيرة من غير المسلمين، في مختلف أرجاء العالم يدخلون في دين الله أفواجًا، ملتمسين فيه البديل عَن المذاهب الاجتماعية، والعقائد الفلسفية التي كانوا عليهَا، لعَجزها عن هدَايتهم وإدخال الطمأنينة في نفوسهم.

إننا في هذا القرن الخامس عشر سنرى تطورًا في الحياة البشرية، يوجب علينا استيعاب الماضي، وأخذ العبر من أحداثه وطوارئه، ودراسة المذاهب الاجتماعية الحالية دراسة موضوعية، على أساس نتائجها الحقيقية ودوافعها الظاهرة والخفية في أصول الإسلام الثابتة ..

إن على الدعاة أن يفهموا الإسلام حق فهمه، ويتعمقوا في مقاصد تشريعه؛ ليستنبطوا، من أصوله وكلياته، الحلول الصحيحة لمشكلات وتطلعات الإنسان في القرن الخامس عشر؛ في حياته السياسية والاجتماعية، والثقافية والاقتصادية.

عليهم أن يساهموا في "استنباط" نظام اقتصادي مالي جديد؛ يسوده العدل، ويخلص العالم من شرور الاحتكار والاستغلال، بمحو الفروق المجحفة بين الأغنياء والفقراء، والأقوياء والضعفاء، في الشرق وفي الغرب، وفي الشمال والجنوب.

أما تفصيل الحديث عن أسس الدعوة الإسلامية، وأساليبها، ووسائلها، ومراحلها؛ فذلك ما تعبر عنه المحاضرات والتعقيبات التي تعالج هذه النقطة من جدول ملتقانا.

أما الموضوع الرابع والأخير فعنوانه: "فلسفة التربية في الإسلام".

ومن واجبنا أن نهتم بالتربية، ونختار أكمل وسائلها لنكون نشئاً صالحاً للحياة ليسعد في الدنيا وفي الآخرة. وقد اعتنى الإسلام بالتربية أيَّما عناية؛ لأنها أساس النجاح في الحياة إذا أحسنت، وعامل الخيبة إذا أهملت أو أسيئت؛ فالطفل يولد على الفطرة، وأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه، كما صحّ في الحديث؛ ومن أول ما نزل من القرآن الكريم قوله تعالى: "ألم يجدك يتيماً فآوى، ووجدك ضالا فهدى، ووجدك عائلاً فأغنى، فأمَّا اليتيم فلا تقهر، وأما السَّائل فلا تنهر، وأما بنعمة ربّك فحدّث"، وفي سورة التحريم قال سبحانه وتعالى: "يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً"،

والوقاية تكون بالتربية الصّالحة؛ فلو التفت كل إنسان إلى نفسه وأهله، فالتزم الاستقامة، وألزم أهله بها لكانت الأمة صالحة طيبة، وفي الحديث الشريف تكليف الأولياء بأمر أولادهم بالصّلاة لسبع وضربهم عليها لعشر، والتفريق بينهم في المضاجع. ولا يخفى ما في الصّلاة من تربية شاملة للبدن والفكر والروح،

بما تقوم عليه من طهارة وتدبّر وخشوع؛ وفي رسالة عمر بن الخطاب إلى أهل الشام الحث على تعليم الأطفال الرماية والسباحة، وركوب الخيل، وكانت العرب تصف الرجل بالكامل متى كان كاتبًا، سبّاحًا، راميًا، فارسًا.

إن علينا أن نجعل تربيتنا لأبنائنا، في الأسرة والمدرسة والمجتمع، قائمة على أساس متين، من الدين القويم والخلق الكريم؛ لأن أحسن فلسفة تقوم عليها التربية في الإسلام هي التي تكوّن لنا عضواً صالحاً للمجتمع المتطور؛ يتكيف مع تطوّر مجتمعه نتيجة لعوامل داخلية وخارجية؛ ولكنه يظل، دائماً وأبدًا، المؤمن العامل بأحكام شريعة الله التي جاء بها محمد بن عبد الله صلوات الله عليه وسلامه في كل زمان ومكان.

هذه هي موضوعات هذا الملتقى، وقد رأينا أن الإسلام كان محورها كلها، لأن في الإسلام حياتنا، وخلاصنا، وعزتنا، وتقدمنا، أمس واليوم وغدًا.

إن القرآن الكريم هو كتاب الإسلام الخالد مبينًا بالسنة الصحيحة، مفسرًا من السلف الصالح، والأئمة المهتدين القدماء منهم والمحدثين، فما دام القرآن في المسلمين يتلونه، ويتدارسونه، ويتدبرون آياته في الأنفس وفي

الآفاق، ويعملون بأحكامه في حياتهم، ويجعلونه أساساً في التربية والتعليم والتكوين والتشريع فهم لا يضلون، ولا يذلون، وفي طريق الفلاح والنجاة سائرون، وفي كل معركة يخوضونها بفضل الله منتصرون.

أيها الإخوة الكرام

أيمكن أن نختم كلمتنا دون أن نعرج على مأساة فلسطين؟ إنها المأساة يجب أن تخجل منها الإنسانية جمعاء؛ ففي هذا العصر الذي منحت فيه الشعوب الحق في تقرير مصيرها بنفسها، وبعد هزيمة الفاشية والنازية العنصريتين، يشاهد العالم ويقر طرد شعب من وطنه، لتحل محله عصابات غريبة من شذا ذ الآفاق، لا رابطة بينهم إلا فكرة جهنمية عنصرية مبنية على دعوى باطلة، وتعصب ديني مقيت، يرتكبون - أمام سمع العالم وبصره - أشد الجرائم وأبشعها، ضد الرجال والنساء والشيوخ والأطفال، وضد معالم التاريخ، ومقدسات جميع الأديان؛ ومع ذلك يجدون الدعم القوي، بالمال والسلاح والحماية، من أكبر قوات العالم عسكرياً ومالياً واقتصادياً، في حين أن الفلسطينيين أصحاب الحق إذا قاوموا المعتدين المحتلين وجدوا من

يَستنكر أعمالهُم، ويَصفهم بالإرهابيين؛ وإذا بَان حَقهُم وأقاموا حجتهم فإنهم لا يجدون من المجتمع الدّولي إلا قرارات لا تنفّذ، وتوصيات فاترة لا تسمع، أو تحسّراتٍ وآهاتٍ من الأولياء والرحماء لا تسمن ولا تغني من جوع.

إن قضية فلسطين، ليسَت قضية الفلسطينيين وَحدهم، ولا قضية العَرب وَحدَهم، ولكنهَا تراث وأمانة في أعناق جميع المسلمين. وإنه لقبيح وغريب أن تغلبهم عصابة الصّهيونيين.. أن على المسلمين أن يجاهدُوا - فعلاً - بأموالهم وأنفسهم لتحرير فلسطين؛ واسترجاع المدينة المقدسّة، وحماية المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين.. ولا يَرُوعَنهم أن يكون ضدهم أكبر قوات العالم؛ فإن الحَقّ حَقّهم؛ فليثبُتوا، وليصبرُوا، وليُصَابروا؛ والعاقبة لهم.. وإن في بَلدهم الجزائر عبرةً وأسوةً حسَنةً لهم، فقد دَاومت المقاومة نحو قرن وثلث، ولم تعترف أبداً للعدوّ بدَعاويه في امتلاكها، وَضم أرضها إلى أرضه، بالرغم عن اعتراف العالم بالملك المغصُوب، حتى جاءها نصر الله الذي وَعدَ به المؤمنين المجاهدين "يا أيّهَا الذين آمنوا إن تنصرُوا الله ينصركم، ويثبّت أقدامكم" وقد أعان على

هَـذا النصْر العرَب والمسلمون وأنصَار الحرية والحَق في العَالم، من كل جنس ومن كل دين.

إن لدى المسلمين أسلحة فعالة تمكنهم من كسْب المعركة، وإجبَار المعتدين والمظاهرين لهم على الاذعان للحق، وترك الأرض لأصحَابهَا الشرعيّين، منها سلاح النفط والغاز وغيرهما من المواد الأولية، وسلاح الأسواق التجَارية؛ ثم هَذا التفوق البَشري السَّاحق الذي لو صَاحَبَتْه العزيمة، لضمن لأهله الانتصار. أفلم يوجب الله على الواحد من المسلمين أن يثبت في مَيدان القتال لاثنين على الأقل من أعدائه؟ فمن المخجل حقاً أن يغلبهم اليهود ونسبتهم إلى المسلمين واحد على تسعين.

فمَا على المسلمين إلا أن يُعدّوا قواتهم، ويوحّدوا كلماتهم، ويُنظموا صُفوفهم، ويَنصَحُوا لِلَّهِ ورَسوله في جهَادهم، ويتآخوا ويتحدُوا ولا يتفرقوا مهمَا تبَاينت مَصَالحهم الخاصّة، "فإن الأخوة في الله فوق مَا يقبل ومَا يـرد، والاختلاف في الشيئ الخاص لا تمس رُوح الأخوة في الأمر العَام". كما نادى بذلك الإمام عبد الحميد بن باديس منذ خمسين عامًا.

أيهَا الإخوان

نرجو أن تكون أيّام الملتقى الرابعَ عَشرَ أيّام أخذ وعَطاء من الجميع في ميدان الفكر الإسلامي، فإن غاية النقاش والمحَاورة إنما هيَ الإقناع وتبادل المعارف والمعلومَات، ولا نحقق ذلك إلا متى التزمنا جَميعًا الصّبر والنظام والطاعة للمسيرين والاستماع باهتمام إلى المتكلمين.

والله أسأل أن يوفقنا في أعمالنا ويهدينا سَوَاء السّبيل

والسّلام عليكم ورَحمة الله تعالى وَبركاته

الاسلام والمذاهب الاجتماعية الحديثة

كلمة د٠ أحمد طالب الابراهيمى
عضو اللجنة المركزية والوزير لدى
رئاسة الجمهورية

بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ٠

أيها الاخوة ٠٠٠ أيتها الاخوات ٠٠٠

السلام عليكم ورحمة الله ٠

لقد تعذر علي الحضور معكم فى هذا الملتقى الاسلامى الكبير ، وعز الغياب التام على مشاركتكم فى حوار فكرى اسلامى ، أعتبر نفسى معنيا به ، وأراه وسيلة ايجابية لضبط أسس الحقيقة الاسلامية ، وتوضيح ينابيعها الصافية للاجيال الصاعدة واللاحقة لكي لا يحصل الاغتراب وتمرض الشخصية بالانفصام، والذاكرة بالنسيان ، وتقع الكارثة ، ويفوت أوان مواجهتها ٠

ولهذا ، اسمحوا لى أن أصافح أفكاركم ومشاعركم بخواطر فكرية اسلامية ، أرجو أن تجد صداها لديكم، ولا أكتمكم اعتقادى ان الفكرة ، مهما كانت ثرية ، لا تنفع الا اذا خرجت من عالم المثل الى ميدان العمل والتطبيق، فمنه قيمتها ، وفيه يدرك الناس صلاحها أو فسادها ٠ واذا كان كل شىء لا يحيى ولا يتطور الا بالاستعمال فان المبادىء الاسلامية نفسها لا تحيا الا بالتطبيق ، ولا تعالج مشاكل العصر الا بالممارسة والمعايشة والاحتكاك بوقائع الحياة ، أما « الايمان الافلاطونى » فخيال شاعرى لا يكون له أي أثر فى الواقع الانسانى المضطرب ٠

لا يخفى عليكم ـ أيها الاخوة ٠٠ ـ أن القرن الماضى شهد ظهور تيارات فكرية وسياسية كثيرة ، لم تلبث أن تقولبت فى مذاهب اجتماعية ، اقتسمت القوى البشرية ، وعصفت رياحها بأركان الانظمة القديمة ، وانقلبت فى مذاهب اجتماعية اقتسمت القوى البشرية ، وعصفت رياحها بأركان الانظمة القديمة واحدثت انقلابا جذريا فى شتى الميادين ، غيرت مجرى التاريخ ، وأجبرته أن يعيد تنظيم خريطته السياسية والاقتصادية والاجتماعية على قواعد جديدة ، وبعثت فى الحياة حركة وعي ويقظة واسعة ، فتحت عيونها على الواقع المحيط بها ، وحببت اليها الحرية والعدالة والتقدم، ورغبتها فى اعادة بناء المجتمعات على أسس أفرزتها تجاربها ورمتها فى

أحضان النضال والتضحية حتى تكون الدولة مؤسسة اجتماعية ، قوامها العدل والتعاون والتفاهم والانسجام ٠

ثم مرت الايام ، تتعقبها الشهور والاعوام ، ونضجت المبادىء ، واتسعت المشاريع والاهداف ٠ واحتد التنافس والتسابق ، واصطدمت المصالح ، وانقلب ذلك الصدام الى صراع عنيف، غرز جذوره فى أكثر من مكان ، وانقسمت المذاهب على نفسها الى فرق وشيع ، وأخذ كل مذهب لون البيئة التى يعيش فيها ، وتطبع بطبيعتها ، وانحلت القيم الاخلاقية ، وتطورت العلاقات الانسانية ، واعتراها صدام هنا وانسجام هناك ، وبعد مرور وقت تغيرت المفاهيم ، ولم تبق تلك المذاهب مجرد أسلحة فكرية وثقافية واجتماعية للتجديد ، بل صارت أعمدة ايديولوجية ترتكز عليها الاتجاهات السياسية ، ومناهج تعتمدها الجماعات والامم فى حياتها ، وحصونا تتحصن بها فى المحافظة على ذاتها ، ورد العدوان الخارجي عليها ٠

وحين يراجع الانسان اليوم أصول هذه المذاهب ، ويدرس مبادئها وقوانينها يجدها كلها أو بعضها جعلت الدعوة الى الاشتراكية محور نشاطها وعمدة تجربتها ، وسلاحها فى معاركها ودعواتها ، وان اختلف مفهومها وتعدد ، اختلاف المذاهب نفسها وتعددها لذا فان موضوع الاسلام والاشتراكية جدير بالدراسة والتحليل والتوضيح ، لا سيما انها مطروحة اليوم على المجتمعات كلها ، ولابد أن يقول الاسلام رأيه فيها بوضوح ، حتى يطوى ملف التساؤل والتناقض والخصام ٠

فمن حين الى آخر يطرح موضوع الاسلا موالاشتراكية للمقارنة والدراسة، وكلما طرح قفزت الى صدارته أسئلة منها : الى أي حد تتفق الاشتراكية مع الاسلام ؟ واذا كانت الاشتراكية أنواعا فأية اشتراكية تنسجم أهدافها مع أصوله ومبادئه ؟ ٠

لماذا استعمال اصطلاحات غريبة لا تعبر عن منهج االاسلام بدقة ؟ أليس الاسلام تسمية ذاتية الهية ؟ ألا يوجد تضاد بين الاسلام والاشتراكية فى الشكل والمضمون ؟

وفى الاجابة عن هذه الاسئلة تتشعب الآراء وتتعدد الاتجاهات ، لكن يمكن تلخيصها فى موقفين رئيسيين :

1 ــ الموقف الاول ، يعتقد أصحابه أن هناك تنافيا بين الاشتراكية والاسلام ، ويرفضون التوفيق بينهما ، لانهم يعدون كل واحد منهما نظاما قائما بذاته ، وينكرون أن تكون فى الاسلام نزعة اشتراكية ما ، بـ ليعتبر بعضهم أية محاولة فى هذا الطريق انحرافا عن المبادىء الاسلامية أو تشويها للخطة الاشتراكية ، ويقولون على الانسان أن يختار الاشتراكية أو الاسلام ، أما الجمع بينهما فمستحيل ٠ وهؤلاء أشتات

وأصناف ، ويرجعون الى أكثر من مشرب ، وينطلقون فى أحكامهم من أصول فكرية وانتماءات مذهبية متعارضة ، ففيهم البسيط الذى يخاف أن يجر استعمال اصطلاح «الاشتراكية» الى الانحراف عن المنهج الاسلامى ، وفيهم الحساسى ، والاقطاعى ، والرأسمالى ، والشيوعى ، والمستعمر ، والانبريالى ، والمؤمن الخرافى ، والملحد العصرى ، والرجعي ، وفيهم الجاهل والمغفل ، والغني الذى يستغل الاسلام فى خدمة مصالحه ثم يبررون موقفهم بعلل وأسباب تعكس أصولها الانتمائية وتكشف استراتيجيتها، فتذكر جماعة منهم أن الاسلام وضع الهى لا ينسجم مع الافكار والمناهج البشرية، وتذكر أخرى أن الاشتراكية منهج علمى حديث ، تلغى الملكية الفردية والارث ، ولها قوانين عصرية لم يعرفها الاسلام من قبل ، بينما هو يقر الملكية الفردية ويحميها ، ويجيز الارث ، ولا يسمح للدولة أن تتدخل فى حرية الافراد الاقتصادية ، ويذهب التعليل بآخرين الى اتهام الاسلام بالرأسمالية والطبقية لحماية مصلحتهم الحزبية ، فى الوقت الذى يعلن فيه غيرهم براءة الاسلام من الاشتراكية ليحافظوا على امتيازاتهم الفردية والطبقية ·

2 ـ الموقف الثانى هو موقف التوفيقيين الذين يوفقون بين الاسلام والاشتراكية ، واذا حللنا هذا الموقف وجدناه يتفرع الى اتجاهين : أحدهما يعتنق أصحابه الاشتراكية ويؤمنون بها عقيدة · ويتخذونها منهجا لهم فى حياتهم ثم يحاولون دعمها بالاسلام ومبادئه ويقولون : اننا بحثنا ودرسنا ولكن لم نجد فى الاسلام ما يناقض الاشتراكية أو يرفضها ، وهم ينطلقون من قواعد ومفاهيم غير اسلامية ثم يحاولون اخضاع الاسلام لها ، واعطاءها الصبغة الاسلامية ·

أما الاتجاه الثانى فى جماعة التوفيقيين فيعتنق أصحابه الاسلام ، ويستوعبون مبادئه ، ويتشبعون بروحه · ويدركون أن أصوله مبنية على نزعة اشتراكية انسانية من وحي السماء ، لها طاقة احتواء جميع القوانين التى تضمن عدالة اجتماعية شاملة ، يسعد بها القوي والضعيف ، ويقولون : اننا ما دمنا مؤمنين مسلمين لا يمكن أن نكون الا اشتراكيين ، وان الاشتراكية ليست غريبة عن الاسلام ولا مناقضة له ، بل بذوره كلها اشتراكية ثورية طاهرة · وهؤلاء ينطلقون فى اتجاهاتهم من الاسلام ، ويستوحون اشتراكيتهم من شريعته ، ويعدون منهجه قاعدة أساسية، يخضعون الاشتراكية لمبادئه ، ويستضيئون بذلك بقول الله تعالى فى سورة المائدة : « **لله ملك السموات والارض وما فيهن** » · وفى سورة التوبة : « **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة**

ويؤتون الزكاة » ٠ وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : الناس شركاء فى ثلاث : « الماء والكلأ والنار » وقوله : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه » ويقولون : اذا لم ترد الاشتراكية فى القرآن لفظا صريحا ، فان آياته الكلية احتوتها ، وعاشها الرسول الكريم وأصحابه ، والمسلمون الحقيقيون ، وليس فى استخدام الطرائق والاصطلاحات الاجنبية أي ضرر ، اذا أخضعناها للحقائق الوطنية ، وأعطيناها مضامين اسلامية ، ثم ان استخدامها لا يختلف فى استخدام الاجهزة الالكترونية ، والادوية ، والالبسة ، والمطابع ، والسيارات وغيرها ٠٠٠

الحقيقة اننا اذا استنبطنا المذاهب والاتجاهات الاشتراكية وجدنا القاسم المشترك بينها منع الاستغلال واحتكار الاموال والثروات ، والسعي الى اشراك جميع المواطنين فى المنافع وتوفير الحاجات المادية والمعنوية لهم ، واشراف الدولة على توجيه الطاقات الاقتصادية، ومراقبتها ، واستثمار الامكانيات البشرية وحمايتها من التبذير والضياع، وتحقيق التوازن الاجتماعى ، ومقاومة الفقر والمرض والجهل والتخلف ٠ وهذه طريقة فى الحياة لا يرفضها الاسلام ولا يجد فيها أية غرابة ، بل يتجه فى أسلوبه الخاص به الى اقامة عدالة اجتماعية تحتويها ، وتنصف الناس من أنفسهم ومن غيرهم ، وتلبى المطالب الفطرية فى الانسان ، لكن فى تعاون وتكافل ومحبة واحسان ، فلا تقتل المواهب والجهود الفردية ، ولا تسمح لها بالطغيان والعدوان على مصلحة الجماعة ٠ ولو أستعرضنا نصوصا من القرآن والحديث ، وبعض مواقف الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأعمال أصحابه الاوائل ، لرأينا الاسلام ثورة دائمة وشاملة على الاستغلال ووسائله ، مقت الجبابرة والظالمين ، وأوعدهم بالعقاب الاليم ، فقال الله فى كتابه العزيز : « **انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الارض بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم**» -٤٢- (الشورى)، وقال : « **تبت يدا أبى لهب وتب ٠ ما أغنى عنه ماله وما كسب ، سيصلى نارا ذات لهب** » وارتفع بالضعفاء الى مستوى الاقوياء ، « **ونريد أن نمن على الذين استضعفوا** فى **الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين**» (القصص) (5)، وغرس فى نفوسهم شرارة التمرد على الضعف - الفساد ، واعتبر المؤمنين سواسية لا يفوق أحدهم الآخر الا بالعمل الصالح « **ان أكرمكم عند الله أتقاكم** » ، وانطلق فى ذلك من بواطنهم فغسل عقولهم ومشاعرهم من الضلال والالحاد، وحصنها بنفحة الايمان ٠ حتى تثبت فى وجه العواصف وفجر فيها طاقات العمل والانتاج فانتجت وأبدعت ، وجعل ملكية الثروات الطبيعية جماعية ، وألحق بها جميع الاشياء التى لا يتوقف وجودها والانتفاع بها على مجهود فردى خاص ، ولعل حديث الرسول صلى

الله عليه وسلم : « الناس شركاء فى ثلاثة » الخ ··· قاعدة تشريعية واضحة فى هذا الميدان · والى جانب ذلك حارب الملكيات الواسعة واستقبح تجمع الثروات فى أيدى جماعة قليلة ، أو فى يد فردية ، واذا أباح الاسلام الملكية الفردية وسهل سبل التملك ، فانه لم يجعلها ملكية كلية ، وانما قصرها على ملكية الانتفاع والاستثمار « **كلوا واشربوا من رزق الله** » · « **يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم** » (البقرة 60 ــ 172) ، وجعلها وظيفة اجتماعية واقتصادية يتحتم عليها أن تراعى مصلحة المجتمع وفوائده « من كانت له أرض فليزرعها أو ليمنحها أخاه ، ومن عطل أرضا ثلاث سنين لم يعمرها فجاء غيره فعمرها فهي له » أما الملك فلله سبحانه وتعالى وحده « **وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه** » (الحديد ــ 7) ثم أحاطها بقيود دقيقة واجراءات لا تمكنها من التضخم والتجمع ، ومن هذه الاجراءات والقيود : الزكاة ، والصدقة ، والكفارات ، والخراج ، والضرائب الموسمية ، والارث ، والوصية ، والوقف وتحريم السرقة ، والرشوة ، والربا ، والاحتكار، والغش ، والظلم ، واستغلال النفوذ والسلطة ، وجميع العقود التى تنطوى على مضرة بالمصلحة العامة ، ويضاف الى ذلك قانون : من أين لك هذا ؟ وقد طبقه رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابن اللتبية عندما جاءه ذات يوم بالزكاة وقسمها الى قسمين ، وقال له : هذا لكم وهذه هدايا أهديت لى ، فغضب رسول الله وقال : انى استعمل منكم رجالا فى أمور مما ولانى الله ، فيأتى أحدكم فيقول : هذه لكم ، وهذه هدايا أهديت الي · فهلا جلس فى بيت أبيه أ وبيت أمه ، فينظر ، أيهدى اليه أم لا ؟ والذى نفسى بيده لا يأخذ أحد منا شيئا الا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته » ثم صادر جميع الهدايا وضمها الى بيت المال ، كما أباح للدولة أن تنزع الملكية الفردية وتجعل الانتفاع بها عاما ، اذا اقتضت المصلحة ذلك ، وطبق هذا المبدأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فحمى أرضا قرب المدينة المنورة وجعل كلأها حقا مشاعا للفقراء ، وأمر أن تبعد عنها ماشية الاغنياء ، وقال : « ان تهلك ماشية الغني يرجع الى ماله ، وان تهلك ماشية الفقير يأتى متضورا بأولاده يقول : « يا أمير المؤمنين ، طالبا الذهب والفضة وليس لى أن أتركه ··· فبذل العشب من الآن أيسر علي من بذل الذهب » · ولما شكا أهلها قائلين : « انها أرضنا ، يا أمير المؤمنين ، قاتلنا عليها فى الجاهلية ، وأسلمنا عليها ، فعلام تحميها » ؟ أجابهم : « المال مال الله ، والعباد عباد الله » ·

أيها الاخوة والاخوات :

ان الاسلام عدو للاستغلال ، أقام أسسه على العدل والمساواة ، وتسابق الضعفاء فى فجر ظهوره الى الالتفاف

حوله والاحتماء به ، وكان فى طليعة المتسابقين امرأة ، وشاب ، وعبد ، وتضايق الاغنياء والاقوياء والاشراف وابناء الطبقات العليا من ذلك ، وانبرى زعماؤهم الى مناوأته وتعطيل دعوته ، ولما طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم الايمان استغربوا مستهزئين وقالوا : « **أنؤمن لك واتبعك الارذلون** » ؟ واستولت عليهم الدهشة يوم سمعوه يقول لاتباعه فى تواضع « لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم ، فانما أنا عبد ، فقولوا : عبد الله ورسوله » ، وازدادت دهشتهم اكثر من قوله عندما استشفع أسامة بن زيد لامرأة مخزومية سرقت : « انما أهلك من كان قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه ، واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد · وايم الله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » ، انه العدل يأخذ طريقه ، ويطبق على الشعب والمسؤولين ، ولا يراعى فى الحق جاها ولا ثراء ، ولا نفوذا ·

هذا منهج الاسلام ، وتلك بعض حقائقه وأصوله ، وهو – كما عرفنا – نسق الهى لا يتساوى بأعمال البشر ، وله ذاتية خاصة تنطلق من الايمان ، ومن تطهير عقل الانسان ، وتربية روحية لتكون أعماله صالحة ، وجمع ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم فى اجابته أبا عمرة الثقفى لما قال له : قل لى قولا فى الاسلام لا أسال عنه أحدا غيرك ، قال : « قل آمنت بالله ثم استقم » ·

أما الاشتراكية فاصطلاح عصرى · ليس هناك ما يمنع من التعبير به عن القيم الاجتماعية والاقتصادية والانسانية فى الاسلام ، وبالفعل استعمله علماء مسلمون كبار ، واستعملته بلدان اسلامية منها الجزائر ، وأعطته هذه مضمونا قيدته أن يكون « فى اطار القيم الوطنية والاسلامية » ، وقالت فى ميثاقها الوطنى : « ان الاشتراكية فى الجزائر لا تصدر عن أية فلسفة مادية ، ولا ترتبط بأي مفهوم متحجر غريب عن عبقريتها الوطنية ، وان بناء الاشتراكية يتماشى مع ازدهار القيم الاسلامية التى تشكل أحد العناصر الاساسية المكونة لشخصية الشعب الجزائرى » ·

ان الاشتراكية بهذا المفهوم الواضح لا تتنافى مع الاسلام ، فهي تنبع من ضمير الايمان ، وتنطلق من عقيدته المشتركة ، أقامها على المحبة والالفة والتعاون والتضامن ، وربطها بالصلاة والزكاة والصيام والحج والتوحيد ، وجعلها وسطية أو تعادلية تجمع بين المادة والروح ، وترتكز عليهما فى توازن عجيب « **وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا · واحسن كما أحسن الله اليك ، ولا تبغ الفساد فى الارض ان الله لا يحب المفسدين** » (القصص – 77) ، وحارب الفقر مثلما حارب الترف والبذخ والانحراف ، وعده مصيبة ينبغى القضاء عليها ، ولم يقره حسنة ، بل استعاذ رسوله الكريم منه فى أدعية كثيرة ،

وقرنه بالكفر ، منها قوله : « اللهم انى أعوذ بك من الكفر والفقر ، وأعوذ بك من عذاب القبر ، لا اله الا أنت » وأحب الله من عبده أن يرى اثر نعمته عليه ، وهذه كلها جوانب توازنية شمولية تبرز قدرته على استيعاب معطيات العصر الحديث ومنجزاته، وتعرى الضلال الذى يحاول اخفاء جوهره ، ويلهى المنتسبين اليه بالقشور والشكليات ٠

أيها الاخوة والاخوات :

اذا كان الاسلام منهجا ربانيا شاملا يقوم على افراد الله بالالوهية ، وينظم الحياة على أسس نموذجية ، وينشط أعمال التجديد والابتكار ، فلماذا وهنت عقيدته فى النفوس ؟ واذا كانت مبادئه سماوية تمتاز بالتفوق على جميع المحاولات البشرية فلماذا أعرض عنه الشباب المسلم المثقف وأقبل على غيره ؟ لماذا وجدت بعض المذاهب الاوروبية خطوة كبيرة عند هذا الشباب ؟ ولماذا تجاوب معها وأقبل عليها اقبال المحب المغرم بها ، بل اعتبرها عقيدة العصر الثورية ولم يبغ بها بديلا ؟ ولم وضع الاسلام على الرف ؟ واعتبره نظاما تقليديا تجاوزته الايام ولا سيما فى العهود الاخيرة ؟ أسئلة كبيرة تغمر الانسان اليوم ، حينما يستحضر أوضاع المسلمين وينظر فيها بعين الفكر والحقيقة ، لكن الاجابة عنها قريبة منه، يستمدها من واقع حياتهم ، ويستخرج عناصرها من وجودهم المضطرب ، فبعض المذاهب الاوروبية أعتنقها مناضلون حقيقيون ، تفانوا فى خدمتها وما يزالون يواصلون تفانيهم ، وضحوا فى سبيلها ، وطرحوها طرحا شاملا حتى يجيب عن جميع الاسئلة والتساؤلات، وسهر مفكرون « مجتهدون » على اثرائها وتعديل مبادئها حتى تلائم الظروف الجديدة والاوضاع المتطورة، وخصصوا لها دعاة بذلوا جهودا كبرى فى تلقين الشباب « عقيدتها » وتحصينهم من الافكار والعقائد الاخرى ، بل جعلوا مبادئها « منطلق التربية والتعليم والثقافة ، وضبطوا فى ضوئها القوانين الادارية والاجتماعية والعلاقات البشرية ، وربطوها بالعمل ، والسلوك، والاخلاق والمسؤولية ، وبنوا عليها دولا وأنظمة وحضارة ، والتزموا بتوجيهاتها، وخلطوا الفكرة بالعمل ، وعاشوا ، مذهبيين فى عقائدهم وأفكارهم ومشاعرهم ، وأوكبوا التحول والتغيير، ولم يجهروا مذهبهم أو يتركوه يتخلف عن العصر حتى يعجز عن احتواء المعطيات الجديدة ، بل هم يحاولون دائما تغذيته وتطعيمه ، بما يجد على سطح الوجود ، ويعرضونه كل مرة فى أسلوب جديد يكاد يظهره فكرة أو عقيدة صالحة لكل زمان ومكان ٠

أما الاسلام ، النظام الالهى شامل ، وصاحب الذاتية يتميز والجاذبية السماوية الحكيمة ، فقد كاد يصبح غريبا بين أهله ، انحرفوا عن طريقته

الرشيدة ، وهجروا مباده وقيمه وتراثه، وجهلوا أصوله وفروعه ، « ومزقوا وحدته وأزهقوا روحه وأخلاقه » ، واتهمه « المثقفون » منهم بالجمود والتخلف والرجعية ، واستبدلوا به « أديانا » صنعوها لانفسهم ·

أيها الاخوة والاخوات :

هناك جهود كبرى بذلها الاستعمار بالامس ، وهناك جهود أخرى تبذلها الامبريالية اليوم لتجريد الاسلام من أسلحته التربوية والفكرية والثقافية والاجتماعية والسياسية ، وصرفه عن الاهتمام بمشاكل الدنيا ، تأثر بها العلماء المسلمون فتعلقوا بالقشور وأهملوا اللب ، وأضاعوا منبع القوة والوجود ، فأصبحوا أو كادوا يصبحون تعبديين ، أخرويين شكليين « يتحدثون عن الآخرة ويخلطونها أحيانا بالماضى ويهربون من الصدام بالواقع ، ويحلقون فى الخيال ، ويفسرون الآيات القرانية تفسيرا سطحيا أو تفسيرا انحرافيا ، ينفر من الاسلام ، ويدعم صفوف أعدائه ، وقد يبلغ الجهل أو الخبث والسطحية ببعضهم أن يزعموا بأن سعادة الدنيا للكفار وحدهم ، ويضلوا بذلك البسطاء ، ويقتلوا فيهم ارادة الطموح والتطلع الى الحرية والتغيير ، ويخرجوهم من ميدان معركة الحياة ويشغلوهم بالخرافات والاباطيل ، ويسوغوا لهم الذل والاستسلام للظلم والاستغلال · واذا قدر لهؤلاء البسطاء أن امتعضوا من أوضاعهم الطبقية المأساوية ، قالوا لهم فى غموض : « **والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق** » « **ورفع بعضكم فوق بعض درجات** ··· » ، كأنما الله سبحانه وتعالى لم يبعث رسوله بالاسلام لاسعاد البشر كلهم : « **وما أرسلناك الا رحمة للعالمين** » (الانبياء ـ 107) ، وانما بعثه لينعم به قلائل منهم ، ولربما احتقروا الاهتمام بشؤون الدنيا قائلين : « **انما الحياة الدنيا لعب ولهو** » ، ونسوا أو تناسوا أنها جسر عبور للآخرة ، وأن من كان فى هذه أعمى لابد أن يكون فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا ·

ولا شك أن هذا الموقف طمس تعاليم الاسلام الصحيحة ، وأنعش الدروشة والخنوع وفتح الطريق لطرد تراثه الاصيل من حقول التربية والتعليم ، وهيأ الظروف لانتشار الجهل بأصوله وفروعه ، وأحدث فراغا فكريا وثقافيا سارعت الانبريالية الى ملئه بثقاتها وقيمها وأفكارها ، الامر الذى سهل اصابة الشباب المسلم المثقف بمرض فقدان الذاكرة أو نسيان الثقافة الوطنية، وبعثر طاقاته بين اتجاهات متعددة الالوان والاشكال تخدم مصلحة كل جهة الا المصلحة الوطنية وتأزمت نفسيته ، واحتار كيف يثبت هويته ؟ وأين يجد مقوماتها ؟ وانعكست وضعيته على الحركة الثورية الاسلامية نفسها ومستها فى الصميم ·

أيها الاخوة والاخوات ·

ان اصابة الذاكرة بمرض نسيان الثقافة الوطنية داء خطير جدا ، يمسخ القيم ويفتك بالعقول والنفوس ، ويسلب روح المقاومة الذاتية ، ويكسر الحصانة الداخلية ويبث فى الشعوب الفشل والوهن ، فتنحل العزائم وتضعف المقاومة أو تموت ، وتستطيع الامبريالية حينذاك أن تحقق فى ظرف زمنى قصير ما عجز الاستعمار والصليبية عن تحقيقه فى عدة قرون ·

لقد وجد استعمار الامس فى الامبريالية اليوم حليفا طبيعيا ووارثا مخلصا يتابع رسالة المسخ والتشويه وزرع جرثومة مرض نسيان الثقافة أو فقدان الذاكرة ولهذا يتعين على الشباب المسلم أن يحذر هذا الخطر ، ويتحصن بثقافته الاسلامية ، ويدرس تراثه فى أمهاته ، ويصاحب الشافعى فى رسالته ، والشاطبى فى موافقاته ، والغزالى فى مستصفاه ، وأبى عبيد فى أمواله ، والماوردى فى أحكامه السلطانية وابن خلدون ، وشهاب الدين القرافى ، وابن حزم الاندلسى ، والآمدى ، وامام الحرمين ، وابن القيم ، وابن تيمية ، وغيرهم من الذين أثروا الفكر الاسلامى وعالجوا جميع القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتنظيمية والتربوية ، ولم ينعزلوا عن مشاكل الحياة ، وانماانـدمجوا فيها ، ولم يسخروا الدين لخدمة هدف لا يدخل وفى مقاصده كما انهم لم يعطلوا وظيفة من وظائفه ·

فالتراث الاسلامى غني جدا بمحتواه العلمى والعقلى ، وكلما راجعه الانسان اكتشف فيه جديدا ، واقتنع انه يمكن اعتماده فى حل قضايا عصرية · ولو عاد اليه شبابنا لاجابه عن مشاكل أقلقته وراح يبحث عن حلولها عند الآخرين ، ولكن مشكلة هذا التراث الاسلامى أنه مهمل ، والاهمال جر الى معادته ، وقديما قيل « الناس أعداء ما جهلوا » · وعلى هذا يجب احياؤه ، وتجديد الروابط الوثيقة بينه وبين الاجيال الصاعدة ، واتخاذه اساسا من أسس البناء الثقافى الجديد ، وفتح باب الاجتهاد والانطلاق الى المستقبل فى استقلالية وتحرر من أي تبعية أجنبية أو جمود رجعى عند صيغ تقليدية بائدة ·

ولا ننس أيها الاخوة والاخوات ان الثقافة الوطنية هي بناء الانسان ، عمدة التقدم والتطور ، واذا قلت بناء الانسان، عنيت تحرير العقل ، والنفس ، وتنمية الضمير والاخلاق ، وتطعيمها من الامية ، وقصدت قوة الدين والتدين التى لا تماثلها أية قوة أخرى فى صياغة شخصية المجتمع ، وفى المحافظة على تماسكه واستقرار نظامه واحترام قوانينه ، وتعاون أبنائه · ولا ينفع أن تبنى الامة المصانع ، وتشق الطرق ، وتشيد العمارات ، وتغرس الاشجار ، وتصنع الطائرات ، وتجمع الثروات اذا لم

تحصن « انسانها » من أمراض الانحلال ولامعية ، وفقدان الذاكرة والنسيان . ولا يكفى خروج الاحتلال العسكرى والسياسى والاقتصادى ، اذا استمر الاستعمار الفكرى والثقافى ، وبقيت القوة التحريرية الكبرى المتمثلة فى الاسلام بعيدة عن ميدان صنع الافكار وتربية الضمائر والعقول ، وتوجيه التنمية الاقتصادية والاجتماعية .

ان الانسان يساق من باطنه لا من ظاهره ـ كما قال أحد المفكرين المسلمين المعاصرين ـ لا تضبطه الاجراءات القانونية ، وترهبه العقوبات الجنسية والمالية وحدها ، كما ان « العلم المجرد سلاح ذو حدين يصلح للهدم والتدمير ، ويصلح للبناء والتعمير » ، ولضمان حسن الانتفاع به ، لابد من حارس أخلاقى يوجهه ويراقب استعماله ، وهذا ما يؤكد ضرورة تطعيم التعليم فى جميع مراحله بالعلوم الاسلامية حتى يتسلح الطبيب ، والمهندس ، والاستاذ ، والمعلم ، والجندى ، والموظف ، بالوازع الذى يقيهم شر التقصير فى أداء الواجبات ويربط قلوبهم بالمحبة ، ويعزز صلاتهم الروحية ويمتن وحدتهم ، ويعلو بهم على العنصرية والجهوية والانانية ، يحميهم من التيارات الغازية . واذا ألححت على التعليم والتربية والثقافة فلانى اعتقد أنها الحقول التى تؤثر فى العقل والذوق والاحساس وتكوين الشخصية السوية أو المنحرفة ، وتساهم فى أي ميدان بحصة الاسد فى الاخلاق أو فى النجاح .

أيها الاخوة والاخوات .

ان الاسلام طاقة ثورية جبارة ، متى تمكنت مبادؤه من النفوس وامتزجت بالمشاعر ، وتفاعلت مع العقول ، قلبت الوجود ، ورفضت أن يستسلم أصحابها لليأس أو يركنوا الى الهزيمة ، أو يقبلوا الاستعباد ، وبقيت شعلة تنبض بالثورة والحرية ، وتغذى حب الجهاد والتضحية ، وتواجه أسلحة الغزو والدمار ، فى صعود لا يضعف ، وقوة لا تلين ، وتفجر هزات الكفاح هنا وهناك . ولو بحثنا عن القوة الخفية التى أشعلت شرارة الثورة فى الوطن الاسلامى عبر التاريخ الطويل لما وجدنا قوة غير الاسلام ، فهو الذى جابه التحديات الكثيرة التى هددت الامة الاسلامية بالفناء ، وظل انتصاره الروحى مستمرا دون انقطاع رغم اضطراب أوضاعها وضعف قوتها السياسية ، وانقسامها الى جماعات وطوائف ، ولولاه لما تحرر المسلمون من الاستعمار . واذا كان هناك من يساوره الشك فى ذلك فعليه أن يدرس الثورة الجزائرية ولا اخاله الا مقتنعا بانها ثورة اسلامية اندلعت باسم الاسلام وانتصرت ، بفضله . وكان شعار رجالها قول الله تعالى : « **ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل احياء عند ربهم يرزقون** » ، وكانت كلمة الله أكبر راية معاركها الحربية فى الجبال

والمدن ، ومبعث الثبات حتى النصر أو الاستشهاد ، لكن ما دام الاسلام واجه تحديات الاستعمار والامبريالية ، وكان قاعدة المسلمين فى معركة الحرية فهل يمكن اعتماده فى بناء دولة عصرية ؟

أعتقد أن هذا الدين قادر على بناء دولة عصرية وخوض معركة التنمية ، اذا وجد رجالا يؤمنون به ويفهمون مقاصده ، ويلتزمون بمبادئه فكرا وعملا ، ويعيشون عصرهم ، ويتحررون من الشعوبية والمذهبية والخرافية ، ويملكون القدرة على التوفيق بين الايمان والعقل ، ويتبعون الحق دون الاهتمام بمن نطق به ، ويعودون الى المنابع الاسلامية ، ويجعلون القرآن والسنة فوق المذاهب والاقوال وما يمنعه اليوم — أيها الاخوة والاخوات — أن يبنى دولة أسسها متوفرة ، وقد سبق له أن بعث دولة من العدم ، شادها من الحفاة والعراة ، ودك بها معاقل الشرك والالحاد فى الفرس والروم ، وأعلى كلمة الله وأنشأ حضارة انسانية كانت شمسا ساطعة على العالم كله ٠

أيها الاخوة والاخوات ٠

ان لنا أملا كبيرا فى الشباب المسلم الاصيل المجدد ، وفى علماء الاسلام المجتهدين ، ويقظة الشعوب الاسلامية وثباتها هنا وهناك لاقامة صرح البناء الاسلامى الجديد ٠ وفقكم الله وأنجح أعمالكم ٠ وهدى بكم المسلمين الى سواء السبيل ٠

والسلام عليكم ورحمة الله ،

البنك الاسلامي للتنمية

الصديق التاوتي
مساعد رئيس البنك الاسلامي
للتنمية
فى مؤتمر الفكر الاسلامى

تمهيد :

لقد كان من حسن حظى ان تم اختيارى لامثل الجزائر ، ثم تم انتخابى لتمثيل مجموعة من الدول فى مجلس المديرين التنفيذيين للبنك الاسلامى للتنمية ، وكان هذا فى يوليو عام 1975 م ، والى هذا التاريخ لم تكن لدينا أى فكرة عن هذا البنك سوى ما كان يصل الينا عن عزم الدول الاسلامية على انشاء بنك اسلامى فى جدة .

واليوم والحمد لله أصبح البنك كيانا قائما له دوره الفعال فى المجتمع الدولى بصفة عامة وصارت له أنشطة كما واجهته مشاكل وصعاب .

وفى شهر فبراير 1979 م تم عقد اجتماع لعدد محدود من علماء الشريعة الاسلامية الذين يمثلون المذاهب الاربعة الشهيرة ، وكان بينهم الاخ الشيخ عبد الرحمن شيبان يمثل مذهب الامام مالك وقد طلب منى ان أقدم لاجتماعكم هذا نبذة مختصرة عن البنك الاسلامى للتنمية ، ولم تمكن ظروفى أن أقدم هذه الفكرة فى العام الماضى ، ولكنى سعيد بأن أقف فى هذا العام بينكم لاتحدث عن البنك الاسلامى للتنمية .

مقدمة :

ان دول العالم فى عصرنا الحاضر أخذت تبذل الجهود من أجل النهوض وتحقيق التقدم والازدهار وتوفير الرخاء لشعوبها ، وشعرت هذه الدول شعورا قويا بالحاجة الى تحقيق التعاون فيما بينها وخصوصا فى المجال الاقتصادى وتطلع المسلمون منذ فترة طويلة الى وجود مؤسسات مالية تعمل وفق تعاليم الاسلام ، وظل هذا الامل حلما حتى ظهرت فكرة التضامن الاسلامى ،

وتكونت منظمة المؤتمر الاسلامى التى تضم لحد الآن اثنتين وأربعين دولة ·

ســاد دول منظمة المؤتمر الاسلامى شعور قوى بضرورة تحقيق مزيد مــن التعاون الاقتصادى والمالى بينها ولهذا جاء فى ميثاق المؤتمر : « تنمية ودعم التعاون بين الدول الاعضاء فى المجالات الاقتصادية والاجتماعية وغيرها مــن الميادين » ·

كما برزت الى الوجود الحاجة الى انشاء مؤسسة مالية ذات طــابع دولى مختصة بالتنمية والاستثمار والرفاهية الإجتماعية تستمد أصول أعمالها ، وقواعد عملياتها التنموية مــن أحكام الاسلام ومبادئه ، وتكون أداة تعبر عمليا عن وحدة الامة الاسلامية وتضامن أبنائها فى مسيرتهم الخيرة من أجل البناء والعمران والازدهار وتبلرت فكرة انشاء بنك اسلامى للتنمية وسعى دولة تنكو عبد الرحمن ··· أمين عام منظمة المؤتمر حينذاك لانشاء هـذا البنك مدعوما من جلالة الملك فيصل آل سعود رحمه الله ·

تأسيس البنـك :

صادق المؤتمر الثانى لوزراء مــالية الدول الاسلامية الذى انعقد بجدة فى 22 من رجب عام 1394 هـ (10 اغسطس عام 1974 م) على اتفاقية تأسيس البنك الاسلامى للتنمية ·

بدأ سريان هذه الاتفاقية فى 12 من ربيع الثانى عام 1395 هـ (23 من ابريل عام 1975 م) ·

عقــد الاجتمــاع الافتتــاحى لمجلس محافظى البنك الاسلامى للتنمية بالرياض فى 17 من رجب عام 1395 هـ (26 من يوليو عام 1975 م) ·

تم افتتاح البنك بصفة رسمية فى 15 من شوال عام 1395 هـ (20 من أكتوبر عام 1975 م) ·

أهــدافـه :

الاسهام فى عمليات التنمية الاقتصادية والاجتماعية ودعمها بالـدول الاعضـاء والمجتمعات الاسلامية فى الـدول غــير الاعضاء للنهوض بمستوى المعيشة طبقـا لمبادىء الشريعة الاسلامية السمحة ·

رأس المـــال :

رأس المــال المصرح به هو (2000) الفا مليون دينار اسلامى (ألفان وستمائة مليون دولار أمريكى) ·

الدينار الاسلامى هو وحدة الحساب بالبنك . وتعادل قيمته وحدة من وحدات حقوق السحب الخاصة بصندوق النقد

الدولى ، وهذه الوحدة تعادل دولارا أمريكيا وخمس الدولار تقريبا فى الوقت الحاضر .

رأس المال المكتتب فيه حتى هذا التاريخ (790) مليون دينار اسلامى أى ما يعادل (1028) مليون دولار تقريبا .

عمليات البنك :

بلغ عدد الدول المستفيدة الى تاريخه أربع وثلاثين دولة ، اما عدد العمليات التى وافق عليها البنك فهو مائة وثلاث وخمسون عملية ومجموع المبالغ المعتمدة للمشروعات التى تمت الموافقة عليها حتى تاريخه نحو (1106) ملايين دينار اسلامى تقريبا « أى ما يعادل 1393 مليون دولار أمريكى تقريبا » .

وعلى ضوء مبادىء اتفاقية التأسيس وسياسات واجراءات التمويل فان البنك يوجه عناية أكبر لمشروعات الدول الاعضاء الاقل نموا ، وهو يسعى الى دعم وتنشيط التبادل التجارى فى المواد ذات الصبغة التنموية بين الدول الاعضاء هذا الى جانب عنايته بالمشروعات التى يكون لها أولوية فى عملية التنمية الاقتصادية والتطور الاجتماعى فى الدول الاعضاء .

وأهم مجالات تمويل البنك هى :

1) منح القروض لمشاريع البنية الاساسية (طرق ، مواصلات ، سدود ... الخ) دون فوائد وفقا لاحكام الشريعة الاسلامية السمحة ، ويتقاضى البنك مبلغا مقطوعا مقابل التكاليف الادارية يدفع على اقساط . وفى هذا الاطار ساهم البنك فى تمويل انشاء طرق فى الصومال والسودان والسنغال كما ساهم فى تمويل توسعة قناة السويس وفى تمويل انشاء سد بالنيجر هذا الى جانب القروض التى قدمت لانشاء محطة للاتصالات السلكية واللاسلكية بافغانستان وفى مجال الطاقة لسورية والكاميرون من أجل زيادة فعالية الطاقة الكهربائية .

2) المشاركة فى رأس مال المشاريع الصناعية والزراعية ذات العائد المالى المباشر وفى هذا الاطار ساهم البنك فى مصانع وطنية لانتاج الاسمنت فى كل من المغرب وماليزيا ودولة الامارات العربية المتحدة كما ساهم فى مصانع نسيج بالباكستان والسودان ومشاريع لتكرير البترول فى الاردن والباكستان الى جانب مساهمته فى مشروعات للمناجم وحديد الصلب فى موريتانيا كما ساهم البنك فى رأس مال بنك البحرين الاسلامى .

3) تمويل المشاريع الصناعية والزراعية ذات العائد المـالى المباشر على أساس المشاركة فى الارباح وفى اطار هذا النوع ساهم مـع بنك دبى الاسلامى فى مشروع مدينة بدر السكنية لانشاء الفى وحدة سكنية .

4) التأجير ، وقد وافق البنك على القيام بعمليات لصالح الدول الاعضاء منها :

بنجلاديش	سفينة شحن
تركيا	خط تجميع جرارات
تركيا	آلات ومعدات الكترونية
الجزائر	مـرافق وآلات لمشروع أمهات الدجاج
الصومال	سفينتين احداهما لنقـل المواشى والاخرى للنفط
المغرب	عربـات سكـة حـديد لمشروع اسمنت
باكستان	وحـدة تحويل لمصفـاة باكستان المحدودة
ليبيـا	باخـرة مبردة لنقـل الخضر والفواكه واللحوم
الاردن	قاطرات ديزل كهربائية لسكة حديد العقبة

5) تقديم المعونة الفنية لمساعدة الدول على القيام بدراسات الجدول الاجتماعية والاقتصادية والمالية اللازمـة لتهيئـة المشاريع واعـدادها لتكـون صالحـة للتمويل من قبل المؤسسات المالية واذا كانت المساعدة فى حدود ثمانين الف دينار اسلامى تقدم بصفة منحه اما اذا زادت على هذا المبلغ فانها تقدم بصفـة قرض بدون فوائد وقد قـدم البنـك معونات فى هذا الاطار كمساعدة لكـل مـن : ـ

- بنجلاديس
- غينيـا
- أوغنـدا
- الصومال
- الجمهورية العربية اليمنية
- فولتا العليا
- فلسطـين .

6) تمويل التجارة الخارجية للـدول الاعضاء وذلك بشراء المواد ذات الصبغة التنموية والتى تطلبها الدول الاعضاء للحاجة اليها فى مجالات التنمية المتعددة ثم يعيد البنك بيعها للدولة العضـو المستفيدة مع تيسيرات فى دفع الثمن على اقساط ، ومن أهداف هـذا النشاط تنشيط ودعم التبادل التجارى بين الدول

الاعضاء فى البنك اذ تعطى أولوية للمواد التى يمكن استيرادها من دولة عضو لصالح دولة أخرى وقد بلغ مجموع ما تم فى هذا الاطار 67 عملية تمويل تجارة خارجية لصالح (18) دولة من الاعضاء ومن امثلة هذا النوع استيراد المواد البترولية من العراق لتركيا ومن ليبيا للنيجر وغينيا ومن الجزائر الى غينيا بيساو ومن الكويت الى السودان ومن دولة الامارات العربية المتحدة الى بنجلاديش كما وقع تصدير الفوسفات من الاردن وتونس الى تركيا واسمدة اليوريا من الكويت وقطر والسعودية الى باكستان وغير ذلك من العمليات . ومجموع المبالغ المعتمدة للتجارة الخارجية 885 مليون دولار أمريكى .

المشروعات الاقليمية :

والبنك يبذل جهده لتشجيع المشروعات ذات الطابع الاقليمى تحقيقا للتعاون والتكامل الاقتصادى بين دولتين فأكثر ولذا فانه سعى الى دعم وتشجيع اقامة طريق الوحدة الافريقية عبر الصحراء الكبرى ومشروع حوض نهر السنغال بين السنغال ومالى وموريتانيا وقد كان للبنك دور رئيسى فى تشجيع قيام هذا المشروع .

فى مجال التعاون مع المؤسسات المماثلة

ـ لم يتمكن البنك من الوصول الى هذه النتيجة العظيمة فى مجال تحقيق أهدافه الا بمساعدة المؤسسات التنموية المماثلة .. ففى كثير من الاحيان دخل البنك ممولا فى المشروعات التى كانت فى حاجة لسد الفجوات فى التمويل .. وفى المعتاد تكون هذه المشروعات قد سبقت دراستها من قبل الاجهزة الفنية فى الدول والمؤسسات التمويلية الدولية والمؤسسات المحلية .

المؤسسات المالية الدولية :

ـ منذ تأسيس البنك وهو يسعى الى انشاء علاقة مع المؤسسات الدولية العالمية والاقليمية وقد وطد علاقات تعاون بالفعل مع مؤسسات منها : ـ

- البنك الدولى للانشاء والتعمير
- البنك الافريقى للتنمية
- البنك الآسيوى للتنمية
- البنك الامريكى للتنمية
- البنك العربى للانماء الاقتصادى فى افريقيا
- الصندوق العربى للانماء الاقتصادى والاجتماعى .

وعندما بدأ البنك الاسلامى للتنمية فى مزاولة نشاطه التنموى طلب الى هذه المؤسسات ان تمده بتقاريرها ودراساتها لنمشروعات التى تقوم بتمويلها فى الدول الاعضاء والتى ما زالت فى حاجة الى سد فجوات فى التمويل لكى يقوم هو بسد هذه الفجوات ·

الصناديق العربية :

زاد نشاط البنك فى مجال اتصالاته بالمؤسسات والصناديق التمويلية ، وتعتقد اجتماعات بصفة دورية للتنسيق وتوثيق الروابط مع الصناديق العربية مثل : –

- الصندوق الكويتى للتنمية الاقتصادية والاجتماعية
- والصندوق السعودى للتنمية
- صندوق منظمة الدول المنتجة للبترول وغيرها ·

البنوك التجارية :

ونظرا للمكانة الدولية للبنك الاسلامى للتنمية والمناطق المتعددة التى يمارس نشاطه فيها وعدد العمليات وحجم السيولة المستخدمة هذه الاعتبارات كلها جعلت لزاما عليه ان يتعاون مع نحو مائة من أكبر البنوك التجارية فى العالم ·

البنوك الاسلامية المحلية :

ان البنك الاسلامى للتنمية وان كان له طابع دولى الا انه لم يعد وحده فى مجال التطبيقات الاسلامية على أعمال المصارف فقد تعددت هذه البنوك ومنها :

- بنك دبى الاسلامى
- البنك الاجتماعى المصرى
- بنك فيصل الاسلامى السودانى
- بنك فيصل الاسلامى المصرى
- البنك الاسلامى الاردنى
- بنك البحرين الاسلامى
- بيت التمويل الكويتى ·

وغيرها من المؤسسات والبنوك التى قامت على أساس تحرير المعاملات من الربا وتطبيق احكام الشريعة الاسلامية على هذه المعاملات ·

وكثيرا ما تعقد اجتماعات للتنسيق وتوثيق التعاون بين البنك الاسلامى للتنمية وهذه البنوك الاسلامية المحلية ·

ومن أجل دعم هذه البنوك الاسلامية فى النواحى الفنية والتنظيمية وتحقيق التنسيق بينها وتنظيم التدريب للعاملين فيها تم انشاء « الاتحاد الدولى للبنوك الاسلامية » ·

الهيئـات الدوليـة :

وزيادة على تعاون البنك مع المؤسسات والبنوك المالية الدولية والاقليمية والمحلية فانه عقد عدة اتفاقات للتعاون فى مجال المشروعات التى تتم فى الدول الاعضاء مع عدة هيئات دولية منها : ـ

ـ منظمة التربية والثقافة والعلـــوم (اليونيسكو)

ـ منظمة الاغذية والزراعة (الفاو)

ـ منظمة الصحة العالمية

ـ الصندوق الدولى للتنمية الزراعية ٠

وغيرها وقد تمت حتى الآن بالفعل عدة مشروعات بفضل هذا التعاون ٠

وأخـــيرا ٠

ولا يفوتنى فى ختام هذا الحديث ان أشير الى الدور الانسانى الاجتماعى الذى يقوم به البنك والذى يبرز اختصاص هذا البنك بأعمال لا تقوم بها فى المعتاد المؤسسات التمويلية والمالية المماثلة ٠

ومن الامثلة عـــلى ذلك ان مجلس المديرين التنفيذيين للبنك وافق حـتى تاريخه على تخصيص الهبات التالية :

أ) مبلـغ 900،000 (تسعمائة الـف) دولار أمريكى للسودان لصـالح اللاجئين الاوغنديين .

ب) مبلـغ 1،000،000 (مليون) دولار أمريكى للصومال لصالح الـلاجئين مـن منطقة اوجادين .

ج) مبلـغ 1،000،000 (مليون) دولار أمريـكى للباكستان لصـالح اللاجئـين الافغان ٠

د) مبلغ 1،200،000 (مليون ومائتى) ألـف دولار أمريـكى للكاميرون لصالح اللاجئين التشاديين ٠

وهناك حالات أخرى قيد الدراسة منها جيبوتى واللاجئين المسلمين فى كمبـوديا وفيتنـام ٠

وختاما أود ان أكون قد أعطيت صورة مبسطة مـن أجـل معرفة هذه المؤسسة الاسلامية الدولية ، واذا كان هناك حاجة الى توضيح أو معلومات أكثر فانا رهن طلبكم ٠

والـلـه المـوفق ،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

الدولة وتنظيم السلطة في الاسلام

د· عبد اللطيف عبادة

مقـــدمة : سنتناول فى هـذا البحث بالدراسة مجالا من الفكر الاسلامى لا يزال خصبـا ولا يزال محملا بالافكار المسبقة للدارسين من المسلمين وغـيرهم · وان القاء الاضواء الكاشفة على الفكر الاسلامى فى المجال السياسى يرمى الى توضيح كون السياسة فى المجتمع الاسلامى لم تـكن تسير على غير هدى وأنها كانت تستوحى ، رغم بعض الانحرافات فى المجالين النظرى والتطبيقى ، مبادئها وأهدافها من القرآن والسنة وغيرهما من مصادر التشريع فى الاسلام ·

والشىء الذى يتأسف له الباحث بادىء ذى بدء هو أن الدارسين قد اهتموا كثيرا بما اقتبسه المفكرون المسلمون أو شرحوه أو لخصوه من جمهورية أفلاطون أو مـن كتاب السياسة لارسطو (1) · غـير أنهم لم يهتموا اهتماما بالغا بالفكر الاسلامى الاصيل المستمد من العقيدة الاسلامية ·

ونحن فى هذا البحث نحاول اجـــلاء الاسس التى يرتكز عليها الفكر السياسى الاسلامى فى مسألتين هـامتين وهمـا : الدولة وتنظيم السلطات العمومية ·

1 ـ السيـــاق التـاريخى للنظـرية السياسية فى الاسلام :

يجمع المؤرخون بأن هناك حادثتين أثرتا تأثيرا بالغا فى المستقبل السياسى للعالم الاسلامى وهما :

1 ـ الجدال الذى جرى فى سقيفة بنى ساعدة بـين المهاجرين والانصار حـول موضوع استخلاف رسول الله (ص) ·

2 ـ معركة صفين وما أفضت اليه من تحكيم بـين عـلى بن أبـى طـالب (ض) ومعاوية بن أبى سفيان ·

(1) فيما يتعلق بتلخيص كتاب السياسة لارسطو وترجمته ارجع الى مقالة للدكتور عمار طالبى نشرت بمجلة الثقافة (السنة الثامنة من العدد 48 ديسمـــبر 1978) بعنـــوان : النظرية السياسية لدى ابن رشد ·

1 ـ الجدال الذى جرى فى سقيفة بنى ساعدة بين المهاجرين والانصار حول موضوع استخلاف رسول الله (ص) :

فقد ظن الانصار أن الامر ينبغى أن يكون فيهم وأن شؤون الحكم يجب أن تصير اليهم لانهم أصحاب المدينة ولان المهاجرين ضيوف لديهم · أضف الى ذلك أنهم آووا النبى (ص) والمهاجرين وخاضوا الغزوات فى سبيل اعلاء كلمة الدين · ورشحوا نتيجة لذلك كله زعيم الخزرج « سعد بن عبادة » للخلافة ·

غير أنه لما انتهى الخبر الى مسامع المهاجرين لم يرضوا به ولم يرضوا حتى بأن يرأس الدولة الاسلامية خليفتان : خليفة من الانصار وخليفة من المهاجرين . بل قال أبو بكر : نحن الامراء وأنتم الوزراء واحتج عليهم بأن النبى من قريش فيجب أن يلى أمره من بعده أولو قرابته · وروى لهم عن النبى (ص) أنه قال : « الائمةمن قريش » فثاب الانصار الى سماحة انفسهم وكرهوا أن يأخذوا الخلافة مقابل ما أبلوا فى ذات الله ورسوله من البلاء · ثم اقترح عليهم عمر أن يبايعوا أبا بكر وأسرع هو الى بيعته فتبعه الانصار ولم يخالف عنهم سوى سعد بن عبادة ·وبايع سائر المسلمين فى المدينة أبا بكر واستقام له الامر ·

ولكن خلافا آخر شجر · وكان أشد على أبى بكر من خلاف الانصار الآنف الذكر ، وكان هذا الخلاف بينه وبين فاطمة (ض) بنت رسول الله (ص) وزوج على بن أبى طالب (ض) التى جاءته تطلب اليه ميراثها من أبيها · فأبى عليها ذلك وقال لها : انه سمع النبى (ص) يقول : « نحن معاشر الانبياء لانورث ، ما تركناه صدقة » · ثم قال انه لا يخالف أبدا عن قول رسول الله (ص) فغضبت فاطمة وشاركها زوجها فى غضبها وتأخرت من أجل ذلك بيعة على (ض) لابى بكر بستة أشهر أى الى أن توفيت فاطمة ·

وان بنى هاشم وان كانوا يرون أن الخلافة يجب أن تكون فيهم الا انهم لم يريدوا الفتنة (2) ·

ولقد نشأ التشيع من هذه الخلافات البسيطة ومن الخلاف حول الاجابة عما اذا كانت سلطة الخليفة زمنية وروحية أم زمنية فحسب ؟

أما أهل السنة والجماعة فقد قالوا بأنها سلطة زمنية فحسب ، وقالوا نتيجة لذلك بأن الخلافة تكون بالاتفاق والاختيار اى بالبيعة أو الاستفتاء والشورى ·

وأما الشيعة فقد قالوا بأن الخليفة لابد أن يجمع بين السلطتين الزمنية

(2) طه حسين ـ اسلاميات ـ منشورات دار الآداب ـ بيروت 1967 · ص 72 ـ 73

والروحية وأن الخلافة تكون تبعا لذلك بالنص والتعيين · وان السلطة الروحية لم تنته بوفاة النبى (ص) بل امتدت فى على بن أبى طالب والائمة من بعده وهم أهل العترة (*) · وكلهم معصومون (3) وان الرسالة النبوية تجد فى الامامة ـ فى نظر الشيعة ـ امتدادا لها · ذلك أن الامام له نفس صلاحيات النبى باستثناء الوحى · والامامة مثل النبوة قد تم تأسيسها من عند الله بمقتضى نص : آية قرآنية أو حديث أو وصية امام · وان عليا (ض) قد عينه الله ونبيه لخلافة رسول الله (ص) ·

والامام ـ فى نظر الشيعة ـ معصوم كالنبى وهو أفضل الناس · ولا تجوز امامة المفضول فى حالة وجود الافضل · وهو واسطة بين الله وعباده وهو حافظ الشريعة وعنصر يضمن وحدة الامة (4) .

ويقدم الشيعة على قولهم بأن الخلافة تكون بالنص وبأن امامة على قد نص عليها فى القرآن والسنة الحجج التالية :

1 ـ قوله تعالى : « **انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون** » · يعتقد الشيعة أن الشطر الاخير من الآية قيل فى حق على بن أبى طالب ·

2 ـ قوله تعالى : « **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا** » · يعتقد الشيعة أن هذه الآية نزلت بعد أن دعا الرسول (ص) الى امامة على فى غدير خم ·

3 ـ قوله تعالى : « **قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا** » · والمقصود بالقربى ـ عند الشيعة ـ أهل البيت ·

4 ـ ان النبى (ص) لما نزلت عليه الآية « **وانذر عشيرتك الاقربين** » ودعا أقاربه الى الدخول فى الاسلام فلم يلب طلبه الا على (ض) قال له : « اجلس فانت أخى ووصيى وخليفتى من بعدى » ·

5 ـ عندما استخلف الرسول (ص) عليا (ض) فى المدينة عند ذهابه الى غزوة تبوك قال له : « أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى ، الا أنه لا نبى بعدى » ·

6 ـ قوله تعالى : « **يا ايها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما**

(*) العترة : ولد الرجل وذريته أو عشيرته ممن مضى ·

(3) د· يحيى هويدى · دراسات فى علم الكلام والفلسفة الاسلامية · دار النهضة العربية ـ القاهرة 1972 · ص 84 ـ 85

بلغت رسالته والله يعصمك من الناس » . يعتقد الشيعة أن المقصود فى الآية تبليغ ما أنزل اليه من ربه فى امامة على · لذلك قال الرسول (ص) فى غدير خم « فمن كنت مولاه فعلى مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره ، واخذل من خذله » ·

وقد رد أهل السنة على هذه الحجج الواحدة تلو الاخرى وفندوها تفنيدا قاطعا ·

الرد على حجج الشيعة :

الحجة الاولى : ان الآية نزلت عامة فى سائر المسلمين وليست خاصة بعلى كرم الله وجهه ·

الحجة الثانية : ان الآيــة نزلت على النبى عشية عرفة فى يوم جمعة ويــوم عرفة ، كان قبل يوم الغدير بسبعة أيام . ويقولون انه ليس فى الآيـة دلالـة على امامة عـلى بأيــة حال مـن الاحوال · والحديث القائل : « الله أكبر على اكمال الدين واتمام النعمة ورضا الرب برسالتى وبالولاية لعلى من بعدى » منحول فى رأى أهل السنة ·

الحجة الثالثة : ان المقصود فى الآيـة ليس مودة القربى بل المودة فى القربى . أى مودة كل من يتخذ الى ربه سبيلا من المسلمين ·

الحجة الرابعة : يشك أهل السنة فى هذا الحديث ويكذبون أسانيده ·

الحجة الخامسة : يشك أهل السنة فى هذا الحديث أيضا يقولون انــه موضوع ومتهافت ·

الحجة السادسة : يشك أهـل السنة فى هذا الحديث ويقولون انــه حتى لـو كان هذا الحديث صحيحا فان المقصود بكلمة « مولى » هو « القرب من النبى » لا « الامامة والتصرف » وذلك طبقا للمعنى الذى جـاء فى قوله تعـالى : « **ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا** » الخ ··· (5)

وقد اتضحت ايديولوجية الشيعة فيما بعد واكتملت أركانها وهى كالآتى :

- التأويل الباطنى للقرآن ·

- نظرية العلوم السرية وعـلم الغيب وتوارث هذه العلوم بين الائمة ·

---

(5) د· يحيى هويدى · المرجع السابق · ص من 85 الى 89 ·

ولمزيد من التفصيل فى بيان أهل السنة والجماعة فى تنفيذ حجج الشيعة يمكن الرجوع الى العواصم من القواصم لابى بكر بن العربى · تحقيق الدكتور عمــار طالبى فى الجزء الثانى من كتابه آراء أبى كر ن العربى الكلامية · الشركة الوطنية للنشر والتوزيع · الجزائر 1974 · ص 422 الى 436 ·

ـ نظرية الوجود النورى للائمة ٠

ـ نظرية عصمة الامام ٠

ـ نظرية المهدى المنتظر ٠

2 ـ معركة صفين وما أفضت اليه من تحكيم بين على بن أبى طالب (ض) ومعاوية بن أبى سفيان ٠

لما آلت الخلافة الى على بن أبى طالب بايعه أكثر المسلمين عن رضى وبايعه بعضهم عن كره وأبى معاوية فى الشام أن يبايعه ٠

وكان على على بعد توليه الخلافة أن يواجه نوعين من الخصوم :

1 ـ لقد ثار عليه عائشة أم المؤمنين (ض) وطلحة بن عبد الله والزبير بن العوام وواجهم فى موقعة الجمل ٠

2 ـ وثار عليه معاوية فواجهه فى موقعة صفين التى آلت الى التحكيم كما نعرف بعد أن مالت الكفة لصالح على بن أبى طالب (ض) ٠

واثر التحكيم ـ تلك الحيلة التى ستعملها معاوية للنجاة من الهزيمة ـ نشأت فرقة الخوارج التى :

ـ تنكر امامة عثمان بعد ولايته بـ 6 سنوات ٠

ـ تنكر عليا بعد قبوله التحكيم فى معركة صفين ٠

ـ تكفر الحكمين وأصحاب الجمل وكل من رضى بالتحكيم ٠

ـ تكفر معاوية ٠

وانكارهم لولاية عثمان بعد ست سنوات من امامته مبنى على ما يلى :

ـ لانه حمى الحمى ٠

ـ ضرب عمارا حتى فتق أمعاءه ٠

ـ ضرب ابن مسعود حتى كسر اضلاعه

ـ أجلى أباذر الى الربذة ٠

ـ أخرج أبا الدرداء من الشام ٠

ـ رد الحكم بعد أن نفاه الرسول (ص)

ـ أبطل سنة القصر ٠

ـ ولى معاوية وعبد الله بن عامر ومروان وولى الوليد بن عقبة وهو فاسق (6) ٠

وقد رد أهل السنة على هذه الاسباب الواحدة تلو الاخرى وقالوا بأن النبى ص وصاحبيه (ض) ٠ انما أعفوا من زكاة الخيل حين كانت قليلة ، وحين كانت جيوش المسلمين فى حاجة الى الفرسان ، وحين كان المسلمون يتخذون الخيل فى بلاد العرب على الاقل تجارة ومالا ، فأنفذ

---

(6) ن٠ م٠ ص٠ 89 و 90 ٠

فيها عثمان ما أمر الله من الزكاة فى كل مال يتخذ للربح والشراء · وفى هذا يقول ابو بكر بن العربى : « وأما أمر الحمى فكان قديما · فيقال : انه عثمان زاد فيه لما زادت الرعية · واذا جاز أصله للحاجة اليه جازت الزيادة فيه لزيادة الحاجة » (7) · وقال فى مكان آخر : « وأما ضربه لعمار وابن مسعود ، ومنعه عطاءه فزور ، وضربه لعمار افك مثله ، ولو فتق أمعاءه ما عاش أبـدا · وقد اعتـذر عـن ذلك العلماء بوجوه ، لا ينبغى أن يشتغل بها ، لانها مبنية على باطل ، ولا ينبنى حق على باطـل ، ولا يذهـب الزمان فى مماشاة الجهال فان ذلك لا آخر له » (8) ·

واما نفيه أبا ذر الى الربذة فيقول فيه أبو بكر بن العربى : « فلم يفعل · كان أبو ذر زاهدا ، وكان يقرع عمال عثمان ، ويتلو عليهم : « **والذين يكنزون الذهب والفضـة ولا ينفقونها فى سبيل اللــه فبشرهم بعذاب أليم** » (التوبة/24) الآية ويراهم يتسعون فى المراكب ، والملابس حين وجدوا ، فينكر ذلك عليهم ، ويريد تفريق جميع ذلك من بين أيديهم ، وهـو غـير لازم · فقال ابن عمر وغـيره مـن الصحابة وهو الحق : ان ما أديت زكاته فليس بكنز ، فوقع بين أبى ذر ، ومعاوية كلام بالشام ، فخرج الى المدينة فاجتمع اليه الناس ، فجعل يسلك تلك الطريق فقال له عثمان : لو اعتزلت ··· فخرج الى الربذة زاهدا فاضلا ، وترك جـلة فضلاء » (9) ·

وأما رد الحكم فيقول فيه أبو بكـر ابن العربى : « فلم يصح · وقال علماؤنا فى جوابه : قد كان أذن له فيه رسول الله (ص) ، وقال لابى بكر وعمر ، فقالا له : ان كان معك شهيد رددناه ، فلما ولى قضى بعلمه فى رده · وما كان عثمان ليصل مهجور رسول الله (ص) ، ولو كان أباه ، ولا لينقض حكمه » (10) ·

وأما ترك القصر فهو فى نظر أبى بكر ابن العربى « اجتهاد ، اذ سمع أن الناس افتتنوا بالقصر ، وفعلوا ذلك فى منازلهم، فرأى أن السنة ربما أدت الى اسقـــاط الفريضة فتركها مصلحة خوف الذريعة ، مع أن جماعة العلماء قالوا : ان المسافر مخير بين القصر والاتمام ، واختلف فى ذلك الصحابة » (11) ·

(7) أبو بكر بن العربى ــ العواصم من القواصم · تحقيق الدكتور عمار طالبى وهو الجزء الثانى من آراء أبى بكر بن العربى الكلامية · الشركة الوطنية للنشــر والتوزيع ــ الجزائر 1974 · ص 390 ·
(8) ن · م · ص 381 ·
(9) ن · م · ص 384 و 385
(10) ن · م · ص 386
(11) ن · م · ص 386 ·

أما اخراج عثمـــان لابى الدرداء الى الشام فكان لان أبا الدرداء كان زاهدا واشتد فى الحق مع معاوية وأهل الشام حتى عزله عن القضاء وخرج هـــو الى المدينة (12) ٠

وأما معاوية « فعمر ولاه ، وجمع له الشامات كلها وأقره عثمان » (13) ٠

وأما عبد الله بن عامـــر بن كريـــز « فولاه كما قال ، لانه كريم العمــــات والخالات » (14) ولجهاده وفتحه خراسان وأطراف فارس وسجستان وكرمان ٠

وأما تولية الوليد بن عقبة فان عثمان قد أقتدى فى ذلك بأبى بكر الذى جعله موضع سره ٠ وأما فسقه فليست الذنوب مسقطة للعدالة اذا وقعت منها التوبة ٠ وقصة شربه (أى الوليد) للخمر مشكوك فيهـــا (15) ٠

وأما خروجهم على على بن أبى طالب فيرجعونه الى ما يلى :

1 ـ التحكيم : بالرغم من أن اتباع على هم الذين كانوا قـد أشاروا عليـه بالتحكيم الا أنهم عادوا فلم يوافقوه عليه وقالوا لا حكم الا لله ولهـــذا سمـــوا بالمحكمة ٠

2 ـ لان عليا أباح لهم الغنائم ولم يبح لهم النساء عند موقعة الجمل ولا الذرارى. وقد أجابهم على آنذاك بأنه لم يبح لهم النساء والذرية لانهم لم يكن لهم ذنب ٠ ولو أبـــاح لهم نساءهم مـــن كان منهم يأخذ عائشة من قسمة نفسه ؟

3 ـ ان الله تعالى يقول : « **فقاتلــوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله** » ٠ واستشهادهم بهذه الآية يرمى الى توضيح أن الله تعالى أوصانا بالقتال ولم يوصنا بالتحكيم ٠ فرد عليها قائلا : « قد أبيته عليكم أول الامر فأبيتم الا اجابتهم الى ما سألوا ٠ فأجبناهم وأعطيناهم العهود والمواثيق، وليس يسوغ لنا الغدر» (16).

ومهما يكن من أمر هذه الخلافات فان الخلافة الراشدة : « كانت حكومة من أكبر حكومات العالم ، وقوة سياسيـة تفوق كل قوة فى عصرها ، تسود فيهـا المثل الخلقية العليا وتحكم معايير الاخلاق الفاضلة فى حياة الناس ونظام الحكم ، وتزدهر فيها الاخـلاق والفضيلة مـع التجارة والصناعــة ، ويساير الـرقى الخلقى والروحى اتساع الفتوح واحتفال

---

(12) د٠ يحيى هويد ى ٠ المرجع السابق ص 91 ٠
(13) أبو بكر ابن العربى ٠ المرجع السابق 387 ٠
(14) ن٠ م٠ ص 387 ٠
(15) د٠ يحيى هويدى ٠ المرجع السابق ـ ص 92 ٠
(16) ن٠ م٠ ص 93 ٠

الحضارة وتحسن علاقة الفرد بالفرد والفرد بالجماعة وعلاقة الجماعة بالفرد » (17) ·

وستكون لنا الفرصة كافية لتفضيل الانتخاب على التعيين ولنفى العصمة عن الرئيس أو الخليفة ولتوضيح الصفات التى يجب أن تتوفر فى الخليفة الى غير ذلك من المواضيع التى دار حولها الجدال بين الفرق الاسلامية واستمر بين المفكرين المسلمين ·

2 ـ مفاهيم مشوهة عن الاسلام ونظامه السياسى :

ان أول مفهوم مشوه لا يوجد عند الغرب قطعا بل يوجد عند المسلمين أنفسهم ويشير اليه فى غير لبس محمد أسد فى كتابه القيم « منهاج الاسلام فى الحكم » اذ يقول : « ان الصلة المحكمة التى تربط الدين بالسياسة ، والتى هى من خصائص التاريخ الاسلامى وميزاته، لا تحظى بالقبول عند كثير من المسلمين الذين تلقوا ثقافتهم عن الغرب ، والذين نشأوا على أساس الاعتقاد بأن لكل من مسائل الدين والحياة العملية عالمها الخاص المستقل بها » (18) ·

الى جانب المفاهيم المشوهة لابناء العالم الاسلامى من غلاة اليسارية والنزعة التغريبية نجد مفاهيم بعض المستشرقين الذين ان حاول بعضهم الانصاف والموضوعية فان معظمهم لم يقدموا لنا عن الاسلام وعن نظامه السياسى سوى مفاهيم مشوهة ·

ولنستمع الى غارديه اذ يقول : « انه لخطأ أن يعتبر هذا النظام السياسى أو ذاك وثيق الارتباط بالعقيدة الاسلامية · ذلك أن البلدان الاسلامية قد عرفت عبر العصور أشكالا من الحكومات بدءا بالديمقراطية المبتدئة (دولة المدينة) الى الثيوقراطية (الامبراطوريات الكبرى) الى الاوليغارشية (العهد التركى ـ المغولى) الى الشيوعية (الشيوعية البدائية للقرامطة)· وعرف العصر الحديث بدوره أشكالا مختلفة من الملكيات التقليدية ومحاولات فى الديمقراطية البرلمانية وارادات الديمقراطية الشعبية · وان التأثيرات التاريخية سواء فى الماضى أو فى الحاضر بارزة جدا ·

والواقع أن المبادىء القرآنية التى تتحكم فى الفلسفة السياسية ذاتها موجزة

---

(17) السيد ابو الحسن علي الحسنى الندوى · ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ط 6 ـ دار الكتاب العربى ـ بيروت 1965 · ص 117 ·

(18) محمد أسد · منهاج الاسلام فى الحكم · نقله الى العربية منصور محمد ماضى ط 3 · دار العلم للملايين ـ بيروت 1967 · ص 17 ·

جدا وقليلة فى النهاية : من جهة الطاعة للرسول ولاولى الامر (القرآن 59/4 و 80) ومن جهة أخرى الزام الرئيس بمشاورة المرؤوسين (159/3) والامر الملح الموجه الى المسلمين كى يتشاوروا فيما بينهم (38/42) • السلطة والتشاور (الامر والشورى) هما قطبا كل تشكيل للدولة أمر بهما الله• وحسب التأكيد على هذا القطب أو ذاك نجد أنفسنا أمام أشكال جد مختلفة من التنظيم السياسى » (19) •

هل لغارديه أن يمنعنا حتى من التساؤل عن النظام السياسى الاكثر توافقا مع روح الاسلام ؟ وهل له أن يمنعنا بالتالى من النظر اثر ذلك الى تاريخ العالم الاسلامى فنميز داخل نظمه السياسية الخبيث من الطيب ؟

والدارس النبيه بامكانه أن يفهم بسهولة ويسر أن نظام الحكم فى الاسلام لم يكن فى عهد الخلفاء الراشدين « نظام حكم مطلق ، ولا نظاما ديمقراطيا على نحو ما عرف اليونان ، ولا نظاما ملكيا أو جمهوريا أو قيصريا مقيدا على نحو ما عرف الرومان » (20) • وانما كان نظاما اسلاميا خالصا : « بين الاسلام له حدوده العامة من جهة وحاول المسلمون أن يملأوا ما بين هذه الحدود من جهة أخرى » (21) .

واذا كان النظام السياسى من حيث هو جملة من المبادىء كاملا كمال القرآن وسنة من لا ينطق عن الهوى فهو من حيث هو واقع يتجسد فى تصرفات ومواقف بشرية معرض للانحرافات والامراض الطفيلية شأنه فى ذلك شأن سائر الانظمة السياسية الاخرى •

وكأنى بغارديه يتجاهل آيات كثيرة من القرآن تتعلق بالنظام السياسى منها ما يسن المبادىء العامة :

1 ـ الامر والطاعة فى المعروف •

2 ـ الشورى •

3 ـ المساواة بين الناس •

4 ـ الحاكمية لله وحده •

5 ـ العدالة

6 ـ البيعة •

7 ـ عدم طاعة المسرفين •

بالاضافة الى المبادىء التى نستطيع أن نستنتجها من قصص الانبياء وأخبار الامم السابقة الواردة فى القرآن الكريم كمقت الاستبداد واستحسان الملك الصالح

(20) و (21) طه حسين • المرجع السابق • ص 682 •

وتمثيل الامة ونضرب لذلك مثالا بالآيتين 155 و 160 من سورة الاعراف ·

والاسلام كل لا يتجزأ فلا يمكن أن نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما يمكن أن توحي بذلك الفقرة الاخيرة من كلام غارديه ·

وكأني به أيضا يتجاهل أن آية الطاعة تبدأ باطاعة الله قبل طاعة الرسول وأولى الامر وهذه حقيقة لا ينبغي تجاهلها عند دراسة النظرية السياسية في الاسلام ·

وان وليم زارتمان بدوره قد أثار بعض الشبهات قصد تشويه النظرية السياسية الاسلامية غير أنه في نظرنا لم يبلغ مراده ذلك أن النظرية السياسية الاسلامية تبقى سليمة رغم ما أثار حولها من شبهات وأهمها :

1) يعترف زارتمان أن العلماء في الاسلام هم الذين يختارون أحد الافراد لممارسة السلطة · غير أن هؤلاء الافراد المختارين لا يخرجون من لا شيء بل هم اما أن يكونوا من العائلة الملكية أو تكون في حوزتهم قوة جيش (22) ·

2) وبعد أن يعرف البيعة بأنها عقد خضوع تبادل فيها الامة ولي أمرها الوفاء والاذن بالتصرف في شؤونها مقابل تعهده بأن يحكمها بالتقوى والعدل · انها عقد تجاري وديني يتسم بتبادل التمنيات ·

واذا كان العقد يفترض امكانية الالغاء · فان هذه هي نقطة الضعف - في نظره - في النظرية السياسية الاسلامية (23) ·

3) ومن المآخذ التي يوجهها زارتمان الى النظرية السياسية الاسلامية انعدام الحدود وانعدام رقابة المراكز السياسية على المناطق النائية (24) ·

4) وهو يعتقد من جهة اخرى أن الحكم في الاسلام ليس وظيفة عمومية بل هو نشاط خاص بالاسرة الملكية أو القصر)25(·

5) لا وجود لما يسمى بـ Tourn-Meeting ولا سوفيات ولا مجلس تمثيلي في النظرية السياسية الاسلامية (26) ·

6) لا وجود لفكرة الدولة في الاسلام لان بعض وظائفها هي بين أيدي الله وقد

---

(22) I. William Zartman, Pouvoir et Etat dans l'Islam, in Pouvoirs, revue trimestrielle publiée avec le concours du CNRS, PUF, Paris N° 2, 1980, p. 7.
(23) Ibid, p. 7.
(24) Ibid, p. 8
(25) Ibid, p. 8
(26) Ibid, p. 7
(27) Ibid, p. 5

انتزعت الى الابد من أيدى المؤمنين على هذه الارض (27) ·

7) ان اختيار أولى الامر قد طرح دائما مشاكل كثيرة · اذا كان الرسول (ص) قد اختير من عند الله ، فان مثل هذه الطريقة ما كان يمكن تطبيقها منذ وفاته .

واذا كان انتقال السلطة عن طريق الوراثة مرفوضا من قبل أغلبية المسلمين فانه اتبع فعلا · كما أن الاستيلاء على السلطة بالقوة وان لم يؤيد نظريا فقد طبق فعلا فى الواقع (28) ·

8) مسؤولية الحاكم أمام الامة وامكانية نزع الثقة منه موضوعا اختلاف بين المنظرين فى مجال الفكر السياسى الاسلامى (29) ·

9) السيادة للامة أى مجموع المؤمنين وهذا يعنى أن الاذن بممارسة السلطة يمنح من طرف الامة ·

أما السلطة ذاتها فلم تخلق من طرف الامة بل من طرف الله · انها لا تكمن فى الامة حتى تنتدب لها زعيما معينا أو تحتفظ بها فى بعض الاحيان · ان الامة لا تحكم نفسها أبدا لا نظريا ولا عمليا (30) ·

ويعتقد ابن عاشور من جهته أن السياسة المستنتجة مباشرة من القرآن والسنة لا يمكن أن تكفى الاحتياجات المتجددة على الدوام للحياة الاجتماعية (31) ·

فى حين يعتقد محمد أركون أن مسألة معرفة ما اذا كان الرسول (ص) قد عين وهو لا يزال على قيد الحياة عليا كخليفة له هى مسألة ثانوية بالنظر الى الصراعات القبلية بين بنى هاشم وبنى سفيان فى مكة والاوس والخزرج فى المدينة التى تعقدت مبكرا بالقوى التى ظهرت الى الوجود مع الفتوحات (32) ·

ويمكن الرد على هذه الشبهات بأن أهل الحل والعقد فى الاسلام الذين يتكون منهم مجلس الشورى ليسوا من العلماء فقط بل قد يكونون من ذوى الخبرة والحنكة فى المجالات المختلفة للحياة ويكونون فى الغالب ممثلين لقومهم ويحظون بثقتهم وقد استنتج محمد حميد الله هذه الخاصية من الآيتين 35 و 60 من سورة الاعراف ·

(28) Ibid, p. 6
(29) Ibid, p. 6
(30) Ibid, p. 6
(31) Yadh Ben Achour, Structure de la pensée politique islamique classique, in Pouvoirs, revue précitée p. 17.
(32) Mohammed Arkoun, La pensée arabe, PVF, Paris, Collection «Que sais-je ?» N° 915, 1975, p. 31.

أما عن مقاييس الاختيار للخلافة أو الرئاسة العظمى فليس قطعا من ضمنها كما يبدو لاول وهلة الحيازة على الملك بل من ضمن الشروط التقى والورع وأمور سنذكرها فى حينها ·

أما عن امكانية الغاء البيعة وخلع الخليفة فنقول أنها ممكنة نظريا وتطبيقيا وليست أبدا من نقاط الضعف التى يمكن تسجيلها على النظرية السياسية فى الاسلام · فان الطاعة فى الاسلام مشروطة ومقيدة · قال الله تعالى :

«يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا » · (سورة النساء) · وقد روى البخارى ومسلم عن عبد الله بن عمر (ض) · أن النبي (ص) قال : « اذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » ·

وفى حديث رواه البخارى ومسلم عن علي بن أبى طالب : « لا طاعة فى معصية ، انما الطاعة فى المعروف » · وفى حديث رواه أحمد عن عبادة بن الصامت « لا طاعة لمن عصا الله تعالى » · وقال عمر بن عبدالعزيز (ض) « ألا انه ليس لاحد أن يطاع فى معصية الله عز وجل » · وما يرويه المؤرخون من عزل الحكمين اثر واقعة حنين لعلي ومعاوية والتى اختلف فيه المسلمون فمنهم من قال أن الحكمين بعد أن : « اتفقا على أن يخلعا الرجلين ، فقال عمرو لابى موسى : اسبق بالقول ، فتقدم فقال : انى نظرت فخلعت عليا عن الامر ، فلينظر المسلمون لانفسهم ، كما خلعت سيفى هذا من عاتقى وأخرجه من عنقه ، فوضعه فى الارض ، وقام عمرو فوضع سيفه بالارض وقال : انى نظرت فاثبت معاوية فى الامر ، كما أثبت سيفى هذا فى عاتقى وتقلده ، فأنكر أبو موسى فقال عمرو : كذلك اتفقنا ، وتفرق الجمع على ذلك من الاختلاف » (33) أما رأي أبى بكر بن العربى فيختلف عن هؤلاء جميعا اذ يقول : « هذا كله كذب صراح ، ما جرى منه قط حرف وانما هو شىء اخترعته المبتدعة ··· وانما الذى روى الائمة الثقات الاثبات أنهما لما اجتمعا للنظر فى الامر فى عصبة كريمة من الناس ، منهم عبد الله بن عمر ، ونحوه ، عزل عمرو معاوية » · (34) واذا ثبت هذا فان العزل قد وقع حتى فى المجال التطبيقى · أما فى المجال النظرى فالامر واضح لا لبس فيه ·

أما عن انعدام الحدود بين أجزاء الامة فهو فى رأينا من علامات القوة وليس من علامات الضعف ، ذلك أن الدولة الاسلامية ليست دولة قومية ولا

---

(33) أبو بكر بن العربى ـ المرجع السابق · ص 471 و 418 ·
(34) ن· م· ص 418 ·

دولة حدود ولا دولة عرق وانما هي دولة فكرة وعقيدة : « فالاسلام هو المنهاج الفكرى الوحيد الذى يمتاز من بين الافكار والمذاهب بأنه يقيم على أساس الفكرة فحسب نظاما للدولة مطهرا من العصبيات الجنسية وأقذارها، ويدعو الناس كافة الى الايمان بهذه الفكرة والانضواء تحت لوائها حتى تتشكل دولة فكرية غير مقيدة بجنس ولا قومية » · (35)

وان هذه الميزة التى تميز الدولة الاسلامية عن سائر الدول هي التى جعلت البعض يعتقدون انه لا وجود لفكرة الدولة فى الاسلام ذلك أن : « الدولة الفكرية لا تنظر الى الاقوام والقوميات أو العشائر والقبائل بل تنظر الى الانسان بعين الانسانية وتعرض على الناس كافة مبادىء وغايات مبينة واضحة وتقول لهم ان سعادتكم وفلاحكم فى أن تؤسسوا نظام الحكم على هذه القواعد ، بحيث كل من قبلها يكون نصيبه فى اقامة هذا النظام وادارته مثل نصيب سائر المؤمنين بهذه الفكرة سواء بسواء» · (36) غير أن هناك سببا آخر جعلهم يعتقدون هذا الاعتقاد وهو قضية الحاكمية التى يجعلها الاسلام بين أيدى الله لا بين أيدى البشر · ولا يشك كل من آمن بالله واليوم الآخر فى هذه الحقيقة · وخلاصة القول أنه لا وجود فى الاسلام لفكرة الدولة بالمعنى الغربى أي المرتكزة على القومية ·

وان الاختيار عن طريق البيعة والتراضى يختلف تماما والملك الوراثى · والاستيلاء على الحكم بقوّة السلاح مناف لمبادىء الاسلام · واذا كان الرسول (ص) يقول : « أنا والله لا نولى هذا العمل أحدا سأله ، أو أحدا حرص عليه » · وبالتالى يمنع من يطلب المسؤولية توليها فأحرى وأولى أن يمنع من توليها من يأخذها عنوة ·

واذا كانت السيادة للامة فليس ذلك بمعنى الحاكمية لان الحاكمية لله وحده ·

فالامة تحكم نفسها بنفسها دون أن تتعدى حدود الله ·

وان السياسة المستنتجة مباشرة من القرآن والسنة تكفى الاحتياجات المتجددة على الدوام للحياة الاجتماعية لانها حددت المبادىء الثابتة التى لا تتغير بتغير العصر والمصر وتركت الباقى لاجتهاد البشر دون الاعتداء على المبادىء السامية للدين · وهل تفعل الدساتير فى وقتنا الحالى شيئا آخر سوى تحديد مثل هذه المبادىء العامة ·

كما ان مسألة معرفة ما اذا كان الرسول (ص) قد عين عليا وهو لا يزال

---

(35) أبو الاعلى المودودى · منهاج الانقلاب الاسلامى ٥ نقله الى العربية محمد عاصم الحداد ـ دار الفكر العربى · ص 10 و 11 ·

(36) ن · م · ص 14 ·

على قيد الحياة لخلافته ليست مسالة ثانوية بل هي مسألة مختلقة وقد رد عليها أهل السنة بما فيه الكفاية ٠

وها هو رأي أبى بكر بن العربى فى هذا الموضوع بالذات ٠ يقول : « فان قيل : انما يكون ذلك فى المعانى التى تشكل ٠ وأما هذه الامور فلا أشكال فيها لان النبي (ص) نص على استخلاف علي بعده ٠ فقال : (أنت منى بمنزلة هارون من موسى الا أنه لا نبي بعدى اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله » (37) ٠

ويضيف قائلا فى الرد على هذه الشبهة : « وقد أجمعت الامة على أن النبي (ص) ما نص على احد يكون من بعده » ٠ (38) ويضيف قائلا : « لو كان هنالك نص على أبى بكر يذكر أو على علي لم يكن بد من احتجاج علي عليه ، أو يحتج له به غيره من المهاجرين والانصار ، فأما حديث خم فلا حجة فيه ، لانه انما استخلفه فى حياته على المدينة ، كما استخلف موسى هارون فى حياته عند سفره للمناجاة ، على بنى اسرائيل ، وقد اتفق الكل من اخوانهم اليهود قاطبة على أن موسى مات بعد هارون ، فأين الخلافة ؟

وأما قوله (اللهم وال من والاه) فكلام صحيح ، ودعوة مجابة ، وما نعلم أحدا عاداه الا الرافضة ، فانهم أنزلوه فى غير منزلته ، ونسبوا اليه ما لا يليق بدرجته » ٠ (39)

أما الصراعات القبلية فقد قضى عليها الاسلام وبصفة خاصة فى عهد الرسول (ص) والخلفاء الراشدين ٠ وعادت فى صورة مخففة جدا فى عصر بنى أمية الذين افادوا منها تعزيز ملكهم وعرشهم ٠

ولقد تبين لعصرنا بما لا يدع مجالا للبس أو غموض ٠

ـ أن الدين ليس عفيونا للشعب بل يمكن أن يصبح خميرة للثورة اذا أراد ذلك معتنقوه ٠ ولم يكن ذلك الحكم الجائر سوى تهمة حاقدة أدلى بها أحد دعاة المادية ٠ وان الاسلام قد دعم دائما أركان العدالة الاجتماعية والتحرر من ربقة العبودية ٠

ـ وليس الدين الاسلامى عامل تواكل ومبررا للفاشية والاستبداد بل تدعو تعاليمه الى الجهاد والاجتهاد ومحاربة الطواغيت أيا ما كان مصدرها ٠

ـ وليس الدين الاسلامى مثالا بعيدا عن الواقع بل قد تحققت مثله فى المجتمع الاسلامى المبنى على أسس نظيفة من الاخلاق والقيم ٠ وما عهد الرسول (ص) وعهد الخلفاء الراشدين سوى دليل قوي على ما نذهب اليه ٠

---

(37) أبو بكر بن العربى ٥ المرجع السابق ـ ص 421 و 422 ٠
(38) ن٠ م٠ ص 423 ٠
(39) ن٠ م٠ ص 429 و 430 ٠

ـ ولقد أثبتت التعاليم المنزلة تفوقها الملحوظ فى الواقع على النظم الوضعية فى المجال السياسى المتسمة بالذرائعية الماكيافيلية والديماغوجية والغوغائية ٠

ـ ولقد أثبتت التعاليم المنزلة تفوق دولة الفكرة ودولة العقيدة على دولة الوطنية ودولة الطبقية ٠

3 الدولـــــة :

مفهومها : يقصد بالدولة مجموعا منظما من الناس دائم البقاء ويسكن أرضا معينة ، له موارده المالية ونظمه الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ويخضع لسيادة موحدة ويسعى وراء غرض عام مشترك ٠ ولابد من توفر مقومات أساسية لقيام الدولة نخص منها بالذكر أهمها وهي : السكان وهم شعب الدولة أو رعاياها والاقليم ويطلق عليه حدود الدولة والسيادة وهي السلطة التى تمارسها على رعاياها والثروة ثم الاهداف المشتركة ٠ (40)

وبتعبير آخر يعنى بالدولة جماعة قانونية يعنى مجموعا منظما من الافراد خاضعا لنفس التشريع ولنفس السلطة السياسية ذاتها ٠ ان الدولة هي الحكومة ومجموع الهياكل التى تسمح لها بالتعبير عن سلطتها ٠

وقد تكون هذه القوانين مفروضة من العقلاء وأكابر الدولة وبصرائها فتكون السياسة بذلك سياسة عقلية أو بتعبير عصرنا سياسة وضعية وقد تكون مفروضة من الله بشارع يقررها ويشرعها فتكون بذلك سياسة دينية نافعة فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ٠ (41)

ويصل ابن خلدون الى النتيجة التالية وهي : « أن الملك الطبيعى هو حمل الكافة على مقتضى الغرض والشهوة، والسياسي هو حمل الكافة على مقتضى النظر العقلى فى جلب المصالح الدنيوية ودفع المضار، والخلافة هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعى فى مصالحهم الاخروية والدنيوية الراجعة اليها ، اذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع الى اعتبارها بمصالح الآخرة ، فهي فى الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع فى حراسة الدين وسياسة الدنيا به » ٠ (42)

فالفرق بين الدولة الاسلامية والدولة اللائكية اذن هو أن التشريع الذى يخضع له أفرادها منزل من عند الله والسلطة السياسية التى يخضعون لها ويأتمرون بأمرها هي فى الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع فى حراسة الدين وسياسة الدنيا به بالتعبير الخلدونى ٠

(40) د٠ مصطفى الخشاب ٠ علم الاجتماع ومدارسه ٠ الكتاب الثانى ٠ دار الكتاب العربى للطباعة والنشر بالقاهرة 1967 ـ ص 387 و 388 ٠

(41) عبد الرحمن بن خلدون ٠ المقدمة ـ ط 2 ٠ مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبنانى للطباعة والنشر ٠ بيروت 1961 ـ ص 337 ٠

(42) ن٠ م٠ ص 338 ٠

وهكذا تكون الحاكمية لله وحده لا لغيره • كما أن هذه الدولة الواحدة التى تجعل المؤمنين على اختلاف ألوانهم وألسنتهم وأعراقهم وأمصارهم اخوة فى الله •

غاية الدولة الاسلامية وخصائصها :

ان قيام الدولة والخلافة والولاية واجب ويقول فى هذا الصدد ابن خلدون « ثم ان نصب الامام واجب قد عرف وجوبه فى الشرع باجماع الصحابة والتابعين ، لان أصحاب رسول الله (ص) عند وفاته بادروا الى بيعة أبى بكر (ض) وتسليم النظر اليه فى أمورهم • وكذا فى كل عصر من بعد ذلك ، ولم يترك الناس فوضى فى عصر من الاعصار ، واستقر ذلك اجماعا عادلا على وجوب نصب الامام » • (43)

ويقول الدكتور صبحى الصالح : « ولقد كان منطلق القوم الى اجماع الصحابة على هذه القضية قول أبى بكر يوم السقيفة : « ان محمدا قد مضى لسبيله ، ولا بد لهذا الامر من قائم يقوم به » • وقد صدقه القوم ، ولم يقل له واحد منهم : ان الدين يصلح من غير قائم به » • (44)

وقال الشهر ستانى فى كتابه نهاية الاقدام : « ان الصحابة ، وهم الصدر الاول ، كانوا على بكرة أبيهم متفقين على أنه لابد من امام • فذلك الاجماع ، على هذا الوجه ، دليل قاطع على وجوب الامامة » • (45)

وخلاصة القول أنه لابد للناس من حاكم وان الولاية أي قيام نظام الحكم واجب شرعا وعقلا للناس •

روى الامام أحمد فى المسند عن عبد الله بن عمر (ض) أن النبي (ص) قال : « لا يحل لثلاثة يكونون بفلاة من الارض الا أمروا عليهم أحدهم » • (46)

كما ان الحاكمية فى الدولة الاسلامية لله وحده دون غيره • قال تعالى : « **ان الحكم الا لله أمر ألا تعبدوا الا اياه • ذلك الدين القيم** » (يوسف 40) وقال : « **يقولون هل لنا من الامر شيء • قل ان الامر كله لله** » • (آل عمران 154) •

وقال : « **ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام** » • (النحل 166) قال : « **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون** » (المائدة 45) • فهذه الآيات تصرح بأن الحاكمية لله وحده وبيده التشريع وليس لاحد •

وهكذا يظهر أن الخصائص الاولية للدولة الاسلامية هي :

(43) عد الرحمن بن خلدون • المرجع السابق • ص 339 •

(44) الدكتور صبحى الصالح • النظم الاسلامية نشأتها وتطورها ط 2 • دار العلم للملايين ـ بيروت 1976 • ص 282 •

(45) نقلا عن المرجع السابق ص 284 •

(46) محمد المبارك • آراء ابن تيمية فى الدولة ومدى تدخلها فى المجال الاقتصادى ـ ط 2 • دار الفكر ـ لبنان • ص 26 و 27 •

1 ـ ليس لفرد أو أسرة أو طبقة أو حزب أو لسائر القاطنين فى الدولـــة نصيب من الحاكمية .

2 ـ ليس لاحد من دون الله شيء من أمر التشريع والمسلمون جميعا ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا لا يستطيعون أن يشرعوا قانونا ولا يقدرون أن يغيروا شيئا مما شرع الله لهم .

3 ـ ان الدولة الاسلاميـة لا يؤسس بنيانها الا على ذلك القانون المشرع الذى نزل على النبي (ص) من عند ربه مهما تغيرت الظروف والاحوال والحكومـات التى بيدها زمام هذه الدولة لا تستحق طاعة الناس الا من حيث أنها تحكم بما أنزل الله وتنـفذ أمـــره تـعـالى فى خلقـــه . (47)

أما عن الغاية من قيام الدولة فقد حددها المولى سبحانـــه فى قولـــه : « **لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وانزلنـا معهم الكتاب والميزان ليقـوم النـــاس بالقسط وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس** » . (الحديد 25) وفى قوله : « **الذين ان مكناهـم فى الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمـــروا بالمعروف ونهوا عن المنكر** » (الحج 41) وقوله : « **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكـــر وتؤمنون بالله** » . (آل عمران 110) (48)

وظائفهـــا :

للدولة الاسلامية وظائف متعـــددة أهمهـــا :

1 ـ حراسة الدين وسياسة الديانة .

2 ـ اقامة العدالة الاجتماعية .

3 ـ الامر بالمعـروف والنهي عـــن المنكـــر .

4 ـ التشريع دون الاعتداء عـــلى الحدود المرسومة فى القـــرآن والسنـــــة .

5 ـ تنفيذ أحكام الله فى اطار الهيئة التنفيذية .

6 ـ الوظيفة القضائية .

7 ـ الوظيفة الدينية والخلقية .

8 ـ وظيفـة الدولـــة فى اعـــداد المواطنيـن وتوزيـعهم عـــلى الاعمـــال .

9 ـ الوظيفة الماليـــة .

10 وظيفة الجهاد والدفاع .

11 ـ الوظيفة الاقتصادية .

12 ـ الحسبـــة .

13 ـ الامـــن .

14 ـ رفع مستوى المعيشة . (49)

---

(47) أبو الاعلى المودودى . نظرية الاسلام وهديه فى السياسة والقانـــون والدستور . نقله الى العربية محمد عاصم حداد وغيره . مؤسسة الرسالـــة ـ بيروت 1969 . ص 30 و 31 و 32 .

(48) ن. م. ص 44 الى 50 .

(49) انظر آراء ابن تيمية فى الدولة ومدى تدخلها فى المجال الاقتصادى المذكور أعلاه للدكتور محمد المبارك والمرجع السابق للمودودى و لمحمـــد حميد الله .

قال الله تعالى : « **ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا • يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تاويلا** » (النساء 58 – 59) •

غير أنه ينبغى الاشارة آلى أن الوظيفة الدينية هي السبب الحقيقى لوجود الدولة فى الاسلام (50) قال ابن تيمية : « ان جميع الولايات فى الاسلام مقصودها أن يكون الدين كله لله وأن تكون كلمة الله هي العليا » و « كلمة الله اسم جامع للكلمات التى تضمنها كتابه » • (51) فاصلاح الدين والدنيا وقيام الناس بالقسط فى حقوق الله والعباد واعلاء كلمة الله وهي تعاليم كتابه والامر بالمعروف والنهي عن المنكر تلك هي غايات الدولة ومقاصد الولاية فى الاسلام كما يرى ابن تيمية • (52) •

دستورها :

يعتقد بعض الباحثين أن الدستور الاسلامى يجب أن يتضمن نقاطا أهمها ما يلى :

1 – الحاكمية لله وحده •

2 – التشريع البشرى : لا يجوز له أن يخالف القرآن والسنة •

3 – لا تقوم الدولة على أساس عرقى أو لغوى أو غير ذلك • بل تقوم على مبادىء وغايات ورد التصريح بها ى القرآن والسنة

4 – وظائف الدولة هي الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وحماية الدين والحفاظ على وحدة الامة والقضاء على الفوارق بين أفرادها وضمان الحاجيات الاساسية للمواطنين

5 – يتمتع أهل البلاد فى حدود القانون بجميع الحقوق التى منحتها أياهم الشريعة الاسلامية •

6 – جميع الفرق الاسلامية المعترف بها يتمتع أهلها بالحرية المذهبية التامة فى حدود القانون •

7 – وسكان الدولة من غير المسلمين يتمتعون فى حدود القانون بحرية تامة فى ديانتهم وعبادتهم وثقافتهم وتعليمهم الدينى •

9 – رئيس الدولة مسلم وهو المسوؤل الحقيقى عن تسيير شؤون الدولة • غير أنه يجوز له أن يفوض جانبا من صلاحياته الى فرد أو جماعة •

---

(51) محمد المبارك • المرجع السابق • ص 30 •
(52) ن• م• ص 31 و 32 •

10 ـ يسير الحكومة على منهاج الشورى ·

11 ـ الرئيس منتخب ويمكن عزله ·

12 ـ لا أحد فوق القانون ، لا الرئيس ولا غيره ·

13 ـ الهيئة القضائية منفصلة عن الهيئة التنفيذية · (53)

ولقد استنتج ابن باديس من خطبة أبى بكر (ض) بنودا لا تقل أهمية عن هاته يمكن أن يتضمنها الدستور الاسلامى نجملها فيما يلى :

1 ـ لا حق لاحد فى ولاية أمر من أمور الامة الا بتولية الامة · فالامة هي صاحبة الحق والسلطة فى الولاية والعزل ·

2 ـ ان الذى يتولى أمرا من أمور الامة هو أكفؤها لا خيرها سلوكا ·

3 ـ لا يكون أحد بمجرد ولايته أمرا من أمور الامة خيرا من الامة ، وانما تنال الخيرية بالسلوك والاعمال ·

4 ـ حق الامة فى مراقبة أولى الامر لانها مصدر سلطتهم وصاحبة النظر فى ولايتهم وعزلهم ·

5 ـ حق الوالى على الامة فيما تبذله من عون اذا رأت استقامته فيجب عليها أن تتضامن معه وتؤيده اذ هي شريكة معه فى المسؤولية ·

6 ـ حق الوالى على الامة فى نصحه وارشاده ودلالته على الحق اذا ضل عنه وتقويمه على الطريق اذا زاغ فى سلوكه ·

7 ـ حق الامة فى مناقشة أولى الامر ومحاسبتهم على أعمالهم وحملهم على ما تراه هي لا فيما يرونه هم ·

8 ـ على من تولى أمرا من أمور الامة أن يبين لها الخطة التى يسير عليها ليكونوا على بصيرة ويكون سائرا فى تلك الخطة عن رضى الامة ·

9 ـ لا تحكم الامة الا بالقانون الذى رضيته لنفسها ·

10 ـ الناس كلها أمام القانون سواء لا فرق بين قويهم وضعيفهم ·

11 ـ صون الحقوق : حقوق الافراد وحقوق الجماعات فلا يضيع حق ضعيف لضعفه ولا يذهب قوي بحق احد لقوته عليه ·

12 ـ حفظ التوازن بين طبقات الامة عند صون الحقوق ·

13 ـ شعور الراعى والرعية بالمسؤولية المشتركة بينهما فى صلاح المجتمع · (54)

وان هذه الافكار وغيرها التى قيلت حول الدستور الاسلامى ان دلت على شيء فانما تدل على امكانية الاهتداء

---

(53) أبو الاعلى المودودى · المرجع السابق ص 371 الى 373 ·

(54) عبد الحميد بن باديس · ابن باديس حياته وآثاره · اعداد وتصنيف الاستاذ عمار طالبى · ط 1 ـ دار اليقظة العربية 1967 · الجزء 3 ص 401 الى 404 ·

الى أهم العناصر التى يجب أن يتضمنها الدستور الاسلامى بالرجوع الى القرآن والسنة وسيرة الخلفاء الراشدين مع مراعاة الدراسة المقارنة للدساتير فى العالم ومراعاة واقع الامة الاسلامية ٠

وان البحث فى هذا المجال لا يزال فى بدايته يقول محمد أسد : « وانني أعتقد على الرغم من هذا أن البحث فى المبادىء التى يجب أن يقوم عليها كيان الدولة الاسلامية لم يستنفذ أغراضه ، بل على العكس من ذلك ، فانه فى الحقيقة لا توجد بين الاقطار الاسلامية دولة واحدة يمكن أن تتصف بصفة « الدولة الاسلامية » ، ولذلك يصبح استمرار البحث فى هذا الموضوع أمرا حيويا لا غنى عنه بالنسبة ، على الاقل ، لهؤلاء الذين يشكل لهم الاسلام الحقيقة الجوهرية المهيمنة التى تدور عليها شؤون حياتهم وتفكيرهم » ٠ (55)

ايديولوجيتها :

ان الفكرة الشائعة لدى غلاة اليسارية أن التخلف مرادف للتدين ، والتقدم يتطلب الكفر والالحاد ، حتى يستطيع الانسان فى نظرهم أن يضع جدولا كالجداول الرياضية يكفى بمقتضاه أن تحدد درجة تدين الدولة لكي تعطى لك درجة تخلفها ! ٠٠٠

فهم يدعون أنه من المكن أن ترسم خريطة لهذه البلدان تصل بينها وبين مجموعة من الاطوار ، فتكشف لنا أن أكثر هذه البلدان تخلفا هي البلدان التى لا تزال تعتمد على الايديولوجية الغيبية كقاعدة للدولة والمجتمع ٠

وفى هذا الطريق يمشى ماكسيم رودنسون مع شيء من التخفيف فى الهجوم على الدين اذ يميز موقفه منذ البداية عن موقف :

1 ــ الاستعمار الذى ضخم كثيرا الطابع التعصبى والمضاد للتقدم والمضاد للمعرفة فى الاسلام ٠

2 ــ رينان Renan الذى لاحظ تخلف وتقهقر وانحطاط الشعوب الاسلامية ٠ وعزا ذلك الى السيطرة الوحشية للطقوس الاسلامية المتحكمة فى المجتمع بأكمله دون فصل الجوانب الروحية عن الجوانب الزمنية ٠

يريد رودنسون أن ينصب نفسه مدافعا عن العوامل المؤدية الى التقدم ومحاربا للعوامل المعاكسة له ٠ ومن بين هذه العوامل الايديولوجيات (وهي جملة من المبادىء تسمح بالتقدم أو تعارضه) ٠ ومن ضمن هذه الايديولوجيات فى نظرة الاسلام والمسيحية والماركسية والعقلانية الديكارتية ، غير أنه يميز داخل هذه الايديولوجيات نوعا خاصا يسميه بالايديولوجيا الكلية التى تدعى تنظيم عدد متفاوت الكبر من السلوكات

(55) محمد أسد ٠ المرجع السابق ٠ ص 11 ٠

والافكار وتتوغل الى الحياة الخاصة بالافراد ذاتها ·

ويمكن لهذه الايديولوجيات الا تكون كلية فى بدايتها ثم تصبح كذلك والعكس صحيح ·

ويلاحظ رودنسون من جهة أخرى أن ايديولوجيا الدولة لا تعوق الديناميات الاجتماعية المستقلة ذاتيا عن الاستمرار · وأنها يمكن أن تكون قابلة لاضفاء طابع القدسية على البنية السياسية أو الاجتماعية وعلى نوع الحكم ، وعلى حزمة من السمات الثقافية وعلى عرق بعينه · وان هذا الاضفاء يؤثر على أفراد الجماعة الايديولوجية · ويمكن أن يستخدم كسلاح سياسى قوي ·

وان كل ايديولوجيا اذا جعل منها ايديولوجيا دولة واذا أضفى عليها طابع القدسية الى أقصى حد يمنحها أصلا دينيا وقيمة علمية غير قابلة للدحض ، واذا كان الشك فيها ممنوعا ، واذا كانت فئة من المؤولين المأذونين بيدها احتكار الرأي فيما يتعلق بالنتائج الفكرية والعلمية لهذه الايديولوجيا ، فانها تشكل مكبحا للتقدم العلمى والسياسى والاجتماعى والتقنى · ورودنسون هنا يساند رأي رينان ·

وينتهى رودنسون الى النتيجة التالية وهي أن الاسلام ليس عاملا للتقدم أو للتقهقر · وكل ما يمكن التصريح به هو أن ظروف أصوله قد زودته بطموحات على الصعيدين السياسى والاجتماعى لا يستطيع أن يجسدها ـ من حيث هو مذهب ـ على الصعيد العلمى · وهنا يكمن الخطر · ويستطيع المؤولون المأذونون أن يفرضوا تأويلا يضفون بواسطته على موقفهم المفضل طابع القدسية · غير أن مذهبا ما لا يستطيع أبدا أن يشرط مجتمعا بأكمله ولا تاريخا بأكمله · والاسلام هو ما يستطيع أن يجعل منه المسلمون وما سيجعلون منه · (56)

غير أن حجج رودنسون ليست قوية الى الحد الذى يتصوره ذلك أنه لم يبرهن لنا بالاستناد الى النصوص القرآنية والنصوص المأخوذة من السنة بأن الاسلام كما يزعم ليس فى حد ذاته عاملا للتقدم أو للتقهقر · كما أنه يستعمل مصطلحات غريبة من ضمنها « المؤولون المأذونين » و « اضفاء الطابع القدسى » و « ايديولوجيا كلية » : ان الاسلام فى نظرنا عقيدة سماوية وبالتالى فهو « ايديولوجيا » مفارقة ومنزهة عن العيوب التى يمكن أن تنسب الى الايديولوجيات عادة · وانها لم تجمد المجهود الفكرى فى أي نص من نصوصها بل حثت عليه فى غير ما آية وحديث · كما انها تحث على التقدم غير أنها تجعل التقدم الخلقى محورا وأساسا وهدفا لكل تقدم ·

ان هذه العقيدة أو « الايديولوجيا » ليست احتكارا لفئة ضيقة من الناس بل

(56) Maxime Rodinson. Islam, facteur de son servatisme ou de progrès ? in « Pouvoirs », revue précitée, pp. 27 à 32.

هي سلاح كل مؤمن . غير أن من يحق لهم أن يشرحوها ويبينوا أبعادها وأعماقها هم الراسخون فى العلم من معتنقيها . ولو كانت الايديولوجيا

لعبة بين أيدى الجهلة والمشعوذين لقضوا على لبها وأساسها .

ويمكن أن نشير الى بعض عناصر هذه « الايديولوجيا » وليست قطعا أهمها وليست حتى جزءا بسيطا منها اذ أنه لا يمكن الالمام بها الا بعد دراسة حقيقية للقرآن والسنة النبوية :

- عدم الفصل بين الروح والمادة ، بين العقيدة والشريعة ، بين الدين والدنيا ، بين هذه الحياة والآخرة، بين الحياة الروحية والسياسية .
- تقرير المساواة بين الناس أبيضهم وأسودهم وعربيهم وأعجميهم .
- لا يكن التفاضل بين الناس الا بالتقوى وحدها .
- القضاء على الفوارق بين الناس .
- ترقية الانسان وتوفير اسباب فلاحه ف ىالدارين .
- اعادة الاعتبار للعمل وربطه بالعبادة .
- المؤمتون اخوة .
- دور الدولة الدولة هو حماية الدين وسياسة الدنيا به .
- القضاء على الجهل والامية والحث على طلب العلم والتفكير .
- محاربة الآفات الاجتماعية والاخلاقية .
- محاربة الشرك ومظاهره .
- ضمان حقوق الاقليات المتمثلة فى أهل الذمة .
- تأسيس نظام الزكاة ومنع الربا وتطهير التجارة من رجس الجاهلية
- تحريم الخبائث وتحليل الطيبات .
- رفع درجة المرأة من مجرد بضاعة الى انسان يتمتع بالحقوق والواجبات التى تنص عليها الشريعة .

4) تنظيم السلطة :

1 - شكل الحكومة :

يعتد الاستاذ مالك بن بنى فى كتابه عن الاسلام والديمقراطية أن تجربة الديمقراطية السياسية التى ما فتئت قائمة فى العالم منذ الثورة الفرنسية تدل دلالة قاطعة على عرضية حريات الفرد ما دمنا لم نقدم له فى الوقت نفسه الضمانات الاجتماعية التى ترسى استقلاله المادى .

والامر الذى لا يقبل الجدال فى نظرنا وفى نظر الاستاذ مالك بن نبى هو أن النظام الذى يمنح للفرد حرية الانتخاب ويحرمه مما يسد به رمقه ليس بنظام ديمقراطى مطلقا .

ولقد رأينا فى البلدان المتقدمة سياسيا كيف أن المواطن الحر يمكن أن يصبح بالفعل عبدا للمصالح القوية

المتحالفة ، وكيف أنه يفقد لنفس السبب كل الامتيازات التى منحها له نظريا تصريح بحقوق الانسان ودستور ليس لهما آثار ملموسة فى حياته ·

ولقد لاحظنا فى البلدان التى تعانى من فقدان التوازن بين الجانب السياسى والجانب الاجتماعى السالف الذكر ميلاد صراع الطبقات الذى يمكن أن يفضى الى ارساء نوع من الديمقراطية لا تمنح للمواطن الضمانات الاجتماعية الضرورية الا على حساب الحريات السياسية ذاتها ·

وقد تفادى الاسلام فى نظر مالك بن نبى وفى نظرنا هذه الهوة الساحقة بايجاد الحلول للحياة المادية للفرد ومنحه الحريات السياسية فى نفس الآن ، وبهذا الصدد يمكننا أن ننظر الى الاسلام على أنه تركيب للديمقراطية السياسية والديمقراطية الاجتماعية ·

غير أن أبا الاعلى المردودى يعترض على وصف الدولة الاسلامية بأنها ديمقراطية · فهي فى نظره ليست ديمقراطية · ذلك أن الديمقراطية هي عبارة عن منهاج للحكم تكون فيه السلطة للشعب جميعا ، فلا تغير فيه القوانين ولا تبدل الا برأي الجمهور ولا تسن الا حسب ما توحى اليهم عقولهم · فلا يتغير فيه من القانون الا ما ارتضته أنفسهم وكل ما لم تسوغه عقولهم يضرب به عرض الحائط ويخرج من الدستور ·

ويؤثر أبو الاعلى المودودى فى مصطلح « الثيوقراطية الديمقراطية » أو « الحكومة الالهية الديمقراطية » لهذا الطراز من نظم الحكم لانه قد خول فيه للمسلمين حاكمية شعبية مقيدة · (57) وذلك تحت سلطة الله القاهرة وحكمه الذى لا يغلب · ولا تتألف السلطة التنفيذية الا بآراء المسلمين وبيدهم يكون عزلها من منصبها وكذلك جميع الشؤون التى لا يوجد عنها فى الشريعة حكم صريح لا يقطع فيها بشىء الا باجماع المسلمين · وكلما مست الحاجة الى ايضاح القانون أو شرح نص من نصوص الشرع ، لا يقوم ببيانه طبقة أو أسرة مخصوصة فحسب بل يتولى شرحه وبيانه كل من بلغ درجة الاجتهاد من عامة المسلمين · (58)

ويعتقد الدكتور طه حسين من جهته أن نظام الحكم آنذاك لم يكن نظام حكم مطلق ، ولا نظاما ديمقراطيا على نحو ما عرف اليونان ، ولا نظاما ملكيا أو جمهوريا أو قيصريا مقيدا على نحو ما عرف الرومان ، وانما كان نظاما عربيا خالصا (يريد بذلك اسلاميا) بين الاسلام له حدوده العامة ، وحاول المسلمون أن يملأوا ما بين هذه الحدود من جهة أخرى · (59)

(57) أبو الاعلى المودودى · نظرية الاسلام وهديه ··· ص 33 الى 35 ·
(58) ن· م· ص 36 ·
(59) طه حسين · المرجع السابق ص 682 ·

ولا أدرى لماذا يريد الباحثـــون أن يوحدوا نظام الحكم فى الاسلام باحدى النظم السياسية الوضعية • فلئن كان نظام « الخلافة » وهذه هي تسميتـــه الحقيقية يشبه بعض النظم الوضعيـــة من جوانب فهو يختلف عنها من جوانب أخرى •

ومن مميزات نظام الحكم الاسلامى ما يـــلى :

1 ـ ان المجتمع الذى يكون كل عضو منه خليفة لا يتسرب اليه فساد التفريق بين الطبقات ولا شر الامتيازات التى تأتى من جهة الحياة الاجتماعية والفوارق النسبية ويكون أفراد هذا المجتمـــع سواسية لا يكون لاحد فضل على آخـر الا من جهة المواهب الشخصية والسجايا الذاتية • فليس لاحد فضل على أحد الا بدين أو تقــوى •

قال رسول الله (ص) : « يا معشـر قريش ! ان الله قد أذهب عنكم نخـوة الجاهلية وتعظمها بالآبـاء ، أيهـــا الناس : كلكم من آدم وآدم مـــن تراب لا فخر للانساب ، لا فضل للعربى على العجمى ، ولا للعجمى على العـــربى « **ان أكرمكم عند الله أتقاكم** » •

2 ـ وفى مثل هذا المجتمع لا تحـول عقبات النسل أو الحرفة أو المنزلة فى المجتمع بين الفرد أو جماعة من الافراد وبين مواهبهم الشخصيـــة وتنميـــة سجاياهم وملكاتهم المستودعـــة فى نفوسهـــم •

3 ـ لا يكون لرجل أو طائفة أن تستبد بالامر أو تتسنم عرش الديكتاتورية •

4 ـ ومن حق كل فرد فى هذا المجتمع سواء كان ذكرا أو أنثى أن يكون لـه رأي فى مصير الدولة وابداء الرأي • (60)

5 ـ ولي الامـر نابـع مـن مجلس الشورى ومن عامة الناس • يشـــاور وهو مسؤول عن أفعاله •

6 ـ البعد عن النظام الحزبى •

7 ـ المحاسبة والمراقبة •

8 ـ توفر الصفات الحميدة فى أولى الامــــر • (61)

9 ـ حكومة انتخابية وشورية ذلـك أن لفظ بينهم فى الآية « **وأمرهم شورى بينهم** » يدل على ذلك • (62)

وهكذا يصبح شكـلالحكومـــة فى نظرنا أساسيا لا ثانويا كما يعتقد حميد اللـــه • (63)

ونظام الحكم مع ذلك فريد من نوعه انه خلافة شورية تخضع للتشريع المنزل من عند الله وتعين بواسطة البيعة •

---

(60) أبو الاعلى المودودى • المرجع السابق • ص 50 و 51 •
(*) فى عهد الخلفاء الراشدين •
(61) أبو الاعلى المودودى • تدوين الدستور الاسلامى • دار الفكر ص 62 و 63
(62) محمد أسد • المرجع السابق . صمن 67 الى 93 •

2) أولو الامر أو الهيئة التنفيذية :

اذا كان ابن تيمية يرى فى كتاب الحسبة أن أولى الامر هم أصحابه وذووه : « وهم الذين يأمرون الناس وذلك يشترك فيه أهل اليد والقدرة وأهل العلم والكلام ٠

ولهذا كان أولوا الامر صنفين العلماء والامراء فاذا صلحوا صلح الناس واذا فسدوا فسد الناس » ٠ (64) فاننا نقصر هذا الاسم على ما نطلق عليه فى وقتنا الحالى اسم السلطة التنفيذية ٠

وعلى أولى الامر عامة المشاورة حتى لا يستبدوا برأيهم وحتى لا يقهر رعاياهم وحتى يجلبوا ثقتهم ٠ وان الرسول (ص) الذى لا ينطق عن الهوى والذى كان معصوما من الخطا قد أمره الله بأن يشاور أمته فى الامر : « **وشاورهم فى الامر** » ٠ ومن واجب الرعية بذل النصح لاولى الامر حتى لا يزيغوا عن جادة الصواب ٠ ولتقتد الرعية بذلك المؤمن الذى قال لعمر « والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا » وليقتد أولو الامر بعمر الذى أجاب بحمد الله والثناء عليه أن جعل فى الامة الاسلامية من يقوم اعوجاجه بسيفه » ٠ (65)

ــ انتخاب رئيس الدولة : اختلف المسلمون فى تسمية رئيس الدولة وأطلقت عليه ثلاثة ألقاب مختلفة وهي . الخليفة والامام وأمير المؤمنين ٠ غير أن اللقب الذى أجمع عليه المسلمون هو خليفة رسول الله ٠ قال ابن خلدون : « وأما تسميته خليفة فلكونه يخلف النبي فى أمته ، فيقال : خليفة باطلاق ، وخليفة رسول الله ٠ واختلف فى تسميته خليفة الله ٠ فأجازه بعضهم اقتباسا من الخلافة العامة التى للآدميين فى قوله تعالى : « **انى جاعل فى الارض خليفة** » وقوله : « **جعلكم خلائف الارض** » ٠ ومنع الجمهور منه ، لان معنى الآية ليس عليه ، وقد نهى أبو بكر عنه لما دعي به ، وقال : « لست خليفة الله ولكنى خليفة رسول الله » (ص) ، ولان الاستخلاف انما هو فى حق الغائب ، وأما الحاضر فلا » ٠ (66)

ان النبى (ص) لم يأمر المسلمين ويهديهم هداية صريحة قاطعة فى من يكون خليفتهم من بعده ٠ والذى فهمه الصحابة من هذا السكوت ومن الآية « **وأمرهم شورى بينهم** » أن الله تعالى قد خيرهم فى تولية الرئيس لدولتهم بعد نبيه بالانتخاب وأنه ينبغى أن يكون هذا الانتخاب بمشاورة المسلمين فيما بينهم فانتخوا أبا بكر الصديق خليفة

---

(64) محمد المبارك ٠ المرجع السابق ٠ ص 32 ٠
(65) ن٠ م٠ ص 38 ٠
(66) عبد الرحمن بن خلدون ٠ المرجع السابق ٠ ص 339 ٠

على أنفسهم فى جمع حافل من المسلمين وبايعوه على السمع والطاعة . (67)

ويرى ابن تيمية فى هذا الصدد أن تعيين الامام يكون بالاختيار لا بالنص أو العهد ممن قبله . وهو يقول : « ومذهب أهل السنة ان الامامة تنعقد عندهم بموافقة أهل الشوكة ... الذين يحصل بهم مقصود الامامة وهو القدرة والتمكن » . (68) وقال آيضا : « فلا يشترط فى صحة الامامة الا اتفاق أهل الشوكة والجمهور قال النبى (ص) : « عليكم بالجماعة فان يد الله على الجماعة » . (69)

وهكذا يكون مصدر سلطة الامام مبايعة الجمهور له ورضاهم به . أليس حب الرعية والشعب دليلا على صلاحه واستقامته ؟ (70)

فما معنى البيعة يا ترى ؟ انها : « العهد على الطاعة ، كأن المبايع يعاهد أميره على أنه يسلم له النظر فى نفسه وأمور المسلمين ، لا ينازعه فى شيء من ذلك ، ويطيعه فيما يكفله به من الامر على المنشط والمكره . وكانوا اذا بايعوا الامير وعقدوا عهده جعلوا أيديهم فى يده تأكيدا للعهد ، فاشبه ذلك فعل البائع والمشترى ، فسمى بيعة، مصدر باع ، وصارت البيعة مصافحة بالايدى » . (71)

غير أن البيعة فى نظر الشرع تكون على الطاعة فى المعروف لا فى معصية الله . ولقد ورد فى نص بيعة النساء للرسول (ص) « ولا تعصيننى فى معروف » ولم يقل و « لا تعصيننى » ومن المعلوم أن الرسول (ص) لا يأمر الا بالمعروف غير أنه ذكر ذلك للتشريع .

وان صلاحيات الخليفة وأولى الامر عموما محدودة ضمن ما قد وضع الله لها من الحدود . فما لهم أن يأتوا بشيء الا ضمن هذه الحدود ولا يجوز لهم أن يتجاوزوها فى أي حال من الاحوال .

قال الله تبارك وتعالى : « **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر** » (النساء 59) . (73)

وان طاعة الامام لذلك مقيدة وهو غير معصوم . وليس عند أهل السنة من

---

(67) أبو الاعلى المودودى . تدوين الدستور الاسلامى . ص 46 الى 48 .
(68) محمد المبارك . المرجع السابق . ص 35 و 36 .
(69) ن . م . ص 26 .
(70) ن . م . ص 37 .
(71) ابن خلدون . المرجع السابق ص 370 .
(72) الدكتور محمد سعيد رمضان البوطى . فقه السيرة . ط 5 دار الفكر 1973 ص 356 .
(73) محمد المبارك . المرجع السابق ص 29 .

يجـــب أن يطـــاع فى كـــل شىء الا الرسول (ص) · أما الامام الحق فليس بمعصوم ولا يجب عـلى الانســـان أن يقاتل معه كل من خرج عن طاعته ولا أن يطيعه الانسان فيما يعلم أنه معصية · (74)

وهكذا تصبح مهمة الهيئة التنفيذية محصورة فى تنفيذ الاحـكام الالهيـــة وتهيئة الظروف فى البلاد وفى المجتمـع لتنفيذها · أعضاؤها هم أولو الامـــر وطاعتهم مشروطة بطاعتهم لله · قال الله تعالى : « **ولا تطع أمر المسرفيـــن الذين يفسدون فى الارض ولا يصلحون**» · (الشعراء 151) · (75)

وان الاحكام كلها قد تلقتها الامـــة عن النبى (ص) ولا تحتاج فيهـــا الى امام وانما الامام منفذ لـما شرعـــــه اللـــه · (76)

4) الهيئـــة القضائيـــة :

ان حدود هذه الهيئة هي حاكمية الله القانونية · والانبياء هـم القضـــــاة الاولون وقد حكموا بما أنزل اللـــه · وعلى أولى الامر أن يتقيدوا فى أحكامهم القضائية بما أنزل الله ·

كما أن القضاء فى الاسلام لا يخضع لاحد ولا لسلطة ولا لهيئة الا لما أنـــزل الله على رسوله ولسنة نبيه (ص) ·

ولقد بينت الآيات من 42 الى 50 من سورة المائدة حدود السلطة القضائية · وتوجد آيات أخرى فى سور غيرها تبين مهام السلطة القضائية وحدودها ·

ويمكن تلخيص المبادىء الواردة فى الآيات المذكورة من سورة المائدة فيمـا يـــلى :

- الامر بأن يكون الحكم بالقسط ·
- يذكر الله بحكم التوراة وحكـــم الانجيل وحكم الله الذى حكم به النبيون من قبل ·
- يصف من لا يحكم بما أنزل اللـــه بأنهم هم الكافـرون والظالمـــون والفاسقـــون ·
- الامر بالحكم بما أنزل الله وعـدم اتباع الهـــوى ·
- ما دون ذلك هو حكم الجاهلية o

وعلى هذا فان محاكم الدولة تنشـأ لتنفيذ القانـون الالهى لا لمعارضتـــه ومحاربته · (77) ان السلطة القضائية مبنية على تساوى الناس أمام القانون بما فى ذلك رئيس الدولة نفسه · كما أن أهل الذمة يتمتعون بالاستقلال الذاتى فى الميدان القضائى ولهم محاكمهـــم وقضاتهم · وعلى هذا يطلب القرآن فى الآيات المذكورة أعلاه من أهل التوراة وأهل الانجيل أن يحكمـوا بما أنـــزل اللـــه · (78)

---

(74) ن · م · ص 40 ·
(75) ن · م · ص 33 و 34
(76) ن · م · ص 38 ·
(77) أبو الاعلى المودودى · نظرية الاسلام وهديه ··· ص : 267 و 268 ·
(78) Mohammad Hamidullah. Op. cit. p. 106.

5) مجلس الشــورى ــ أهل الحــل والعقد : أو السلطة التشريعية :

وظيفة المجلس التشــريعى الاسلامى هي أن يضع القواعد واللوائح لتنفيــذ الاحكام الواضحة القاطعة الواردة فى كتاب الله وسنة رسوله · وأن ينظر فى الامور التى تحتمل فيها أحكــام اللــه ورسوله تأويلات عديدة دون تغييــر أو تحريف · وأمــا الامــور الــتى لــم ترد فيها أحكام الشريعة فللمجلس أن يضع فيها القوانين وفقــا لمبــادىء الدين انه يعمــل على مراعاة ما هــو أنسب وأوفق لمصالح الناس دون منافاة مبدأ شرعى · (79)

وان التنفيذ بعرف سلفنا يشمــــل ما يسمى بعرفنا تشريعا · كما لو منع الحاكم نوعا من الاعمال والتصرفــات المباحة أو قيدها لمفسدة تنشــأ عنهــا تطبيقا لقاعدة شرعية أو وضع ضوابط لتحديد الاجور مثلا منعا للجور فــهذا وأمثاله فى نظر الفقــهــاء المتقدميــن لا يسمى تشريعا وانما تنفيذ · (80)

وعلى هذا يجدر بنا أن نراعى هــذا الاختلاف فى المصطلحات أثناء تحديدنا لمهام السلطة التشريعية · فهي لا تشرع الا فيما لم يرد فيه نص صريح من القرآن والسنــــة ·

وبهذا ترتسم أمامنا حدود المجالس التشريعيــة فلا يجــوز لها أن تضــع قانونا يخالف كتــاب اللــه وسنــــة رسوله (ص) · قال تعالى : « **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن تكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضــــلالا مبينــا** » (الاحزاب 36) · (81)

النص على الشورى فى القرآن :

1 ــ فى سورة آل عمران :

قال تعالى : « **فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين** » · (الآية 159)

وتهدف هذه الآية الى التأليف بيــن قلوب المؤمنين بواسطة الشورى وتعويدهم عليها كمنهاج فى معالجة الامور ·

2 ــ فى سورة الشورى :

قال تعالى : « **والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون** » · (الآية 38)

توضح هذه الآية أن الشورى ركيــزة من ركائز المجتمع الاسلامى وتقــرر الشورى كعنصر من عناصر الشخصية الايمانية الحقة · وتذكــر لنا حالــة المؤمنين الاولين الذين كانوا لا ينفردون

---

(79) محمد المبارك · المرجع السابق · ص 30 الى 33 ·
(80) ن· م· ص 39
(81) ن· م· ص 31 ·

برأي حتى يتشاوروا عليه وذلك من فرط تدبرهم ويقظتهم وصدق تآخيهم فى ايمانهم وتحابهم فى الله ·

3 ـ فى سورة طه :

قال تعالى على لسان موسى : « **واجعل لى وزيرا من أهلى ، هرون أخى ، اشدد به أزرى ، واشركه فى أمرى** » · (الآيات 29 الى 32)

ويعتقد أبو الحسن على بن محمد البصرى البغدادى أن هذه الآيات تدل على أهمية المشاورة ذلك أنه يفهم منها أنه اذا جاز ذلك فى النبوة كان فى الامامة أجوز ·

4 ـ فى سورة النمل :

قال تعالى متحدثا عن ملكة سبا : « **قالت يا أيها الملأ افتونى فى أمرى ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون** » · (الآية 32)

ويبين المفسرون أن هذه الملكة طلبت من قومها أن يشيروا عليها فى الامر الذى نزل بما عندهم من الرأي ما كان لها أن تمضى حكما حتى يحضروا ويكونوا شاهدين وذكروا أن أهل الشورى عندها كان عددهم 314 رجلا ·

الشورى فى السنة :

1 ـ السنة العلمية :

ـ شاور رسول الله (ص) فى غزوة بدر قبل أن تبدأ المعركة أصحابه قبل الاقدام على القتال وعند المعركة فيما يتعلق باختيار المكان وبعد انتصار المسلمين فى مسألة الاسرى ·

ـ شاور الرسول (ص) أصحابه قبل أن تبدأ غزوة أحد هل تدور المعركة داخل المدينة أو خارجها ·

ـ شاور الرسول (ص) فى غزوة الاحزاب سلمان الفارسى الذى أشار عليه بحفر الخندق ·

ـ شاور الرسول (ص) يوم الحديبية فى آن يميل على ذرارى المشركين ويقتلهم ·

ـ شاور الرسول (ص) فى بيعة الرضوان فى أمر قتال قريش فبايعوه جميعا على الحرب ·

2 ـ السنة القولية :

قال (ص) : « ما ندم من استشار ولا خاب من استخار » ·

وقال : « ما شقى قط عبد بمشورة وما سعد باستغناء رأي » ·

وقال : « المستشار مؤتمن » ·

وقال : « استعينوا على أموركم بالشورى » ·

وخلاصة القول أن الشورى واجبة بالنص القرآنى وبمقتضى سنة رسول الله (ص) · (82)

(82) د· يعقوب محمد المليجى · مبدأ الشورى فى الاسلام · مؤسسة الثقافة الجامعة · الاسكندرية · ص من 84 الى 97 ·

من هم أهل الحل والعقد ؟

1 ـ الفقهاء المجتهدون الذين يعتمد على أقوالهم فى الفتيا واستنباط الاحكام وأهل النبوغ العلمى والفقهى ·

2 ـ وأهل الخبرة فى الشؤون العامة

3 ـ ومن لهم نوع قيادة أو رئاسة فى الناس كزعماء البيوت وشيوخ القبائل ورؤساء المجموعات وذوو السيادة فى القوم والسؤدد ·

4 ـ وذوو المزايا العقلية والنفسية الظاهرة والصفات الخلقية الرفيعة والرأي السديد الذى يحظى بثقة المسلمين ·

5 ـ ذوو الاسبقية فى الايمان والجهاد فى سبيل الله · (83)

تشكيل مجلس الشورى :

بعد أن يؤكد محمد حميد الله ضرورة الشورى · ويوضح الصفات التى يجب أن تتوفر فى أعضائه وهي النزاهة والثقة من طرف الناس الذين اختاروهم · وهو يعتقد أن طريقة الانتخاب وعدد المقاعد من الشكليات · (84)

الا أن هذا الحكم لا يثنينا بأية حال من الاحوال عن استنباط قاعدة كلية من تعامل الصحابة فى عهد الخلافة الراشدة بل من الاسوة النبوية ذاتها مفادها أن الخليفة لا ينبغى له أن يشاور فى الامر من يشاء ، أو أن ينتخب هذا الذى يشاور بنفسه ، بل يجب عليه أن يشاور فى أمر المسلمين من يكون حائزا لثقة عامتهم وقد يكون الناس على اطمئنان من اخلاصه ونصحه وأمانته وأهليته وتضمن مشاركته فى أقضية الحكومة بأن الامة ستمد الى الحكومة يد التعاون فى تنفيذ هذه الاقضية · (85)

5 ـ **العلاقة بين أركان الدولة** : يمكن أن نلخص هذه العلاقة فيما يلى :

1) ينبغى أن يكون أهل الحل والعقد رجالا تدبر بمشورتهم شؤون البلاد ويقضى فى المسائل التشريعية ·

2) القائمون بالحكم والادارة أمراء آخرون ليسوا من أهل الحل والعقد وليس لهم تدخل فى التشريع ·

3) القضاة رجال آخرون غير هؤلاء وأولئك ليس لهم شىء من المسؤولية عن شؤون البلاد الادارية ·

4) تنتهى مهمة أهل الحل والعقد عند بدء التنفيذ ·

5) اذا كان الخليفة هو الذى يعين القضاة فهو لا يتدخل فى قضائهم · بل اذا كان لرجل دعوى على الخليفة لابد أن يحضر أمام القاضى كعامة الناس · (86)

---

(83) ن · م · ص 158 و 159 ·
(85) أبو الاعلى المودودى · تدوين الدستالر الاسلامى · ص 57 ·
(86) ابو الاعلى المودودى · المرجع السابق · ص 36 الى 44 ·

6) ضرورة التحكيم بين هذه الاركان : ويكون التحكيم على أساس من كتاب الله وسنة رسوله (ص) . (87)

5 الصفات التى يجب توفرها فى أولى الامر وكل من يتولى سلطة من السلطات :

من أهم صفات أولى الامر ومؤهلاتهم :

- الاسلام
- الرجولة
- العقل والبلوغ
- سكنى دار الاسلام
- التقوى
- **الاهلية**
- بسطة العلم والجسم
- لا يولى من يجرى وراء مسؤولية (88)
- الامانة
- القوة أو القدرة والتمكن أو السلطة الفعلية بمقتضى قوله تعالى : « **ان خير من استأجرت القوي الامين** » . **(89)**

- غير أن صفة القرشية قد اعترض عليها البعض . واذا كان أهل السنة كلهم يرون هذه الصفة فان الخوارج مثلا يعتقدون أن أمر المسلمين لا ينبغى أن ينحصر بين أيدى قريش .

وحجة أهل السنة هي الحديث الذى رواه أبو بكر الصديق الذى قال قال رسول الله (ص) : « الائمة من قريش » وما ثبت فى الصحيح : « لا يزال هذا الامر فى هذا الحي من قريش » .

أما حجج غيرهم فتعتمد على قوله (ص) : « اسمعوا وأطيعوا وان ولى عليكم عبد حبشى ذو زبيبة » ويعتقد ابن خلدون أنه « لا تقوم به حجة فى ذلك ، فانه خرج مخرج التمثيل والفرض للمبالغة فى ايجاب السمع والطاعة » .

ويعتقد ابن خلدون أن مقصد الشريعة من اشتراط القرشية هو توفر عنصر العصبية الذى لابد منه لقيام الدولة فى نظره . (90)

غير أن هذا المقصود فى رأينا مستبعد وربما كان المقصد من وراء هذا الحديث هو حسم الخلاف بين المسلمين بعد وفاة الرسول حتى يهتدوا الى الخليفة دون اقتتال أو تنازع .

أما شروط الخلافة فى نظر ابن خلدون بالاضافة الى الشرط المختلف حوله فهي : العلم والعدالة والكفاية وسلامة الحواس والاعضاء . (91) وقد أشرنا الى هذه الشروط اجمالا فيما تقدم .

---

(87) محمد أسد . المرجع السابق . **ص 121 الى 127** .
(88) أبو الاعلى المودودى . **المرجع السابق . ص 63 الى 67** .
(89) محمد المبارك . **المرجع السابق ص 43** .
(90) ابن خلدون . المرجع **نفسه . ص 343 الى 345** .
(91) ن . م . ص 343 .

وينفى معظم المحدثين شرط القرشية وفى مقدمتهم حميد الله الذى يقول ان سنة سيدنا محمد لا تلزم القرشية فان الرسول (ص) عند خروجه من المدينـة مركز الدولة الاسلامية استخلف مـن قريش ومن المدينة ومن كنانة ٠ (92)

وقد قال الرسول (ص) « ولو استعمل عليكم أسود يقودكم بكتاب الله » ٠

وفى رواية « عبد حبشى كأن رأسه زبيبة فاسمعوا وأطيعوا » ٥ (93)

6 الاحكام التى يخضع لها من يتـولى السلطـة :

١ ـ كلكم راع وكلكم مسؤول عـن رعيته ٠٠٠ الامام راع ومسؤول عـن رعيتـه » ٠

٢ ـ لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق

٣ ـ **« يا أيها الذين آمنـوا كـونـوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هـو أقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملـون » ٠**

4 ـ « ان والله لا نولى هذا العمـل أحدا سأله ، أو أحدا حـرص عليه » ٠

5 ـ **« ان اللـه يأمركـم ان تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بيـن الناس أن تحكموا بالعدل » ٠**

6 ـ **« وهو الذى جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكـم » ٠**

7 ـ **« يا أيها الناس اناخلقناكم مـن ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائـل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم » ٠**

8 ـ هم فرسان بالنهار رهبان بالليل، لا يأكلون فى ذمتهـم الا بثـمـن ، ولا يدخلون الا بسلام ، يقضون عـلى من حاربوا حتى يأتون عليه ٠ (94)

7 ـ الخاتمـة :

نصل الآن الى خاتمة المطاف بالنسبة لهذا البحث لنؤكد على ما يلى :

١ ـ ان العالم قد خسر خسرانـا مبينا بزوال نظام الخلافة الاسلاميـة الذى هو أرقى النظـم السياسـية فى العالم بخلوه من النفـاق السيـاسى واعتماده على تشريع لا يأتيه الباطـل من بين يديه ولا من خلفه ٠

٢ ـ يستطيع العالم الاسـلامى فى وقتنا الحالى أن ينحو نحو نظام الخلافة تدريجيا بأن يبدأ بالسوق الاسلاميـة المشتركة كما يقترح الدكـتور محمـود محمد بابللى أو بالكومولـث الاسلامى كما يقتـرح مالـك بن نـبى أو مجلس

---

(93) محمد المبارك ٠ المرجع السابق ٠ ص ٤١ ٠

(94) أبو الحسن الندوى ٠ المرجع السابق ص ١١٢ الى ١١٧ ٠

الخلافة الذى يجمع رؤساء جميع الدول الاسلامية من سنة وشيعة وخوارج تكون رئاسته بالتداول كما يقترح حميد الله · وهذه اقتراحات يمكن دراستها فى بحث قادم ·

3 – غير أن الهدف الاسمى للمسلمين هو استعادة الخلافة الاسلامية وتدوين الدستور الاسلامى وانتخاب مجلس شورى وخليفة ·

4 – تحديد أعماق وأبعاد الايديولوجيا الاسلامية ·

كل هذه الامور ليست بمستحيلة اذا تظافرت جهود العلماء والسياسيين وما ذلك على الله بعزيز ·

الحصانة الدينية للشخصية الجزائرية

د٠ أحمد بن نعمان

من عظائم حكم الخالق فى شؤون خلقه انــه ابدع مــا شاء ووفر لكل مخلوقاته وسائل المقاومة من أجل البقاء الى أجل يعلمه ٠٠٠

واذا صرفنا النظر عن الكائنات الدنيا كالنباتات والحيوانات العجمى ، وركزنا عــلى الحيوان النــاطق باعتباره ارقــى المخلوقات ٠٠٠ فاننا نلفيه أكثر حظــا مما عداه فى التوفر على وسائل المقاومة من أجل البقاء ، ولعل ذلك راجع لضعفه البيولوجى من جهة ، ورفعة قيمته الفكرية التى جعلته مستخلفا فى الارض ومسؤولا عن تحمل الامانة ، التى عجز عن حملها ما دونه من الكائنات من جهة أخرى ٠٠٠

على ان هذه الوسائل المادية والمعنوية ، قــد وهبت للانسان فــردا فى جماعة ، وجماعة فى أمــة للمحافظة على الكيــان المــادى البيولوجى ، والكيان المعنوى الثقافى الذى يكون الشخصية الــوطنية المميزة للمجتمعات والامم ٠٠ واذا كان الانسان على الصعيد البيولوجى يرث ، ويكتسب مجموعة من المحصنات التى تمنح جسده المناعة ضد الامراض ٠٠٠ فكذلك الانسان ـ بوصفه كائنا اجتماعيا ـ يرث ويكتسب محصنات كثيرة تمنــح كيانه الاجتماعى مقومات البقاء ، والمقاومة ضد العوامل التى تستهدف القضاء عــــلى شخصيته المتميزة ، وسنضرب صفحا عن المحصنات الجسدية المعروفة فى عــالم الطب ، لنتحدث عن العوامل التى تكسب المجتمع مناعة تمكنه عن المقاومة والمحافظة على مكوناته ، وخصائصه المميزة لــه عن سائر الاغيار من المجتمعات فى العالم وهــذه المحصنات الاجتماعية تتمثل فى كل النظم الاجتماعية السائدة فى حيــاة الافراد ، بقطع النظر عن درجة فعاليتها التى تختلف من مجتمع لآخر ٠

وبما ان الدين فى مجتمعنا يعتبر مــن أقــوى النظم (الاجتماعية ـ الثقافية)

المؤثرة فى الافراد والمتأصلة فى نفوسهم فاننا ارتأينا ان نتحدث عن قوة الحصانة التى يمنحها الدين الاسلامى للشخصية الوطنية ، من أجل الصمود ، والبقاء أمام الهزات العنيفة التى تعصف بها من حين لآخر فى خضم الصراع العنيف الدائر بين الثقافات والحضارات والنظم ... ومن باب اختبار أصالة هذه الشخصية سنتناولها بالبحث فى الفترة التى تمثل أكبر امتحان لها ، وهى فترة الاحتلال الاجنبى ، لان الاصالة الحقيقية للاشياء تظهر أيام العسر أكثر مما تظهر أيام اليسر والرخاء . وهكذا نلمس بقوة أكبر محك للحصانة الدينية للشخصية الجزائرية فى الصراع الطويل ، الذى دار بين الاصيل والدخيل على الساحة الوطنية فكيف تم ذلك الصراع ؟ وما هى فاعلية الحصانة الدينية للمحافظة على الشخصية الوطنية بكل خصائصها المتميزة عن شخصية المستعمر الدخيل ؟

من التعاريف الشاملة للاستعمار انه (استيلاء دولة على قطر من الاقطار وادارة شؤونه والعمل على استثمار مرافقه المختلفة ، اما بيد مهاجرين يرحلون اليه ، أو بيد سكانه الاصليين أو باشتراك كلا الفريقين ، والدولة المستعمرة تضمن فى هذا العمل لنفسها ولقومها أعظم فائدة تستطيع الحصول عليها) (1) .

الا ان الاستعمار الفرنسى فى الجزائر كان يهدف - زيادة على الاستغلال الاقتصادى والاستحواذ السياسى - الى جعل الجزائر قطعة لا تتجزأ من التراب الفرنسى أرضا ، ولغة ، وثقافة ، ودينا ، وقد انتهج لذلك سياسة الفرنسة وهى احلال اللغة الفرنسية محل اللغة العربية فى جميع مجالات الحياة الاجتماعية ، حتى يصبح المجتمع الجزائرى فرنسى اللسان والثقافة ، وينقطع بذلك عن تاريخه ، ويفقد مقومات شخصيته القومية تدريجيا ويذوب فى بوتقة الامة الفرنسية ... فقد جاء فى احدى التعليمات الصادرة الى حاكم الجزائر غداة الاحتلال « ان ايالة الجزائر لن تصبح حقيقة (مملكة فرنسية) الا عندما تصبح لغتنا هناك قومية ، والعمل الذى يترتب علينا انجازه هو السعى وراء نشر اللغة الفرنسية بين الاهالى الى ان تقوم مقام اللغة العربية الدارجة بينهم الآن » (2) وهكذا شرعت

---

(1) الامير مصطفى الشهابى ، الاستعمار ، معهد الدراسات العربية بالقاهرة (1955 الجزء الاول ص 21 - 22) .

(2) ساطع الحصرى ، ما هى القومية ؟ دار العلم للملايين بيروت 1958 ص 73 .

الادارة الفرنسية فى تطبيق سياسة الفرنسة فى مختلف مجالات الحياة الاجتماعية مبتدئة بمجال التعليم • وعن فرنسة التعليم يقول المؤرخ الجزائرى أحمد توفيق المدنى « كان التعليم ايام الحكومة الفرنسية استعماريا بحتا لا يعترف باللغة العربية ولا يقيم لوجودها أى حساب ، فاللغة الفرنسية هى وحدها لغة التدريس فى جميع مراحل التعليم » (3) •

فقد كان التعليم كله باللغة الفرنسية ، بقصد تنشئة أفراد المجتمع الجزائرى على اللغة الفرنسية وحدها فيتذوقونها ، ويطلون بها على الثقافة الفرنسية فيتأثرون بها ، ويتحمسون لها فى غياب معرفتهم للغة العربية •• ولم تكتف الادارة الاستعمارية بفرض اللغة الفرنسية فى التعليم الرسمى فى الجزائر ، بل كانت تطلب من الاعيان الجزائريين ان يرسلوا بابنائهم الى فرنسا ليتعلموا اللغة الفرنسية ، وعن ذلك يقول المؤرخ الجزائرى حمدان خوجة الذى عاصر كل أحداث الغزو الفرنسى : « •• وبهذه المناسبة جمع السيد (كادى دوفو ـ شيخ البلدية)المجلس البندىوكنت عضوا فيه لتهنئة الجنرال (كلوزيل) بالعودة سالما ، وعلى اثر الزيارة اخبرنا بالتقارير التى وصلته ، وقال بانه عملا على راحته وللتدليل على الثقة للحكومة الفرنسية ، يجب ان نجمع على الاقل (50 طفلا) من أبناء الاعيان يبعثون الى فرنسا ليتعلموا اللغة •• ايد شيخ البلدية هذا الطلب واقترح ان يشرع فى تنفيذه وقال : ان رفض ارسال الاطفال الى فرنسا يعتبر خروجا عن طاعة الفرنسيين والذى لا يريد الامتثال الى هذا الاجراء يجب ان يخرج من مدينة الجزائر » (4) •

وكان الهدف من المطالبة بارسال الاطفال الى فرنسا هو تكوين نخبة من الجزائريين الذين يعلمون باللغة الفرنسية حسب خطة مرسومة ، بعيدين عن بيئتهم اللغوية والثقافية ، وعن كل ما من شأنه ان يبعث فى نفوسهم الروح الوطنية ، والقومية ، ويوعيهم ضد الاستعمار ، فيعودون الى أهلهم مفرنسين فرنسة كاملة ويعملون على نشر اللغة الفرنسية ،

---

(3) أحمد توفيق المدنى ، جغرافية القطر الجزائرى ، مكتبة النهضة ، ط الثانية 1963 صـ 138 •

(4) حمدان خوجة : المرآة ، الجزائر 1834 تحقيق وتقديم د• العربى الزبيرى ش و ن ت الجزائر 1975 ص 54 •

وترسيخ اقدام الاستعمار فى البلاد !!

وزيادة على جعل التعليم باللغة الفرنسية وحدها ، ومحاولة تكوين النخبة المفرنسة من الجزائريين الذين يساعدون على نشر اللغة الفرنسية بين اهليهم ٠٠ فرضت اللغة الفرنسية فى الادارة والمحيط الاجتماعى ، وأجهزة الاعلام ، فاصبحت هى اللغة الرسمية فى الادارة ، وهى اللغة الوحيدة فى كتابة اسماء المحلات ، والشوارع وكل المرافق العامة واستبدلت بمعظم الاسماء العربية للشوارع والمدن ، أسماء لقادة الغزو العسكرى ، والفكرى للجزائر امثال (بيجو) (كلوزيل) (لافيجرى) ولاعلام الفكر والادب الفرنسيين ، مثل (ديكارت) و (فيكتور هيجو) و (لامرتين) ٠٠٠ وكانت تهدف سياسة الفرنسة من وراء ذلك الى جعل البيئة الثقافية الجزائرية قطعة من البيئة الثقافية الفرنسية ، حتى يكون لفرنسة التعليم ، سند من فرنسة الادارة والمحيط الاجتماعى ، لان فرنسة التعليم بدون فرنسة المحيط ، عديمة الجدوى ، كما أن فرنسة المحيط والادارة بدون فرنسة التعليم ، أيضا لا تؤدى الغرض المطلوب من سياسة الفرنسة الكاملة للمجتمع الجزائرى ، وهى الغاية القصوى التى كانت تهدف الى تحقيقها الادارة الفرنسية من وراء كل محاولاتها .

ونذكر من القرارات التى اصدرتها السلطات الفرنسية لفرنسة الادارة الجزائرية ، قرار (1849) الذى يقول نصه : « ان لغتنا هى اللغة الحاكمة ٠ فان قضاءنا المدنى والعقابى يصدر احكامه على العرب الذين يقفون فى ساحته بهذه اللغة ، وبهذه اللغة يجب ان تكتب جميع العقود ، وليس لنا ان نتنازل عن حقوق غتنا ٠ فان أهم الامور التى ينبغى ان يعتنى بها قبل كل شىء ، هو السعى وراء جعل اللغة الفرنسية دارجة وعامة بين الجزائريين الذين قد عقدنا العزم على استمالتهم الينا وادماجهم فينا وجعلهم فرنسيين » (5) ٠

غير ان كل تلك المحاولات والاستمالات والاساليب المختلفة التى توختها الادارة الاستعمارية لفرنسة المجتمع الجزائرى ٠٠ لم تأت بالنتائج المتناسبة مع الجهود التى بذلت من أجلها ٠ وكان الحائل الاكبر دون تحقيق الفرنسة بالكيفية التى رامها قادة الاستعمار هو الاختلاف فى العقيدة الدينية ، وما نتج عن ذلك من

(5) ساطع الحصرى : حوليات الثقافة العربية دار الرياض للطبع والنشر 1951 المجلد الثانى ص 473 ٠

اختلاف ثقافي وحضاري ، جعل من المجتمع الفرنسي والمجتمع الجزائري نقيضين حقيقيين يفرقهما كل شيء ولا يؤلف بينهما أي شيء ، وقد عبر عن هذا التناقض الامام عبد الحميد بن باديس بقوله : (لو وضع لحم مواطن جزائري ولحم مواطن فرنسي داخل قدر واحد ، لطار احدهما وبقي الآخر) ولم يخف على الادارة الاستعمارية هذا الاختلاف الجوهري الذي ظل يقف كالجدار الحديدي في وجه الفرنسة ، فاخذت تخطط للقضاء على هذا العائق وانتهجت الادارة الاستعمارية لذلك ثلاث سياسيات هي :

أولا : التفرقة بين أهالي المناطق المختلفة ، وخاصة بين المتحدثين بالعربية والمتحدثين باللهجة البربرية اعتقادا من الادارة الفرنسية بان عزل هؤلاء عن أولئك ودق اسفين الخلاف بينهم سيسهل عليها فرنسة المتحدثين باحدى اللهجات لايهامهم بأنهم من عنصر غير عربي ، وأنهم هم أصحاب البلد الاصليين ٠٠٠ وقد استعمرهم العرب وفرضوا عليهم لغتهم العربية ، واسلامهم وكثرت بعد ذلك الدراسات الانثروبولوجية (بتوجيه من الادارة الاستعمارية) لمحاولة اثبات الفوارق العرقية والثقافية بين البربر ، والعرب ، وكانت فرنسا تدعي انها وريثة الحضارة اللاتينية التي شيدها الرومان في شمال افريقيا واغتصبها العرب الفاتحون!... وما فتئت طيلة عهد الاحتلال تسعى للتفرقة بين أصحاب اللهجات المختلفة في البلاد ، واستعداء بعضهم على بعض حتى تنجح سياسة الفرنسة جزئيا على الاقل ٠٠ وفي هذا الخصوص يقول العلامة الراحل ساطع الحصري « زعم رجال الحكم وصناديد الاستعمار ان البربر لم يكونوا مسلمين تماما ولذلك لم يكن من العسير تفريقهم عن العرب ، ثم استمالتهم الى فرنسا ، ولهذا السبب اكثرت فرنسا من انشاء المدارس في المناطق المسكونة بالبربر ٠٠ غير انها منعت فيها التكلم بغير اللهجات البربرية أو اللغة الفرنسية ، وحظرت على الفقهاء الانتقال الى المناطق المذكورة وتعليم القرآن فيها وذلك لقطع صلة البربر باللغة العربية وكل ما يتصل باللغة العربية » (6) ٠

ولكن رغم كل هذه الجهود المتواصلة من طرف الادارة الاستعمارية لتحقيق هذا الهدف لم تظفر بطائل طيلة عهد الاحتلال ولم يتزحزح البربر عن عروبتهم واسلامهم قيد شعرة ، وتدل على ذلك

(6) ساطع الحصري : حوليات الثقافة العربية ، مرجع سبق ذكره ، ص 476 ٠

الآلاف من المساجد ، والكتاتيب والزوايا التى كان يبنيها الاهالى (فى منطقة القبائل الكبرى والصغرى) لتعليم ابنائهم الدين الاسلامى واللغة العربية ، مع امتناع الغالبية منهم (كشأن جميع أفراد المجتمع الجزائرى) عن ارسال ابنائهم الى المدارس الرسمية الفرنسية ، واصدق برهان على ذلك ان نسبة الامية فى منطقة القبائل لم تختلف فى يوم من الايام عن نسبة الامية فى مختلف مناطق البلاد الاخرى ، اختلافا يدل على نجاح الفرنسة فى هذه المنطقة دون غيرها .

ثانيا : الادماج ، ويعنى اعتبار الجزائريين (سياسيا واقتصاديا ، واجتماعيا) فرنسيين يتمتعون بالحقوق السياسية التى يتمتع بها الفرنسيون داخل بلادهم وخارجها ، ويتلقون التعليم الذى يتلقونه .. وان تكون الجزائر اقليما فرنسيا تتشكل من مقاطعات ، وتتجزأ الى مديريات كما تتشكل وتتجزأ - اداريا - كل الاقاليم الفرنسية فى فرنسا ، والغاء كل ما يفصل باريس عن المقاطعات الجزائرية أو ما يميز بينها .. اذ ان كل تمييز (بين الجزائر وفرنسا) يعد مظهرا قوميا غير مرغوب فيه وغير شرعى فى نظر الادارة الفرنسية (7) .

وكما نلاحظ فان الادماج الى جانب كونه وسيلة فعالة من وسائل الفرنسة اللغوية والثقافية فهو سد منيع ، أمام أية محاولة من طرف الجزائريين للمطالبة بالاستقلال عن الكيان الفرنسى . وكما يبدو فى ظاهره مفيدا لتحقيق المساواة ، بين الجزائريين والفرنسيين فى الحقوق والواجبات .. الا أنه فى الواقع كان شيئا مخالفا تماما !!

فالجزائريون من حيث القانون الدولى فرنسيون ، يقومون بواجباتهم ككل المواطنين الفرنسيين .. اما من حيث المعاملات فى الواقع ومن حيث الحقوق فهم فى ادنى المراتب تحت اليهود ، والايطاليين والاسبان ، الذين وطنتهم الادارة الفرنسية فى الجزائر ، وأنعمت عليهم بجنسيتها ليصبحوا أسيادا على أهل البلاد الاصليين ، من وراء سياسة الادماج ، وربطت الادارة الاستعمارية منح الحقوق الكاملة للجزائريين .. بتخليهم عن أحكام الشريعة الاسلامية فى الاحوال الشخصية ، وقبولهم لاحكام القانون المدنى الفرنسى ، وذلك لاغراء أو ارغام الجزائريين على الارتداد عن الدين الاسلامى - تدريجيا - وهو العائق الذى تمحور حوله كل النشاط

---

(7) آلان سافارى : ثورة الجزائر ، ترجمة نخله كلاسى - دمشق 1961 ، ص 84 - 85 .

الاستعمارى ورسمت من أجله المخططات ووضعت السياسات الصريحة والملتوية منذ بداية الاحتلال ٠

والحقيقة ان سياسة الادماج قد فشلت فى الجزائر ، وظل الحائل الاكبر دون نجاحها ، هو تمسك أفراد المجتمع الجزائرى بقانون الاحوال الشخصية الاسلامى ، الذى اشترطت الادارة الفرنسية التخلى عنه لمنح الجزائريين جميع الحقوق ، مثل باقى الفرنسيين ، وقد عبر الامام عبد الحميد بن باديس عن ذلك موجها خطابه الى الفرنسيين ، وبعض الجزائريين الذين استهواهم الادماج ... فقال :

شعب الجزائر مسلم
والى العروبة ينتسب
من قال حاد عن أصله
أو قال مات فقد كذب
أو رام ادماجا له
رام المحال من الطلب

ثالثا التنصير : واذا كان الدين الاسلامى هو الحائل دون انجاح سياسة التفرقة والادماج والفرنسة ، فان الاستعمار لم يفتا (منذ الوهلة الاولى للاحتلال) يخطط للقضاء على هذا الدين فانتهج لذلك سياسة (التنصير) وتتمثل فى اخراج المجتمع الجزائرى عن دينه باغرائه ، وارغامه على اعتناق الديانة المسيحية التى تخول له الحصول على الحقوق مثل أفراد المجتمع الفرنسى (ويتحقق بذلك الادماج الذى حال تمسك المجتمع الجزائرى بقانون الاحوال الشخصية الاسلامى دونه) ، وفى موضوع التنصير وعلاقته بالفرنسة يقول ساطع الحصرى : « لقد اظهر كتاب فرنسا وخطباؤها نزعتين أساسيتين عند تقرير السياسة التى يجب اتباعها فى الجزائر عند بداية الاحتلال وهما : التنصير والفرنسة ، وبتعبير أوضح : العمل على اقامة الديانة المسيحية محل الديانة الاسلامية ، واحلال اللغة الفرنسية محل اللغة العربية ٠ وكانت هاتان النزعتان تتآزران فى اذهان الكثيرين من الفرنسيين لانهم كانوا يرون ان التنصير يساعد على الفرنسة كما ان الفرنسة تسهل التنصير » (8) ٠

ويؤكد هذا المعنى تصريح لسكريتير الحاكم العام الفرنسى للجزائر عام 1832 حيث قال « ان أيام الاسلام قد دنت وفى خلال عشرين عاما لن يكون

(8) حوليات الثقافة العربية ٠ المرجع السابق ٠ ص 471 ٠

للجزائر اله غير المسيح ، ونحن اذا امكننا ان نشك بان هذه الارض تملكها فرنسا ، فلا يمكن ان نشك على أى حال بانها قد ضاعت من الاسلام الى الابد » (9) ٠

واذا كانت سياسة التنصير وسيلة للفرنسة وهدفا من أهداف الاستعمار الفرنسى فى الجزائر فلم يكن تطبيقها بالشىء الهين ، فى مجتمع خال من الطوائف الدينية ، متمسكا بالاسلام كالمجتمع الجزائرى ولذلك عمدت الادارة الاستعمارية الى طرق فى منتهى الخطورة لبلوغ هذا الهدف منها :

أولا : تكثيف نشاط الارساليات الدينية المسيحية التى اخذت تتوافد على القطر الجزائرى تحت مختلف الاشكال ، والاسماء من هيئات تعليمية ، وجمعيات خيرية ٠٠ واظهرت نشاطا فى ميادين الخدمات الاجتماعية وتغلغلت فى المناطق الاكثر فقرا ، لاغراء الاهالى بالمساعدات المادية واستدراجهم الى الدين الجديد ، وامعانا فى التمويه ، وتسهيلا لاحتكاك هؤلاء القساوسة بمختلف الفئات الاجتماعية أطلقوا على انفسهم اسم : (الاباء البيض) فكانوا يرتدون ثيابا وبرانيس مثل الاهالى تماما ، بل كانوا بلباسهم ذلك اشبه برجال الدين الاسلامى ومشائخ الزوايا الى حد بعيد (وكأنهم فى ذلك يطبقون المبدا الميكيافيلى القائل ، الغاية تبرر الوسيلة) حيث سمحوا لانفسهم بالخروج عن تقليد عريق فى الديانة المسيحية وهو (اللباس الاسود للقساوسة) وغيروه بلباس أبيض لتغيير عقيدة الجزائريين ، مع ان القساوسة عادة يرتدون اللباس التقليدى الاسود ٠٠٠

٠٠٠ غير ان هذه السياسة لم تأت باية نتيجة تذكر مع أفراد المجتمع من الكهول ، ومن مؤشرات ذلك أورد هذه القصة التى رواها لى شاهد عيان ومفادها ان احد القساوسة بينما كان يجوب شوارع احدى القرى الوطنية بحثا عن ضحية ضالة يبشرها بالدين الجديد ، صادف عجوزا تبكى فبادرها بالسؤال عما بها باللهجة المحلية (علما بان هؤلاء القساوسة كانوا يجيدون اللهجات المحلية بكيفية عجيبة نتيجة اختلاطهم بالاهالى ٠٠) فاخبرته بانها حائرة على ابنها الذى لم تصلها منه الحوالة المعتاد ، ارسالها كل شهر ، لتنفق على ابنائها الصغار ، فسطعت عيناه (٠٠٠) وتظاهر بالرثاء لحالها ، وطلب منها ان تذهب معه

(9) فرحات عباس : ليل الاستعمار ٠ ص 25 ٠

ليقدم لهـــا بعض المساعدات لابنائها ، ففعلت العجوز تحت وطأة الحاجة ٠٠٠ غـــير ان القس طلـب منها ان تواصل الاتيان كل يـــوم أحد لتحضر الصلاة وتأخذ بالتالى المـواد الغذائية لمنزلها . فاضطرت العجوز ان تفعل لبعض أسابيع ثم انقطعت فجأة ، وبعد أيام قابلها القس فى الشارع فسألها عن انقطاعها عـــن اخذ المعونة ، فأجابته بكـــل صراحة ، وعفوية : « لقـد بعث لى ابنـى الحوالة والحمد لله » ، فثارت ثائرة القس وقال لها : « اذا لم تستمرى فى الحضور الى الصلاة ، فسوف اجبرك على ارجاع كـل ما أخذته من مساعدات حتى الآن ٠٠ » فقالت العجوز : « أنــا أخذت المساعدة مقابل حضورى صلاتكم فتعال أنت الى مسجدنا يوم الجمعة ، وسأرجع لك كـل ما أخذته » ولم يجد القس ما يقوله غير التململ والاحساس بخيبة الامل التى لازمت كل رفاقه طيلة عهد الاحتلال ٠٠

ثانيا : التركيز على تنصير الاطفال : وعندما فشلت كـل المحاولات لاخـراج الكبار عن دينهم أخذوا يهتمون بالاطفال الصغار ، وخاصة اليتامى والمشردين ٠٠ فظلـــوا يغرونهم بشتـــى الوســـائل لاستجلابهم وتنشئتهم عـــلى الديـــانة المسيحية ٠٠٠ وقد نشط الاباء البيض فى اصطياد هؤلاء الاطفال ، وجمعهم فى ملاجىء انشئت لهذا الغرض ، نذكر من أهمها ملجأ (ابن عكنون) و (القديس ميشال) و (بيت بوفاريك) التى كانت تضم حوالى 250 طفلا ، ويجدر ذكر مـا قـاله (الكردينال لافيجرى) فى مقدمة برنامجه التنصيرى الذى اعده سنة 1867 (علينا أن نجعل من الارض الجزائرية مهدا لدولة عظيمة ، مسيحية أعنى بذلك فرنسا أخرى ، يسودها الانجيل دينا ، وعقيدة فهذه هى آية الله » (10) وقـد سار بذلك لافيجرى فى خط (لوفقيبو) سكريتير المارشال بيجـو الذى قال فى تصريح لـــه سنة 1838 (ان العرب لا يقبلون فرنسا الا اذا أصبحوا فرنسيين ، ولن يصبحوا فرنسيين الا اذا أصبحوا مسيحيين) (11) ٠

وقد شاء الله بعد قرن من هذا التاريخ أى فى الثلاثينات مـــن هذا القرن ، أن تأتى مدرّسة فرنسية الى بلاد القبائل ، لتثبت حقيقة الفشل الذريع الذى منى به المبشرون فى عمليات التنصير المذكورة للقضاء على الشخصية العربية الاسلامية للمجتمع الجزائرى .. وقصة هذه المدرّسة

---

(10) يونسى درمونة : المغرب العربى فى خطر ـ القاهرة 1956 ص 31 ٠

(11) يونسى درمونه ، نفس المجمع المذكور ٠

التى خطتـــها بنفسها فـــى مذكراتها ، تقول : انها عينت للتدريس فى قـــرية نائية من قرى بلاد القبائل وذات صباح كان عليها أن تقدم درسا حول الصليب والمسيحية ، فاخذت تردد عبارات (الاب والابن والروح القدس ٠٠٠) فلاحظت أنها كلما ذكرت كلمة **ابن اللـــه** انفجر الصبيان بالضحك ، وظل ذلك يتكرر عدة مرات فاستغربت ، ودنـــت مـــن طفلـــة صغيرة ، وسألتها عما يضحك الجميع ؟ فأجابتها على السليقة : قلت يا سيدتى **الله وابن الله ٠٠٠ فهل يعقل ان يكون لله أبناء ؟** وتقول هذه المدرسة ، ايقنت من ذلك اليوم انه من المستحيل ان يتحول أبناء هذا الشعب عن دينهم الذى ورثوه بالفطرة كما يرثون الصفات البيولوجية والنفسية ، التى تحـــدد شخصياتهم ، وطلبت المدرسة نقلها الى مكان آخـــر ، أو اعفائها من مهمة التنصير ٠٠ وتـــؤكد هذا الفشل ، وذلك الصراع الذى دار بـــين الثقافتين والشخصيتين ، وتلـــك الحصانة الدينية التـــى حافظت عـــلى الشخصية الوطنية فى قرار مكين ، تؤكد كـــل ذلـــك المؤرخة الفرنسية (ايفـــون تورين) فى كتابها (المجابهة الثقافية فى الجزائر خـــلال عهد الاحتلال) فتقول : وبدأ الصراع يوم بـــدأ المحتل يفرض لســـانه وتفكيره وأسلوبه فى الحيـــاة مستعملا المدرسة والمستشفى ، المعـــلم والطبيب ٠٠ الى ان تقول : ورد المسلمون الهدية المسمومة لصاحبها الذى قضـــى حـــوالى عشرين سنـــة (1830 ـ 1850) يحدث المدارس فـــلا يجـــد لها تلاميذ وينشىء المستشفيات فلا يتردد عليهـــا المرضى ٠ وتعددت الصعوبات فى وجـــه المحتل وكثرت وأصبح الدين الاسلامى كالاسمنت المسلح يحمى مـــن التفكـــك والاندماج (12) ٠

وهكذا نلاحظ دائما ان الفارق الدينى والثقافى عموما كـــان الفاصل الجوهرى بـــين المجتمعين (الجزائرى والفرنسى) والجدار الحديدى الذى كان يحول دون أى اندماج أو ذوبان فى المجتمع الفرنسى ورغم كل هذه المقاومة والرفض الصريح والقاطع لسياسة الفرنسة ، فان الادارة الاستعمارية لم تكف يوما عن استعمال مختلف الاساليب للوصول الى الهـــدف المنشود ٠ وعن مقاومة المجتمع الجزائرى لسياسة ازالـــة كيـــانه الثقافى وبالتالى تذويب شخصيته الوطنية ٠٠٠ يقـــول ساطع الحصرى « ومع كل ذلك لم ينجحوا

---

(12) راجع كتابها المذكور : ص 36 ٠

فيما كانوا يرمون اليه ، ويمكن التأكيد بان الجهود التى بذلها هؤلاء فى هذا السبيل ، لم تثمر من الثمرات الايجابية ما يستحق الذكر ولم تنتج نتائج فعلية سوى تنفير الناس منهم ، وابعادهم عن المعاهد الفرنسية بوجه عام ، لان الناس صاروا ينظرون الى جميع تلك المؤسسات كفخاخ للتنصير » (13) ونعود مرة أخرى الى الدكتورة تورين التى تؤكد استمرارية تلك المقاومة العنيفة منْ طرف المجتمع الجزائرى ضد سياسة التهجين ، والفرنسة التى ظلت ديدن الاستعمار الفرنسى طيلة عهد الاحتلال • فنقول : « وتنتهى الفترة الاولى أى من (1830 — 1850) ويعترف الفرنسيون بان ما قاموا به من مغامرات لا طائل تحته واعترفوا بالفشل وفكروا فى أسلوب جديد ومناهج أقرب الى الواقع وأعادوا الكرة بعد التحقيقات المدققة ، فاختطوا لتعليم اللغة العربية خططا فى اطار القضاء على الروح المعنوية فظهرت مراسم سنة 1850 التى انشأت التعليم المزدوج فى المدارس الفرنسية العربية ، فلم يتغير موقف المواطنين ، وبقيت تلك المؤسسات خالية » (14) ، وقد ارجع بعض الكتاب الفرنسيين فشل سياسة الفرنسة والتنصير فى الجزائر . الى الزوايا التى بقيت منتشرة فى البلاد رغم قضاء الاستعمار على العديد منها وكانت بمثابة مراكز دينية وثقافية ، ومدارس للكبار والصغار ، ودور للمعالجة واسعاف المرضى والمعوزين ، وملتقى ذوى الراى لحث المواطنين على الجهاد وعدم الولاء للكفار •• ولم يعرف الفرنسيون لهذه الزوايا مثيلا فى أوروبا ، ولذلك لم يتنبهوا لخطورتها الا بعد زمن طويل ، والملاحظ ان هذا التحليل صحيح الى حد بعيد حيث ان العديد من الثورات التى قامت ضد الفرنسيين كان يتزعمها مشايخ الزوايا حتى آخر القرن التاسع عشر . ونذكر من هؤلاء ، الامير عبد القادر ، وأولاد سيد الشيخ ، وثورة للا فاطمة انسومر ، وثورة المقرانى ، وثورة الشيخ الحداد ، وثورة بومعزة ، وثورة بوعمامة وقد كان كل هؤلاء المجاهدين الاقوياء ، من أبناء تلك الزوايا التى كانت تخرج جنود الدفاع المادى والروحى ، ضد المستعمر الفرنسى •

---

(13) نفس المرجع المذكور ، ص 473 •

(14) نفس المرجع المذكور للمؤلفة •

ونخلص الى القول بان كل تلك المحاولات الذكية والخطيرة لم تعرف الفتور ، ولم يعرف أصحابها اليأس طيلة عهد الاحتلال ، لم تحقق نجاحا يذكر فى مجال التنصير وتغيير الشخصية الوطنية الجزائرية لان رسوخ العقيدة !الاسلامية فى قلوب الجزائريين ، وتمسكهم بلسان القرآن كان أكبر محصن لهم ضد الفرنسة والتنصير والتهجين ، والمسخ لمقومات هذه الشخصية الوطنية القوية بعوامل حصانتها العربية الاسلامية .



آفاق الدعوة الاسلامية في القرن الخامس عشر الهجري

د· معـروف الدواليبي
مستشار بالديوان الملكي
(المملكة العربية السعودية)

حضرات السيدات والسادة والاخوات والاخوة والابناء المحترمين ،

1 ـ وبعـد فانني عندما ألقيت نظـرة على جدول الاعمال الذى ستدور حوله كل المحاضرات والمناقشات في « الملتقى الرابع عشر للفكر الاسلامي» في الجزائر العاصمة ، كمـا أشار لنـا معالى وزير الشؤون الدينية السيد بوعلام باقى في كتاب دعوته للمساهمة في أعمال هـذه الدورة ، لم أتردد منذ القراءة الاولى في اختيار الموضوع الثالث مـن المواضيع الاربعة ، وهو « آفاق الدعوة الاسلامية في القـــرن الخامس عشر الهجرى » ، معتبرا أنـــه الاشمـل مـــن المواضيع الاسلامية الثلاثة التى كان أولها « الاسلام والمذاهب الاجتماعية الحديثة » ، وثالثها « فلسفة التربية في الاسلام » ، تـاركا الموضوع الاول حول « الونشريس قلعة من قـــلاع العـلم والنضال » لاصحاب المعرفة فيه ·

2 ـ غير أن كلمة « آفاق » من عنوان « آفـــاق الدعوة الاسلامية في القـرن الخامس عشر الهجرى » وقـــد عرضت أمام نظرى « آفـاقا » للدعوة الاسلامية لا حصر لها ، وخاصة وعلى الاقـل في فاقها العامة التالية :

أولا : العقائدية ،
ثانيا : الاجتماعية ،
ثالثا : الاقتصادية ،
رابعا : الثقافية ،
خامسا : السياسية ،
سادسا : الانسانية ،
سابعا : التشريعية ·

وكلها آفاق هامة في الدعوة الاسلامية وضرورية ومحببة الي ، ولا سبيل الـى الكتابة فيها كلها ، لانها تخرجنى تماما عن الوقت المحدد بثلاثين دقيقة ، فضلا عن ضيق أوقاتى لاعـــداد هذه البحوث العلمية المتكاملة ، وهذا مـــا يجعـلنى لا أشك في أن الذين سيختارون معي هذا الموضوع مـــن الزملاء الكـــرام سوف لا تكون أبحاثهم في أفـق واحد ، وفي ذلك ان شاء الله للخير كله ، راجين أن

يكون فى بحوثهم المختلفة « الآفاق فى الدعوة الاسلامية » ما يجعل منها ثروة علمية فى الموضوع لا غنى لنا عنها ·

3 – هذا ولقد طالت حيرتى مدة أسبوع لا أدرى على أي أفق أستقر ، لولا أن ألهمنى الله أخيرا أن أطرق أفقا حيا رايت انه الاليق بمطالب عصرنا الجديد ومشكلات الانسانية فيه · وانه يصلح لان يكون مدخلا لكل تلك الآفاق المختلفة للدعوة الاسلامية فى هذا العصر ، وذلك من ناحية أن الدعوة الاسلامية هي دعوة الى الحياة على أساس السلام للانسان» ·

4 – ولما كانت الحياة الانسانية متطورة مع الزمن ، فانه قد يكون لكل طور من أطوار الحياة على مدى العصور مشكلات وتحديات خاصة به مما يستدعي أيضا معالجة خاصة ، ويساعد على « آفاق الدعوة الاسلامية » لمعالجة تلك المشكلات والتحديات فى عصر ما ·

– فما هي مشكلات عصرنا وتحدياته ؟
– وهل للدعوة الاسلامية باعتبارها « دعوة الى الحياة على أساس السلام للانسان » دور للمساهمة فى خدمة الانسانية ؟

5 – وقبل أن أدخل فى الموضوع أريد أن أقول اولا : ان تحديدنا للدعوة الاسلامية بأنها « دعوة الى الحياة على أساس السلام للانسان » ليس فيه تزوير للحقيقة ، أو تضخيم ، وانما هو الحقيقة القرآنية نفسها حينما جهر القران الكريم فقال الله سبحانه وتعالى فى دعوته الى الاسلام « **يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم** » وقال « **والله يدعو الى دار السلام** » · وقال « **وان جنحوا للسلم فاجنح لها** » ، وأخيرا جعل الاسلام من كلمة «السلام» وحدها شعارا للتحية ايناسا للانسان ، وتذكيرا له على الدوام بالالتزام الواجب للسلام ·

6 – ولذلك كله فان الدعوة الاسلامية كانت منذ ظهورها حتى اليوم « دعوة الى الحياة والسلام للانسان » لا شك فيها ، غير أنها دعوة الى نوع جديد من «الحياة الانسانية المتقدمة» ولا عهد للمجتمع البشرى فى مفاهيمها الاسلامية لا من قبل ولا من بعد ، وذلك من خلال الايمان بالله الذى خلق الانسان على الارض :

– مسؤولا وجوبا عن القيام بعمارتها فى ظل السلام للانسان ،
– ومكلفا بعبادة الله فيها من أجل سلام الانسان ،
– ومدعوا الى التعاون فيما بين شعوبها على البر والتقوى لا على الاثم والعدوان ، وعلى أساس من الحرية المسؤولة والكرامة للجميع من غير تعيير بين الاعراق والالوان والاجناس والاديان ووفقا فى كل ذلك لشريعة الله من أجل سلام الانسان أيضا ·

7 ـ وبعد فان تقدم العلوم فى هذه العصور الحديثة ، وانتشارها السريع اليوم ، وكذلك تقدم ـ التكنولوجية المتطورة ، قد كان لهما نتيجتان حتميتان هما :

أولا ـ شعور كل انسان بوجوده ، وبكرامته وبحقه فى الحياة الكريمة من غير تمايز ما بين انسان وانسان ، لا فى القوميات ، ولا فى الاعراق ، ولا فى الاجناس ، ولا فى الاديان ٠

ثانيا ـ زوال الحدود بين الامم والشعوب ، وتشابك مصالحها مما لم تعد تصلح بعده الحياة فى ظل الانظمة العالمية السائدة ، والقائمة على التمايز فى الكرامة وفى المصالح الخاصة لدى بني الانسان ٠

8 ـ وهكذا فان هذا التقدم السريع فى العلوم وفى التكنولوجية بنتائجه الحتمية المشار اليها قد أوجد مشكلات حيوية حادة فيما بين الامم والشعوب ، وقد حرصت منظمة الامم المتحدة « على العمل لحلها بكل الوسائل السليمة ، وقد عالجتها معالجة طويلة خلال نحو من خمسة وثلاثين عاما ، أي منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتى اليوم ، ولكن بدون أن تتقدم خطوة نحو السلام ، وذلك على الرغم من أن صيغة تأليف هذه المنظمة عقب تلك الحرب لم تكن الا وسيلة لحل المشكلات الانسانية ، ولضمان السلم العالمى ، وفقا لميثاق هذه المنظمة وملحقاته حتى اليوم ٠

9 ـ ولا يسعنا مع ذلك فى هذا المقام الا أن نسجل لمنظمة الامم المتحدة اهتمامها الشديد الذى أبداه أعضاء المنظمة بالاجماع فى دورتيها الاستثنائيتين فى عامي 1974 ـ 1975 ، اللتين عقدتا خصيصا للبحث عن حلول سليمة لمشكلات المجتمع الدولى التى أصبحت تنذر بسوء المصير للجميع ٠

10 ـ كما لا يسعنا أن نسجل باعجاب قرارهم الاجماعى الذى انتهوا اليه ، وما قد جاء فيه من صراحة جريئة حيث قالوا : ان المشكلات العالمية الحاضرة لا أمل فى ايجاد حل لشيء منها فى ظلال الانظمة الاجتماعية السائدة اليوم فى العالم ، وخاصة النظام الاقتصادى الخاص بكل شعب ولمصلحته وحده دون مراعاة مصلحة الآخرين فيه ؛

11 ـ ولقد أكدوا على ذلك بقولهم : ان البشرية قد تقدمت علميا وثقافيا ، وان التكنولوجيا المتطورة قد ازالتا الحدود فيما بينهم ، وأنه لم يعد يصلحهم ويليق بهم الانظام عالمى جديد يقوم على قواعد انسانية جديدة ، وقد حددتها منظمة « اليونيسكو » بناء على طلب الامم المتحدة ، وقالت فيها : انها تلك القواعد التى نلخصها فيما يلى ، وهي التى :

ـ تدعو الى « وحدة الاسرة البشرية » من غير تفاضل ،

ـ وتؤمن بحق الجميع فى الحياة الكريمة من غير تمايز وتعتبر « مصالحهم الاقتصادية واحدة ، ولا يجوز التفاضل

والتمايز فيها لحساب شعوب تعتبر نفسها ممتازة على حساب الشعوب الاخرى ·

ـ وأخيرا تدعو هذه القواعد أن تتخذ من « العدل » بين الجميع القاعدة الحتمية لهذا النظام العالمى الجديد ·

I2 ـ غير أنه يؤسفنا أن هذه الصرخة المدروسة من قبل الامم المتحدة فى هيأتها العامة ، ومن قبل منظمتها العلمية « اليونيسكو » قد ذهبت ادراج الرياح ، وذلك :

ـ لانها تحتاج أولا الى « الايمان بها ايمانا عقائديا » ،

ـ كما تحتاج ثانيا الى « اقامة علم التربية وفلسفتها عليها » ·

إذ لا يكفى مجرد الدعوة اليها سياسيا تحت ضغط الاحداث ، ولا التوصية بها فقط كما كان شأن التوصيات بحقوق الانسان الواردة فى الاعلان العالمى لحقوق الانسان ·

I3 ـ ولما كنا معشر المسلمين نؤمن بها وحدنا « ايمانا عقائديا » ، عملا بعقيدتنا الاسلامية ، لذلك وجب علينا أن نرحب أولا بهذا اللقاء مع الفكر الاسلامى كما وجب علينا أن نكون أولى الناس بتأييد هذه الصرخة العالمية الدولية ، وأن نكون أحق الناس بالدعوة اليها بكل حرارة ، وأن نجعل منها أبرز آفاق الدعوة الاسلامية فى هذا العصر للتعرف بالاسلام عن طريق بعض آفاقه الاجتماعية ، وأن نتخذ منها كقواعد اسلامية القواعد الاساسية لنظام المجتمع الانساني الجديد اتخذها الاسلام من قبل ، وأن نبحث على ضوئها عن حلول المشكلات الانسانية فى سبيل السلام على الارض وأن نتقبل التعاون على أساسها مع من يرغب ، وأن نفتح الحوار من أجل ذلك مع أبعد الناس عنا فى الفكر والقيم ، وذلك من أجل سلام المجتمع والانسان ·

I4 ـ واننا اذا تقبلنا الدعوة الى ذلك والحوار فيه فانما ننطلق من منطلق اسلامي لا شك فيه ، عملا بما جاء فى القرآن الكريم حين دعى أهل الكتاب الى الحوار معهم اعتمادا فى الاصل على نقطة الوفاق معهم رغم أنه على خلاف أساسى معهم فيما عداها ؛ فقال لهم : **« قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ، أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله »** ، وذلك اعتمادا أولا على نقطة الوفاق دون نقاط الخلاف ، لان الخطر على الانسانية أصبح عظيما ، وأن الحاجة الى دفعه بأسرع ما يمكن واجب لا شك فيه فى مفهوم الدعوة الاسلامية وأن التعاون عليه أوجب واكد ·

I5 ـ هذا ولا يفوتنا فى هذا المقام الذى ندعو فيه الى التعاون فيما بين أبناء البشرية كأسرة واحدة أن ننبه الى خطر التبعية فى الدعوة الاسلامية للمذاهب التقليدية الاجتماعية الحديثة التى تسود العالم اليوم ، والتى قد تخطاها الزمن

والعـــلم ، وأعترفت الامـــم المتحدة ، وأجهزتها العلمية بعدم صلاحها بعد اليوم لمعالجة مشكلات العالم الانسانى كما مر معنا من قبل ٠

16 ـ ونضيف على ذلك هنا ما جـاء فى كتاب « الديمقراطية الفرنسية » الذى وجهه الرئيس الفرنسى جيسكار ديستان خلال فترة حكمه هذه الى الشعب الفرنسى فقـــال : « ان الماركسيـــة والليبـــرالية التقليدية نظريتان ناقصتان ، وتتنكـــران للجقيقة الانسانية ، وانهما لـــم تعودا قادرتين على تفسير الواقع ، ولا عـــلى توجيه العمل ، وانهما تتفلتان بسهولة من قبضة البحث العلمى ، وان التحيز يغلب عليهما الى اليوم أكثر من العقل ، وانهما لم تعودا تمثلان الوقائع المحسوسة فـــى مجتمعاتنا الا تمثيلا « ضعيفا » ، وانهما يتكيفان بصعوبة لايجاد حلـــول لمشاكلنا الواقعية ، وان الموقف الموضوعى يدعو الى ترك هذه النظريات غير المتكاملة ، والى البحث عن صيغة جديدة مقبولة » ٠

17 ـ وكذلك نضيف لكثير من الفائدة ما قاله حديثا أستاذ علم الاقتصاد فى احدى جامعات فرنسا الاستاذ جـــاك أوستروى Jacqe Austruy ، ورئيس هيئة علماء الاقتصاد فى فرنسا ، فى كتابه : « الاسلام أمام التطور الاقتصادى » فقد قال هذا الباحث : « ليس هناك فى الحقيقة طريقة وحيدة وضرورية لابد منها للتطور الاقتصادى كما تريد أن تقنعنا به المذاهب القصيرة النظر فى النظامين الاقتصاديين السائدين ـ (الصفحة 16 ـ 17) ، ثم ألح هذا الباحث الاقتصادى على ضرورة التماس المذهب الثالث فى الاسلام نفسه لانه ليس فرديا ولا جماعيا ، ولكنه يجمع بـــين الحسنين ٠٠٠ وكذلك ألـــح على المسلمين بضرورة **العودة الى الاســـلام نفسه** والى دراسة قواه الكامنة فيـــه لشق الطريق نحو **عوضا عـــن التقليد الاعمى** ـ الصفحة 80 ـ وجاهر بعد ذلك بأن الاسلام يتمتع بامكانيات هائلة ، وأنه اذا ما وجد الطريق الصحيح فان كثيرا من الصعوبات الاقتصادية التى ظهـــر للاقتصاديين تعذر التغلب عليها حتى الآن سوف يحلها الاسلام ـ الصفحة 112 ـ ثم دعا هذا الباحث المسلمين الى الاسراع قبل فوات الوقت لوضع الطريقة المنبثقة عن خصائصهم وقواهم الكامنة المبـــدعة الهائلة ، ثـــم **حذرهم** بأنهم ان لم يفعلوا ذلك فسوف يجبرون على قبول تغييرات غير سليمة فى نظمهم الاساسية ، وذلك نتيجة لاتباع منهـــج فى الانماء مفروض عليهم ، وفى هذه الحالة سيقضى عـــلى الاسلام كمنهج حضارى مستقل ـ 112 ـ 113 ٠

18 ـ ولذلك كله يتوجب اليوم عـــلى الداعيـــة الاسلامية التأكيد على ذاتيـــة الدعوة الاسلامية فى جميع آفاقها ، وعلى استقلالها ، وعلى كمالها ، وعلى التأكيد خاصة على الجديد فيها الذى لابد منـــه لتقدم الانسان وسعادته ٠

19 ـ واتماما للفائدة فها نحن أولاء نشير بكل ايجاز الى « الجديد التقدمى » فى جميع آفاق الدعوة الاسلامية التى أعددناها فى مطلع كلمتنا هذه من حيث آفاقها العقائدية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والثقافية ، والسياسية ، والانسانية ، والتشريعية ، وذلك تأكيد على ذاتية الدعوة الاسلامية ، وحاجة الانسانية الى الجديد فيها فى كل عصر ، وخاصة فى هذا العصر الذى تقدمت فيه العلوم الكونية والانسانية والاجتماعية ، وأخذ العقل العلمي مكانه فيها فى البحث والحكم كما يريده الاسلام ·

20 ـ وايضاحا لذلك نقول : ان الدعوة الاسلامية فى جميع آفاقها المذكورة قد قامت منذ نشأتها على قواعد **ومبادىء جديدة** ، ولا تزال كذلك فى جدتها بكل ما فيها من معاني الجدة ، وفى جميع آفاقها من وجوه الحياة التالية الشاملة :

ـ ففى آفاقها « العقائدية » أعلنت قبل أية أمة من الامم الحديثة : حرية العقيدة وعدم جواز الاكراه فيها ·

ـ وفى آفاقها « الاجتماعية » أيضا وقبل أية حركة تحررية فى العالم الحديث شجبت بكل قوة أنظمة « الطبقات المتفاوقة فى الحقوق والكرامة ، وأعلنت التساوي فى الحرية والكرامة الانسانية من غير تمييز بين انسان وآخر ، لا فى الاعراق ، ولا فى الاجناس ، ولا فى الاديان ·

ـ وفى آفاقها « الاقتصادية » قد فرضت الدعوة الاسلامية كل القواعد الاساسية للنهوض بالاقتصاد العالمى ، وذلك أولا فى « ايجاب العمل » من حيث هو ، وثانيا فى « ايجاب زيادة الانتاج وذلك عملا بكثير من الآيات القرآنية فى ذلك ، وعملا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا حين قال : « لو أدرك أحدكم يوم القيامة وفى يده فسيلة ـ شجيرة ـ فليزرعها » ، وذلك حرصا على عدم اهمال الزيادة فى الانتاج لمصلحة الجماعة ، حتى فى تلك الساعات الحرجة التى يذهل فيها الانسان عن مصالحه الخاصة فضلا عن العمل لمصالح الجماعة · وأخيرا فقد فرضت الدعوة الاسلامية « العدالة » فى توزيع خيرات هذا الانتاج بحيث لا يكون هناك محروم ، وذلك وفقا لقواعد الاسلام فى العدالة المطلقة فى « الحق بالحياة الكريمة » ومن أجل ذلك أوجب « نظام التكافل فيما بين الجماعة » على أرض الاسلام ، حتى ولو اختلفت بينهم الاديان ·

ـ وفى « الآفاق الثقافية » للدعوة الاسلامية قد جعل الاسلام «فريضة العلم» أساسا لهذه الدعوة كما هو معلوم ، وعاقب على تركها ، بينما لا يزال موضوع العلم فى عالمنا الحديث المتقدم فى عدد الوصايا ، وحقا من حقوق الانسان لا فريضة علمية كما جاء بها الاسلام ·

ـ وأما فى « الآفاق السياسية » فقد فرض « الشورى فى نظام الحكم من غير تمييز ما بين « أقلية » ولا « أكثرية » فى الشورى ولم يأخذ بالراي فى هذه الشورى

اعتمادا على عـدد الاصابع المرفوعة ، وانما اعتمادا على التعمق فى الـــرأي وترجيح الراجح منه وفـقا للمصلحة ، وذلك أيضا جـديد فى مفهوم الحــكم السياسى حتى اليوم ٠

ـ وأما فى « الآفاق الانسانية » للدعوة الاسلامية فقد كان الاسلام ولا يزال أول من أزال الفوارق بين أبناء الانسانية حيث قال رســول اللــه صلى عليه وســلم : « لا فضل لعربى على عجمي ، ولا لابيض على أسود » كما قال : « الخلق كلهــم عيال الله ، وأحبهم اليه ، أنفعهم لعياله » مع وجوب مراعاة جميع حقوق الانسان الاساسية مـــن ثقـافية ، واجتماعية ، واقتصادية، تجاه الجميع من غير تمايز ٠

ـ وأمـــا « فى الآفـاق التشريعية » للدعوة الاسلامية ، فقد أقـــام الاسلام شريعته على أسس عالمية وانسانية ، مع التشديد على مراعاة العدل فيها ولـــو على الانفس والاقربين ٠

21 ـ وبهـــذا الاستعراض الـوجيز لجميع آفاق الدعوة الاسلامية بعد التوسع مقدما فى بعض آفـاق الدعوة الاسلامية من الناحية الاجتماعية بالنسبة للعصر الذي نعيشه ، نرجو أن نكون قد أعطينا موضوعنا جميع ما تجدر الاشارة اليه ، تارة بالبسط وتـارة بالانجاز ٠ والله سبحانه وتعالى من وراء القصد ٠

بخصوص تفاسير القرآن وترجماته الحديثة

أفكار أوحت بها تجربة شخصية

د· موريس بوكاي

تمهيد :

ان أي تأمل فى آفاق انتشار الاسلام وذيوعه فى القرن الخامس عشر الهجرى ، ليقتضى منا أن نتساءل عن الطريقة التى بها يعرض على الناس ، والتى بها يعلم ويفسر ، ولن يتحقق هذا الهدف بدون انتشار للمعرفة بالقرآن معرفة صحيحة ·

انى لأستبعد عن نفسى أية نية بالتفكير فى تعليم القرآن فى البلدان المتحدثة باللسان العربى حيث لا تطرح، باستثناء الترجمات بطبيعة الامر ، الا مسألة التفاسير فقط ، لذلك استثنى من كلامى هذا الجانب من تفسير القرآن فى البلدان العربية ·

وانما أود أن أنظر فقط فى مسألة المعرفة التى تنشر عن القرآن فى البلدان الغربية غير المسلمة ، فلا مناص - للتعريف به هنا - من استعمال لغة وصوابا والذى نستطيع الركون اليه هو رأي المتخصصين من أعلى المستويات، وهم الجامعيون المتخصصون فى البحوث الاسلامية ، لكن ما من حاجة الى التأكيد على ان كثيرا من هؤلاء ، فيما عدا بعض الاستثناءات المشجعة ، يعرضون القرآن - قبل كل شىء - كما يودون له أن يكون ، لا كما هو فى ماهيته ·

أترانا نرجع الى الترجمات الصادرة عن المتخصصين فى البحوث الاسلامية أو مختلف المستشرقين ، آملين أن يكون ما كتبوه متحدثا عن ذاته ، ان هذه الترجمات لتسىء ارشادنا للاسف ، وهي تضل القارىء لاسباب عديدة ، يجب أن نأخذ بعين الاعتبار أولا أن أي ترجمة تتضمن حتما نسبة مئوية من عدم

غير اللغة العربية ، لغة يفهمها من نعتزم ايصال المعرفة اليهم ، وليست المهمة بالمهمة السهلة ·

ـ اذ من الصعب على رجل من الغرب لا يحسن اللغة العربية ، ويعيش فى وسط يظهر فى غالب الاحيان عداوة للاسلام ، أن تكون له فكرة صحيحة عن القرآن ، فالتعاليم التى يتلقاها ، والتصريحات التىيسمعها من أناس مأذون لهم ، ـ على ما يظهر ـ بالتحدث فيه ، أو يقرأها فى كتب عديدة ، تساهم جميعا فى اعطاء صورة مشوهة عنه ، والرأي الذى قد يتراءى أكثر سدادا الوفاء للنص ، وأن القرآن لا يقبل التقليد فى لغة أجنبية عن اللغة العربية، وهناك آيات قرآنية من ناحية أخرى ، هي فوق مستوى ادراك الانسان وفهمه : والقرآن نفسه يخبرنا فى الآية 7 من سورة آل عمران ان الله وحده هو الذى يعلم تأويله « **وما يعلم تأويله الا الله** » على أننا نلاحظ بين مختلف الترجمات لقطع بعينه الاختلافات العديدة ما يجعل القارىء يشعر بأنه يتيه بين تأويلات متباينة ، يتساءل فى شانها بكل منطقية ، عما اذا لم تكن هذه التأويلات ترجع الى المترجم أكثر مما ترجع الى النص ذاته ·

وأدهى من ذلك وأمر ، أن العارف باللغة العربية يسهل عليه أن يتبين هنا وهناك بين هذه الترجمات ، نوايا مقصودة بتزوير النص أو اخفاء بعض المعطيات ، واليكم مثالا حاسما على ذلك :

أود قبل كل شيء أن ألفت الانتباه الى أن كل قارىء قادر على تذوق نص من النصوص من الوجهة الادبية ، بل وحتى ترجمة من التراجم التى لا يمكن الاعتماد عليها من بعض الجوانب ، قابل لان يدرك الطراز الادبى الرفيع للنص القرآنى · فستكون دهشته كبيرة على العموم ، حين نطلعه بأن النبي محمدا ، الذى كان يفترض أنه هو صاحب النص ، كان فى الواقع رجلا أميا ·

وأنتم تعلمون جميعا ، أن تأكيد طابع الامية هذه ، ورد فى القرآن : «**النبي الامي** » (سورة الاعراف الآيتان 157 و 158) ، طالعوا ترجمة القرآن التى كتبتها الآنسة ماسون ، ونشرتها دار مجموعة « بلياد » الشهيرة، وهي أكثر الترجمات انتشارا فى أوساط المثقفين الناطقين بالفرنسية ، فسترون أن كلمة « **الامي** » قد أخفيت ، وأن المترجمة كتبت مكانها عبارة « نبي الكفار » ولا يذهبن بكم الظن الى القول بأن هذه المترجمة تنقصها المعرفة باللغة العربية · انكم ستقتنعون بعكس ذلك عندما تقرأون ما ورد فى نهاية تلك الطبعة فى باب تعاليق الترجمة مما يتعلق بكلمة « **أمي** » ، وسترون أن المترجمة كتبت بأن كلمة « أمي صفة للمذكر المفرد تتعلق بالنبي » ومع ذلك

فهي تترجم الكلمة « بالكفار » ، وهو أمر يخالف المعنى مخالفة صارخة ، وخطأ فادح فى النحو ·

ثم ان هذه المؤلفة خصصت من مقدمة ترجمتها ست صفحات لتعرض فيها ـ حسب رأيها ـ « السمات التى تتسم بها شخصية محمد حسب ما ورد فى القرآن » وأيدت ذلك بشواهد عديدة ، ولو أنكم بحثتم فى ترجمتها ، ولو عن تلميح خفيف الى أن النبي كان أميا ، لما وجدتموه ، وهكذا فان اخفاء هذه السمة البارزة من سمات شخصيته ، أمر واضح هنا أيضا ·

ان اخبار الناس بأن النبي ـ حسب القرآن ـ كان أميا أمر ذو أهمية بالغة ، وحينما اخبر بهذا الواقع من نفيه قابلية لان يتذوق قيمة القرآن الادبية ، ويقبل بالتفكير معى لحظة واحدة فى هذه النقطة ، وقد تعودت أن أتحدث على وجه التقريب باللغة العربية :

لقد ثبت ان النبي محمدا عاش نحوا من أربعين سنة فى مكة ، وكان معروفا من السكان ، ودون أن يدلى بأي تصريح فى اتجاه دينى مجدد ، لكن ها هو ذا الوحي قد نزل على هذا الرجل الذى بلغ من العمر سن النضج ، وها هو ذا يقوم بتبليغه من حوله ، فيتبعه الناس فى الطريق الذى رسمه ، وها هم أولاء أتباعه يرتلون الآيات القرآنية التى علمهم اياها ويحفظونها عن ظهر قلب ، ومن بينهم هذه الآيات آية سورة الاعراف التى نزلت بمكة ، والتى تصفه بأنه أمى ، اذن فلو لم يكن النبي أميا حقا ، لكان ذلك معروفا بمكة حتما بعد أكثر من أربعين سنة من حياته بهذه المدينة ، وكيف كان يستطيع أن يجمع حوله مؤمنين اتبعوه رغم ما لحق بهم من أذى فى أشخاصهم وذويهم وأملاكهم لو أنه وصف نفسه ـ كذبا ـ بأنه أمى، وهو أمر كان يتفطن اليه الجميع ، وعليه فأنتم لا تستطيعون أن تشكوا لحظة واحدة فى أن النبي لم يكن يعرف القراءة ولا الكتابة ، ولا تستطيعون تأييد الاتهام بأنه صانع القرآن ·

لذلك فان الغاء صفة الامى المنسوبة الى النبي فى ترجمة الكتاب المقدس انما يعنى بتر القرآن من احدى المعطيات الاساسية التى تقوم حجة دامغة على أنه تنزيل وموحى به ·

هنا مقاطع كثيرة فى ترجمة الآنسة ماسون MASSON تخفى معانى حقيقية لا جدال فى أهميتها ، لتضع مكانها عبارات تنقص من قيمة بيانات قرآنية فى عين القارىء غير المطلع ، ولم تكن هذه الحالة بالحالة الوحيدة ·

فد وجدت فى كثير من ترجمات القرآن الى الفرنسية التى قام بها متخصصون فى البحوث الاسلامية ، مقاطع مضللة كغيرها ·

ولا ترجع الصعوبة التى يلقاها الغربيون غير المستعربين لتكوين أفكار صحيحة عن القرآن الى مواقف التحيز

الواضح التى يقفها كثير من المترجمين وحدها ، فكثير من مقاطع الكتاب المقدس لا تفهم تمام الفهم اذا كان القارىء يجهل معطيات دينية وتاريخية أو معطيات تختص بشخصية الرسول عند نزول الوحي عليه ، لذلك من الضرورى اعطاء معلومات اضافية فى صورة شروح أو تعاليق مرفقة بالنص ، وينبغى لهذه التعاليق أن تشرح من جهة أسباب صعوبة الترجمة ، وأن تذكر التأويلات المختلفة الممكنة ، مما يصحح ترجمة نعلم سلفا أنها ناقصة ، وينبغى من ناحية أخرى ، أن تورد وقائع أو أحداثا تتعلق بمقطع و بآية يصعب فهمها بوجه آخر : وبذلك نستطيع أن نفهم بصورة أفضل سبب مثل هذا الاثبات ، أو مثل هذا الامر الدينى ، أو العائلى أو المدنى ٠

ان ترجما تفرنسية للقرآن مثل ترجمة الاستاذ حميد الله تشتمل على تعاليق مفيدة جدا ، وفى الانجليزية ، قد استفدت كثيرا فيما يخصنى ، من شروح يوسف على الطويلة جدا ، وعندما يستنصحنى أحد فى موضوع اختيار ترجمة للقرآن تفيد الغربيين ى فانى أوصى دائما بالترجمة التى تقترن بالتعاليق ٠

وهناك أيضا آيات يدل ظاهرها على أن فيها تناقضا ، وينبغى ارشاد القارىء بشأنها ، وليس أدل على ذلك من هذه الآيات الاربع المتعلقة بالخمر والمشروبات المسكرة ٠

فنحن اذا ما قرأناها حسب الترتيب الذى وردت به فى سور القرآن وجدنا أولا فى سورة « البقرة » (ص 229) ٠

« **يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس ، واثمهما أكبر من نفعهما** » ٠ ثم فى سورة « النساء » (4 ــ 43) :

« **يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون** » ٠ وفى سورة (المائدة) (5 ــ 90) نجد هذه الآية :

« **يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون**»٠ وأخيرا فى سورة « النحل » (16 ــ 67) هذه الآية :

« **ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا** » ٠ فهذه الآية تبدو كما لو كانت تعبر عن آراء متناقضة بشأن المشروبات المسكرة والخمر ، ولكن الامر ليس كذلك فى الواقع ، ونحن نعلم فعلا أن آخر هذه السور المذكورة هنا هي « سورة النحل » هي السورة المكية الوحيدة من بين مجموعة السور هذه ، وهي بذلك قد نزلت قبل السور الثلاث الاخرى المدنية ، وهي انما تشير فقط الى المنافع والمضار المنجرة عن استعمال فواكه العنب والنخل ، أما السور الاخرى ، فانها كانت متأخرة من حيث النزول ، ومن حيث الترتيب ، نرى أن

سورة « البقرة » تؤكد جانب الاثم الذى يشمل الخمر الى جانب منافع ممكنة ، وفى سورة « النساء » انما حرمت الصلاة فى حالة السكر ، وفى سورة « المائدة » وهي من أواخر السور المنزلة، ورد تحريم الخمر تحريما قطعيا ٠ وكل هذا واضح كل الوضوح اذا ما درس تبعا للترتيب الزمنى : فلقد ورد التنبيه أولا ثم التحذير ثم تحريم محدود ، وأخيرا التحريم القطعى ، الا انه ينبغى احاطة الغير علما بأنه حصل تدرج حكيم ومنطقى أمام عصيان الناس ٠

انى على يقين بأنكم تعلمون جيدا هذا كله ، وبديهى أنى لا أقدم هذه التفاصيل اليكم ، ولكنى أود عن طريقها أن ألفت انتباهكم فقط الى ان من الغربيين من يرى فى هذه الآيات ، اذا ما عرضت عليه دون شروح مقرونة بالنص ، تناقضات مما يحملهم على القول (وقد سمعت ذلك ، صدقونى) : « كيف يمكن أن نصدق بأن الله قد أوحى الى الناس معطيات متناقضة » ؟ تلك هي الوقائع ، وأستطيع أن أورد لكم أمثلة أخرى تبين بكل موضوعية ، أنه عند غياب معلومات اضافية توضح النص القرآنى ، يمكن للمرء أن يقع فى الخطا ما لم تكن له معلومات المسلم المتعلم ٠

أصل الآن الى مجموعة الوقائع الاخيرة التى أود التعقيب عليها أمامكم ، وأعنى بها الترجمات الرديئة ، والشروح أو التعاليق الناقصة لبعض الآيات التى لم يظهر معناها الحقيقى الا فى العصر الحديث ، سواء أكان الامر متعلقا بالاخطاء غير المقصودة التى يمكن اغتفارها ، أم الاخطاء المتعددة الصادرة عن بعض من يكتبون عن القرآن بيد انى أتحدث اليكم فى البداية عن تلك الآيات التى أرى فيها اليوم، وأنا رجل علم ، معنى اعجاز ، وفى مقدمتها الآيات التى تعد ترجمتها فى الواقع من أبسط الامور ، الا أنها عرضت بصورة لا يتجلى فيها هذا المعنى الاعجازى ، ومن الامثلة الكثيرة على ذلك ، هذا المثال المأخوذ من سورة « يس » (36 – 36) فبعد أن عددت الآية السابقة بعضا من نعم الله على عباده ، وقوله تعالى فى ختامها « **أفلا يشكرون** » جاء قوله عز وجل ٠

« **سبحان الذى خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون** » ٠ وقبل أن أعرض عليكم الترجمة التى أترجم بها ، دونما أي اشاكل ، هذه الآية ، أوضح لكم بأنى لا أرى ترجمة ممكنة لكلمة « زوج » التى تجمع على « أزواج » الا المعنى الذى تعطيه اياه المعاجم العربية القديمة ، والتى تعد حجة يؤخذ بها أي : العنصر الذى يقرن بعنصر آخر مثله فيتكون منهما زوج أي ثنائية ، والكلمة تصدق على الاحذية ، فيقال زوج من الاحذية ، وعلى فردين تربط بينهما علاقة زوجية أي الزوج والزوجة ، وبذلك أترجم الآية 36 من سورة « يس » التى تعقب الآية

35 المتحدثة عن الناس · ولا حاجة هنا الى ثقافة علمية لفهم ما تقصده الآية من الاشارة الى عناصر الزوجية أو الازدواجية فى النبات ولدى الانسان ، وقد أمكن للجميع فى كل عصر أن يفهموا المعنى لهذا الكلام ·

أما ما ورد فى آخر الآية وهو قوله تعالى : « **ومما لا يعلمون** » (أي الناس) والذى يشتمل أيضا على عناصر الزوجية ، فالمعتقد أنه يشير الى البنيات المتناهية الصغر والمتناهية الكبر كذلك ، وهي اشارة يؤكدها كثيرون بالاستناد الى قوى متضادة ازدواجية، وهو عنصر التوازن حسب قوانين الفيزياء الكونية ·

ولنتخط التفاصيل ، لنأخذ بالاعتبار فقط مطلع الآية : أي ذكر عناصر الزوجية أو الازدواجية لدى النبات ، فحينما قرأت فى القرآن بالعربية هذه الآية لاول مرة اتجه تفكيرى حالا الى أنه ليس من الممكن أن يستطيع رجل قبل ما يزيد عن أربعة عشر قرنا ،أن يصدر رأيا كهذا ، لا سيما وأنه سبق لى أن قرأت قبل ذلك فى سورة « الرعد » (13 ــ 3) قوله تعالى :

« **وهو الذى مد الارض وجعل فيها رواسي وأنهارا ، ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين** » · فاذا ما اخذنا بآية سورة (يس) نصا وروحا ، وجب علينا بالتالى أن نذكر عناصر الزوجية أو الازدواجية لدى النبات · ولننظر كيف تترجم الآنسة « ماسون » هذه الآية من سورة (يس) التى أكررها هنا :

« **سبحان الذى خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون** » : سبحان الذى خلق جميع الانواع : ما يخرج منها تلقائيا من الارض ، وما ينبته الناس بأنفسهم وما لا يعلمونه ·

ليس أفضل من ذلك لو كان الامر يتعلق بصرف النظر عما يوحى بأنه كلام لا يمكن للانسان تفسيره كما شرحت ذلك فى كتابى « القرآن الكريم والتوراة والانجيل والعلم » وترجمة الآنسة ماسون تقدم فى أماكن أخرى بصد كلمة « زوج » بعينها تفسيرات مختلفة ولكنها جميعها على خطا ·

على أن اشاعة معطيات غير صحيحة فى ترجمات القرآن وتفاسيره ليست صادرة عن قصد دائما · وهنا أتحدث اليكم عن النوع الاخير من مجانبة الصواب أولا وهي الاخطاء غير المقصودة · ويبدو أننا نستطيع تفسيرها بالطريقة الآتية :

انه لا يمكن الادعاء اليوم بامكان القيام بترجمة أو تقديم تفسيرات وشروح مقبولة وصحيحة لبعض آيات القرآن ، ما لم يكن صاحبها ذا ثقافة علمية · لكن الواقع هو ان أغلبية المترجمين والشارحين المحدثين للقرآن هم من ذوى الثقافة الادبية الذين ليس لهم تكوين

علمي ، وأقول الغالبية الكبـرى ، لان هناك استثناءات موفقة • غير أن الثابت هو أن معظم الترجمات المتداولة ـ فى الغرب على الاقل ـ تشتمل على مقاطع تقدم فيـهـا بعض الآيات التى تـورد معطيات ذات علاقة بالمعارف العصرية بطريقة نعثر فيها بسبب أخطاء الترجمة، على أقوال وتأكيدات تخالف ما يبينـه العلم الدنيوى على نحو لا يقبل الشك • ومن السهل أن تتصوروا مدى ما يفيده فى الغرب مَنْ يبحثون من كل جانب عن حجج تدعم نظرياتهم القائلة بأن القرآن انما هو عمل قام به رجل أمكنه الوقوع فى خطا يذكره بعض الوقائع المعروفة جيدا فـىيومنا ، لانه عاش فى حقبـة زمنية لم يكن العلم قد نما فيها وتطور ، وحاصل القول ان أخطاء القرآن هذه يمكن مقارنتها بأخطاء من هذا النمط ارتكبهـا مؤلفوا كتب التوراة ، هـذا ما يمكن أن نسمعه من قادحين لا هم لهم الا القدح •

ولنأخذ مثال السورة التى كانت أول ما أوحى الله به على رسولـه ، وهي سورة ، « العلق » (96 ـ 1 ـ 2) :

« **اقرأ باسم ربك الذى خلق خلـق الانسـان مـن علـق** » • ولنفحص الترجمات والشروح التى طالما ترجمت أو شرحت بها كلمة « علق » فهي قـد فسرت أو ترجمت بالدم المتجمد ، أو الدم المتخثر ، أو بما شئت من التفاسيـر والترجمات الاخرى ، وأمام مثل هـذه الترجمات ، سمعت غير ما مرة من يتذرع بالحجة الآتية : « كيف يمكن أن نتصور أن الله هو الذى أنزل القرآن معلنا فيه أن الانسان مر بمرحلة كتلة من الـدم المتجمد ، وأنتم تعلـمون أن الامر ليس كذلك ، فهذا اذن برهان على خطا عـلمى فى القرآن » • فما الجواب على هذا ؟ الجواب واضح ، وهو أن الترجمة رديئة، وأن كلمة « علق » ينبغى ألا تؤخذ عـلى أنها تعنى احدى المعانى المشتقة منهـا (مثل الدم المتجمد هنا) الذى يقـدم صورة غير صحيحة عن مظهر من مظاهر التناسل البشرى ، بل ينبغى أن تؤخذ فى معناها الاولي ، أي أنها ـ شيء مـن الاشياء ـ التى تعلق ما يتفق ومعارفنا فى علم تكوين الاجنة ، وفى هذه الاحوال، يكون التوافق كاملا بين النص القرآنى ، وبين معطى من المعطيات العلمية الـتى لا تقبل المراجعة ، لانه فى يومنا هذا ، ثابت بالمجهر ، ويمكن ملاحظته فى المراحل المبكرة التى تثبت فيهـا المضغـة فى رحم الام بمحاجن ارساء حقيقية •

لم يكن لهذه المسائل فى الماضى أية أهمية ، ولم يكن لنا فى الواقع آن نبحث فى القرآن ، سواء فى المـاضى أم فى الحاضر ، عن صيغ أو وصفات علمية، لقد كان القرآن ولا يزال كتابا دينيا فى المقام الاول ، فاذا كان هـذا الكـتاب المقدس يتضمن بيانات عن الظواهـر الطبيعية التى أصبـح فهمهـا الآن فى متناول الناس بفعل معطيات معارف ثابتة الصحة ، فانما كان ذلك بغرض لفـت

انتباه الناس الى هذه الظواهر ، فهي بنوع ما ضرب من التعبير الاضـافى عن الدرة الالهية الواسعة ·

لا بأس لهذا كان المفسرون فى العصور القديمة لا يعطون لكلمة « علـق » الا معنى ظاهرا ولكنه غير صحيح فى ذلك العهد ، ما دام الانسـان يتصـور أو يستحضر عندما ترد عليه هذه الكلمة ، القدرة الكلية التى يتصف بها خالقه ، أما اليوم ، فان التقدم العلمى يسمح بادراك معنى آخر زائد على ذلك ، ألا وهو المعنى الحقيقى الذى تدل عليـه الكلمة ،فنحن ندرك حينئذ المعنيين اللذين تحتملهما الآية : المعـنى الاول والاصلى هو الطابع الدينى للتفكير فى القدرة الالهية الكلية ، والمعنى الثانى هو بيان معطى من معطيات العلم لـه أهميته ، وفعلا ، فنحن عندما نقرن هـذا المعنى بمعطيات القرآن الاخـرى فى موضوع تناسل الانسان نجـ دأنها تقود كل عالم موضوعى الى الاعتراف بأنه لا يمكن لرجل فى عهـ دالنبي أن يكون هو صاحـ بهذه الافكار انشاء وتعبيـرا ، وقد حصلت فى ذلك على برهان قاطع عندما قمت بعرض المعطيات القرآنية فى هذا الموضوع على أكاديميـة الطـب بباريس ·

ان هذه الآية ليتجلى منها هـذان المعنيان ، سـواء أكـانت مترجمـة أم مشروحة كما ينبغى أن تكون فى ظاهر الامر ، أما اذا ترجمت كما ترجمـت فى الماضى أو فسرت دون مراعاة المعلومات العملية الثابتة صحتها ، فانها تكـدر صفو كل شخص يؤمن بأن القرآن منزل من عند الله ، ويعلم من خلال ما تلقنه اياه العلوم الطبيعية كيف تتم عمليـة تناسل الانسان فـ ىخطوطها البارزة ، فاذا كان هذا الشخص مسلما ، فـان فكره قد يخامره الشك أمام هذا التفسير غير الصحيح ، واذا كان يتعلق بشخص لا يؤمن بأن القرآن موحى به ، فكيـف لا يستغل هذه الطريقة فى الترجمة أو التفسير ، ويتخذ منها ذريعه وسنـدا لدعم نظريته التى ينسب فيها القرآن الى مخلوق من البشر ·

وعليه فان الترجمات التى يترجم بها اليوم ذوو الثقافـة الادبـيـة عـددا لا يستهان به من البيانات القرآنية التى لها علاقة بالمعارف العلمية الثابتة ، قد تساهم فى صدور أحكام مغلوطة على القرآن ، وهذا أمر يطرح مسألة المراجعة، بمساعدة معطيات علمية يقينية ، لبعض الآيات التى قام بترجمتها أو تفسيرها أدباء ليس لهم قدر كاف من المعـارف العلمية اللازمة فى يومنا هذا للقيـام بترجمة صحيحة ، كما يطرح أيضـا مسألة مدى مناسبة القيام بعملية اعلام حول المقاطع من القرآن سواء فى العالم الاسلامى أم فى العالم غير الاسلامى حيث تنتشر كثير من التصورات الخاطئة عن القآرن وعن الاسلام · من المؤكد أنه ليس من السهل القيام بترجمة وفية

للقرآن بأتم معنى الكلمة ، الا انه فى مقدور الانسان أن يعرض النص عرضا صحيحا قدر الامكان لمن لا يعرف اللغة العربية · ولتحقيق ذلك ، فى نطـــاق الموضـــوع الذى يشغلنا ، يجب استخدام المعارف العلمية حين تكون هذه المعارف ثابتة الصحة ثبوتا نهائيا : الامر الذى يستثنى بطبيعة الحال ، النظريات التى هي عرضة للمراجعة دائما ·

وفى الختام، من الملاحظ المألوف فى الغرب أن ترجمات القرآن وشروحـــه تشيع فى غالب الاحيـــان تشويهـــات مقصودة وأخطاء غير مقصودة ، وكلا الامرين مضر بالشر الحقيقة عن القرآن وعن الاسلام ، وفى هذا العصر الذى يسر فيه تقدم التقنيات وسائل الاعلام على نطاق واسع ، نجد أن اشاعـــة الاخطاء والتشويهات وكذا اذاعـــة الحقائق أمر ميسور للغايـــة ، الا أن التجربة تبين للاسف الشديد ، بـــأن نشر الباطل أيسر فى الغالب من اذاعة الحق · ان أقل ما يمكن أن نقوم به ، هو أن نخفض الى الحد الادنى من نشر واشاعة ما ليس صحيحا · ان التعريف بالترجمات والتعاليق المراجعة تبعـــا لمقترحات صادرة عن تجربة معاشـــة ، من شأنه أن يحارب التأويلات المغرضة التى ـ صدقونى ـ تلحق فى الغـــرب بالغ الضرر بالاسلام ·

تعدد المدارس الاجتماعية فى العالم الاسلامى وعواقبه الثقافية

د٠ عبد المجيد مزيان

ان الباحث فى الاحوال الحاضرة للمجتمعات الاسلامية بحثا اجماليا لا يمكنه أن يعزل المسائل الثقفية عن المسائل السياسية والاقتصادية التى يعانى منها هذا الجزء من العالم أشد العناء منذ حاول أن ينهض وحاول خصومه أن ينصبوا له العراقيل ٠ وان لمن البديهيات الاجتماعية أن نعتبر كل ظاهرة ثقافية تبرز للوجود فى عالمنا المعاصر اما امتدادا أو رد فعل لظواهر متسلسلة تتصل فيها الثقافة بالسياسة، وتهون فيها الحدود الوطنية ، والحصانة الاقليمية ، بسبب تعدد الاتصالات ، والتفنن فى التسلط والايحاء من لدن الحضارات المسيطرة ٠ وليس من التسرع فى شىء أن نقول بأن حاضر المسلمين يتلخص فى استمرار النكسات، لا بسبب نقص امكانياتهم المادية أو البشرية ، ولكن بسبب هذا الكيد المستمر الذى تكيده لهم الحضارات المسيطرة من اشغالهم المميت عن وعي ذاتهم ، ووعي علاقاتهم بغيرهم ٠

ومن البديهيات السياسية أن نقول بأن المسلمين يعانون فى أغلبيتهم مفارقات ضخمة تتلخص فى الرغبة الاكيدة فى النهوض مع مسالمة الاستعمار الذى يحارب هذا النهوض ، وهم يرغبون فى الوحدة ولكنهم يستسلمون لمخططات التشتيت ٠

وسواء نظرنا الى المجتمعات الاسلامية بمنظار اجمالى أو منظار جزئى فاننا سنجد نفس التبعية اللاواعية ، ونفس المفارقات ، ونفس التشتيت ، سواء أخذت الظواهر فى تداخلها وتفاعلها بين السياسة والثقافة والاقتصاد ، أو أخذت كل ظاهرة فى تفرعها بين ميادين ونشاطات الحياة الاجتماعية فى تنوعها وتعددها ٠

ان السياسة حاضرة حضورا طاغيا فى كل ظاهرة ثقافية ، مهما صرح المثقفون بأن السياسة كلما دخلت فى

شيء أفسدته ، هذا شريطة أن نفهم السياسة بمعناها الفكرى الواسع لا بمعنى الممارسات وحدها ٠

من هنا لا يمكننا أن نقول بأن مذهبا ثقافيا ، أي مذهب ثقافى ، سيصبح فى يوم من الايام خلوا من الروافد العقائدية ذات الاهداف السياسية السافرة أو المتقنة التستر ٠

هنا تكمن مشكلة العلوم الاجتماعية المعاصرة ، فاذا صرح عالم الاجتماع أو عالم الاقتصاد بأن علمه صحيح شمولى تجريبى فان هذا التصريح نفسه نوع من الدعاية السياسية لهذه الحضارة الشمولية من خلال افتراضها فى العلوم الانسانية ٠

ان العلم الانسانى الكامل علم شبه خيالى تنصب فيه جميع المعارف الانسانية من اقتصاد واجتماع وتاريخ ولسانيات وبيولوجيا وتكون ضمنه وحدة متناسقة : وأين نحن منها اليوم ! وكم أثار علم الانسان هذا من أحلام مختلفة الاتجاهات ٠ فمن الفلسفة من ظن انه سيكون التاريخ ٠ ومنهم من ظن أنه سيكون علم الاجتماع ، ومنهم من قذفت به تصوراته فى تطور البشرية الى القول بالانتقاء ، ومنهم من افترض الوحدة بين المجتمعات فى حضارة عالمية ، ومنهم من افترض الانقراض بتصاعد الصراع ٠ من أجل كل هذه الاعتبارات نقول : ان التداخل بين الفلسفات وهي أمهات المذاهب وبين العلوم الانسانية ، ظاهرة ثقافية لم تنج منها أية مدرسة من المدارس الاجتماعية حتى الآن ، مهما ادعت الموضوعية

وهل يعنى هذا أنه يجب رفضها اجمالا ؟

ان السؤال نفسه يج دعدة مشاكل وسلسلة أخرى من الاسئلة ٠ نتساءل فى البداية عن الهوية الاجتماعية للعلوم الاجتماعية ، لانها هي الاخرى ظاهرة ثقافية ، نشأت فى مجتمعات معينة ٠ بأهداف معينة علمية وسياسية ، ولهذه المجتمعات هوية سياسية واقتصادية ٠ وهي العلوم الاجتماعية ، علوم تختلف اختلافا جذريا بين مجتمع ومجتمع ، حسب الانتما ءالسياسى والعقائدى للمجتمعات ٠

فهل من الممكن تصور ظهور الانثولوجيا مثلا لو لم يوجد مجتمع استعمار ىأوروبى ، يكتشف باحثوه خصوصيات الشعوب المستعمرة فى ثقافاتها وذهنياتها وسلوكياتها ٠ واننا لا نعنى بهذا أن كل الانثولوجيين ينتمون الى المذهب الاستعمارى ، ولكننا نبحث فى نشر هذا العلم كظاهرة اجتماعية فى العالم الغربى وخصوصا عند الانجليز والامريكيين ، فور اتصالهم بالشعوب التى سموها بدائية ، وكثيرا ما أباح جنودهم لانفسهم ابادتها بدعوى هذه البدائية التى تصوروها نقيضا للحضارة أي لحضارتهم ٠

ثم هل سبق للدراسات الاسلامية فى فرنسا أن تنطبع بهذا الطابع الاجتماعى والسياسى ، قبل دخول بونابارت الى مصر ، ثم استيلاء الجيش الفرنسى على الجزائر ؟

وهل كان من الممكن ظهور علم الاجتماع اوقتصاد ماركسى صبغته الشمولية لو لم ينطلق من النقد الاجمالى للعالم الرأسمالى المتناقض ؟

ثم ان العلوم الاجتماعية اما علوم اجمالية تتفلسف فى موضوعات تهم التطور البشرى ، وهي فى هذا الميدان منكبة على نموذج واحد ذى امتياز خاص وهو النموذج الاوروبى للتطور الذى عددت قوانينه تعميما تجريبيا الى الانسانية جمعاء ، وهذا شأن العلوم الاقتصادية والتاريخ وعلم الاجتماع العام ، فى أهم موضوعاتها ، واما علوم جزئية تعتنى بالوحدات الاجتماعية التى كادت تنقرض اثر التحولات التى أحدثها الاستعمار ٠

فأين مكانة العالم الثالث بحضاراته ومسائله الخاصة ونوعية تطوره وصراعاته مع الاستعمار ضمن اهتمامات العلماء ؟ نقول ان هذا الموضوع لم يحظ بالعناية اللازمة حتى الآن ، ولم يظهر بعد المذهب الاجتماعى المستقل الذى يطرح مشاكل هذا العالم ويحدد ميادين ومنهجيات البحث اللائق به ٠

هذه بعض المشاكل التى يطرحها البحث فى هوية العلوم الاجتماعية المعاصرة بصفتها علوما مارسها باحثون لهم انتماءاتهم الفلسفية المذهبية ولهم مدنيتهم المجتمعية ، نشير اليها بتلخيص واستعجال ٠

ثم نعود الى السؤال الذى طرحناه عن الرفض والقبول ، ، فنقول بأننا من بداية ما نسميه بالنهضة الاسلامية لم نتعد هذا الموقف الضيق المحرج الذى هو أزمة الاختيار بين الرفض والقبول، وبين الانكماش والانفتاح ٠ هذا هو موقفنا من المعاصرة فى مجملها ٠ وهكذا موقفنا اليوم من الثقافة الغازية، ومن السلوكات الاستهلاكية ، حتى أننا لنجد أنفسنا نعانى فى صلب حياتنا الاجتماعية تناقضا وتباينا بين المجموعات المحافظة والمجموعات التى انساقت مع المعاصرة كما نعانى انفصاما فى هويتنا الثقافية وفى ذهنياتنا ٠ اذ نعيش يوميا ذلك التردد بين الاصالة كمنقذ ، والمعاصرة كحياة راقية ٠ وان هذه المشكلة نفسها لتعد من أمهات المشاكل الاجتماعية للعالم الاسلامى ٠

ولماذا لم نخرج من مأزق الاختيار بين الرفض والقبول الى فسحة الابداع الحضارى والاختراع العلمى لنأخذ ونعطى من انتاجنا الثقافى ثمرات للانسانية جمعاء كما كان الشأن حينما كنا أصحاب حضارة لها مبادراتها ومكانتها الممتازة فى العالم ؟

لنستعرض الآن طريقتى الرفض والانفتاح لنرى ما فيها من مشاكل وأزمات ثقافية ٠

ان رفض المكتسبات العلميـة بكيفية اجمالية وبدعوى المحافظة على الهوية الثقافية للمجتمع يعنى الانكماش على الذات ، ويعنى انعزال تحجر فى عالم يتطور بسرعة مذهلة ، ومآل المجتمعات المتحجرة هو الانقراض لا محالة ٠

وما كنا لنتذكر مثل هذا الموقف لولا وجوده ضمن التيارات المذهبية السائدة بين الاجيال الحاضرة التى تدعى ، باسم سلفية نوعية ، ما رأينا لها فى الماضى من شبيه ، بأن الرفض المطلق لكـل منتوج حضارى استعمارى هو وسيلة النجاة بالنسبة لحضارتنا ٠

واننا هنا لبمحضر ظاهرة اجتماعية أخرى خاصة بالمجتمعات الاسلاميـة ، وهي ظاهرة الرفض الناشئة عن أزمة التقليد الفاسد دللحضارة التكنولوجية وما أحدثته فى ذلك دولنا الاسلاميـة المعاصرة المقـلـدة للغرب من فوضى وفساد واستبداد ٠

نعم اننا نعيش فى عالم تســوده التطاحنات والاستغلال والتكالب عـلى المتعة ،ولكن هل فى امكاننا أن نرفض بدون تسلـح مادى وثقـافى يفرض مخططات هذا الرفض ٠

نقول بصدد السلفية التى هي ملجـأ هذا التيار الرفضى بأنها حلم يصعب تحقيقه ذلك لاننا لا نستطيع تجاهـل مشاكل جيلنا ، ومن جملة مشاكل جيلنا ما يتعرض له من غزوات الاستعمـار الجديد اقتصاديا وسياسيا وثقافيـا ،

ومن وسائل الخلاص بكياننا الحضارى أن نعـرف أدق المعرفـة هذا المـركـب الحضارى الـذى يلتـهـمنا ببنياتــه الاقتصادية ومخططـاته السياسيـة وتياراته الثقافية ٠

ان زعماء السلفية الاسلامية مثل ابن تيمية وجمال الدين الافغانى لم يكونوا جاهلين بالثقافات الاخرى ولم يـدع أحدهم يوما مـن الايـام الى عـدم الاطلاع على الفلسفات والعلوم سـواء أتت من اليونان أو الهند أو الغـرب المسيحى ٠ وما من مذهب اسلامى سواء كان الاعتزال أو الاشعرية أو الشيعـة أو السلفية الا واعتنى شديد الاعتنـاء فى ابان عزة الحضارة الاسلامية بدرس المذاهب الاخرى والتيارات الفكريـة العالمية دراسة عميقة موضوعية ونقدية فى نفس الآن ٠ وانما كان انكمـاش التجهيل من حظ عصـور الانحـطاط ، والتجهيل نفسه من أسـباب تزايـد الانحطاط والتردى فى ظلمات اللاوعي والانهـزام ٠

أما الانفتاح الذى يعنى التقليـد وانعدام الروح النقدية والاخذ بالنظريات المذهبية ضمن البناءات العلمية فلا يقل خطورة عن الانكمـاش لانه يؤدى الى ذوبان الهوية الثقافية والى التبايـن والتشتيت فى المجتمعـات المستـوردة للقيم الحضارية من الخارج ٠

المغلوب يقلد الغالب هي قاعـدة اجتماعية صحيحة فى المجتمعات القديمة

ولا زالت تنطبق على الكثير من المجتمعات المنهزمة المستسلمة . غير أننا نرى رأي العين فى عصرنا الحاضر كيف أن المغلوب يعاكس الغالب ويرفض قيمه وثقافته وسياسته واقتصاده ، اذا كان عازما على البقاء بهويته وكيانه . وأصبحت القاعدة الاجتماعية الصحيحة فى عصرنا الذى تعددت فيه الصراعات هي مقاومة المغلوب للغالب انطلاقا من وعي الذات ووعي العلاقات الجدلية بين المسيطر والمسيطر عليه ، والمستغل والمستغل .

اننا لم نصل بعد الى الرفض الواعى المبنى على العلم الدقيق بوضعيتنا الاجتماعية ووضعيات خصومنا بما فيها من سياسات ومعارف .

ومن أجل هذه الغفلة نجد أنفسنا فى تبعية ثقافية هي نقيض النهضة التى تشترط الابداع والاخذ والعطاء الحضارى .

ومن هنا جاء تعدد المدارس الاجتماعية فى العالم الاسلامى .

انه لا يخفى على أحد أن قنوات الاخذ العلمى هي نفس القنوات الخاصة بالاخذ الاقتصادى ، وهي بطبيعة الحال قنوات التبعية السياسية . ولكل جزء من العالم الاسلامى قنواته . فهذا الغرب الاسلامى لا يزال يأخذ العلم عن فرنسا بتعدد مدارسها ، والمشرق يتجه نحو انجليترا وأمريكا . والقليل من البعثات تتجه الى البلدان الاخرى من الغرب الاوروبى ، أو الى العالم الاشتراكى الاوروبى .

وانها لحصيلة ثقافية ضخمة وثمينة ولو تعدينا بهذا الاخذ عن غيرنا الى تكوين علم الاجتماع اسلامى بروافد فلسفية اسلامية ، ومخطط ثقافى اسلامى ، يهم دراسة المجتمعات الاسلامية ويع دلهذه الدراسة المناهج والاساليب الاليق بها . لكن علاقة البلاد الاسلامية بعضها بالبعض سطحى فى ميدان البحث العلمى كما انها سطحية فى ميدان العلاقات الاقتصادية . وكما اننا لا نتصارف فيما بيننا الا بعملة الآخرين ، فكذلك لا نتخاطب فى الميادين العلمية الا بما لقنتنا اياه المدارس التى أخذنا عنها ، وان لهذا التعدد لعواقب ثقافية كثيرة لا نريد احصاءها هنا لانها متنوعة وتستحق العناية والدرس العميق ، ولكننا نمر عليها باستعجال قصد التنبيه .

ولنبدأ بالاغاليط العلمية التى يتخذها الكثير منا قواعد يحاولون الصاقها بمناهج البحث فى مجتمعاتنا .

فى أغالبية المدارس الغربية هذه الانانية الاوروبية التى تكاد تذوب الكون فى أوروبا ، فلا تنظر الى العالم الخارجى الا بمنظار الذهنية الاوروبية ، ولا تعتنى بنموذج حضارى غير النموذج الاوروبى ، ولا تتصور أي تطور للمجتمعات الا بمقياس التطور الاوروبى،

ولا نعتنى بمرجـــع تاريخى الا مــــن تاريخ أوروبا ٠

وكثيرا ما يأخذ علماؤنا بهذه الذهنية فيبحثون فى تطور مجتمعهم بمفاهيـــم مستوردة ، ونجدهم يتكلمون عن أسباب الانتاج الرأسمالى فى بلادهم ، وعـن هوية الطبقات الاجتماعية عندنا نقلا عن النماذج الغربية وعن وسائل التطور بمقياس الشروط المنقولة عن الحضارة الاوروبية ، ولا يلمسون فى ذلك الفوارق الضخمة الموجـــودة بين الاوضـــاع الاجتماعية فى البلاد الاسلامية والاوضاع التى تكونت وتبلورت فيها تلك المفاهيم ٠ ومن مغالطتهم فى المعارك الاجتماعيـة الاجمالية ادماج التصورات المذهبيـة فى القواعد العلمية ، وخصوصـا فى هذا الخصام المستمر فى تاريخهـــم الفقهى الذى يتمثل فى الصراع بيـــن الروح والمادة ، حتى اننا لنجد نزعـة مادية فى العلوم الاجتماعية تعـــطى الاسبقية للبنيات الاقتصادية ، ونزعـة روحية أو مثالية تعطى الفعالية الاولى فى تسيير الحياة للثقافات والمذاهـــب الفكريـــة ٠

ومهما كان انتساب بعض علمائنـــا الى الواحد من هذين التيارين ، فانـــه ليس الا أخذا بخصومـات الآخريـــن وصبها فى ثقافتنا التى كانت ابـــان ابداعها الحضارى ثقافة الوحـــدة الانسانية التى تأبى فصـل الوجـــود المادى عن الوجود الروحى ، وتـــأبى اعتبار الكون المحسوس خلقا أدنى ينظر اليه نظرة الاحتقار بمنـــظـــار المثـــل المفارقـــة ٠

ومن أغاليطهم أيضا هذا التصنيـف للمجتمعات الى متحضرة ، وبدائية ، وقابلة للتطور البريع ، وباردة متحجرة، مع اعتبارها النموذج الحضارى الاكمل الذى هو النموذج الاوروبى مقياسا لكل تحول مستحب ، ولقد أصبح علماؤنـا الآخذون بهذا للتصنيف لا ينظرون الى تطور وتقدم مجتمعاتهم الا من خلال المثل الحضـــارى الغـــربى متناسيـــن الامكانات المتعددة للتطور ، ومتناسين الطريق الذى أخذته حضارات أخرى فى تحصيل توازنها وراحة شعوبها ٠

هذا ومهما كانت درجة العلم فى هذه المدارس التى نلتمس منها معارفنـــا الاجتماعية فانها لا تعتنى بمجتمعاتنـا الا اهتماما جزئيا وعابرا وهي تـوحى الى أتباعها من أبناء العالم الثالـــث أن يأخذوا بالمفاهيم الجاهزة ، كما انهم فى ميدان الاقتصاد يوحـــون بـأخـــذ التكنولوجية الجاهزة ومن أجل كـــل هذه الاعتبارات وقع التشطيب زمـــن الاختراع والابداع ونقـل المنتوجـــات الحضارية تقليداً من غير نقد أو وعي ٠

أما المدارس الماركسية فى العلـــوم الاجتماعية ، ومنها ما يوج دفى داخـل العالم الاشتراكى ، ومنها ما يوجد فى أوروبا الغربية ، ولم تعتن بالعالم الثالث

الا فى العلاقات الجدلية والاستغلالية التى تربطه بالغرب الرأسمالى ٠

ومن أغاليطها هيمنة الوثوقية عند أصحابها ، وهي تلك الوثوقية التى تفسر الحياة الاجتماعية تفسيرا ماديا ، وترد الصيرورة التاريخية الى نوعية الانتاج وعلاقات الانتاج وحدها ٠ وكان التصلب فى هذا لميدان « باسم السنة الماركسية » قد بلغ حده الاقصى فى البلاد الاشتراكية الاوروبية ، بينما أدت اجتهادات الغربيين الذين ينتمون الى المدرسة الماركسية على الاعتناء بتأثر البنيات ، مغالين من جهتهم فى فهم فلسفة التاريخ عند ماركس فهما يتفق مع الاصول الاولى للمذهب ، وقد ظهرت فى بلادنا أجيال من المثقفين لا يفسرون الحياة الاجتماعية الا من خلال الاقتصاد والانتاج وعلاقات الانتاج ٠ وكانت فلسفتهم هي الدعوة الى تغيير الهياكل الاقتصادية قصد الدخول فى المعاصرة والاقلاع عن التخلف ، ومن تهافت على الاساليب التكنوقراطية فى هذه الذهنية التطورية انطلاقا من الاقتصاد والتجهيز التكنولوجى دون سابق وعي بالواقع المجتمع الاسلامى ٠ ولا فرق فى مثل هذه المواقف بين السياسى وعالم الاجتماع ، فكلاهما يفهم تطور المجتمعات فى شبه علمية تقنية تبنى تماما كما يقع التجهيز الاقتصادى ويفرض فرضا على الشعوب من قمم الاجهزة المسيرة ٠

وأما التصنيف العلمى لانواع الانتاج فلم تخل فيه المدرسة الماركسية من تعميمات غامضة ٠ وذلك لانها لم تعتن حق العناية الا بنق دالانتاج الرأسمالى ووصف الانتاج الاشتراكى فى مقابله ٠ وأما الحضارات الآسيوية الافريقية التى عرفت أنواعا متعددة من الانتاج فانها صنفت بجملها تحت عنوان الانتاج الآسيوى ٠ ومهما حاولنا أن نطبق عموميات التصنيف على الحضارة الاسلامية فى المراحل المختلفة من تطورها فاننا لا نجد جماعيتها تتفق مع طبقية الهندية ولا مع الاقطاعية النوعية بالصين ، ولا مع الجماعات المحلية الافريقية ، ولكل نوع رأسماليته الخاصة واقطاعه الخاص ، ونظامه الاسترقاقى الخاص ، وصراعاته الخاصة ٠ فأين هذه التدقيقات وهذا النقد العميق عند علمائنا اليوم ؟

فكأننانخاف من مغامرة الابداع الثقافى والعلمى ، أو كأنما يوحى الينا بالبقاء فى التبعيات المختلفة وبالاخص التبعية الثقافية منها ٠ وكأننا لم نعرف ابن خلدون ولو كان من غير ملتنا لاخذنا عنه الكثير ٠ لولا اعجاب بعض الغربيين به لتناسيناه ، غير أنه رد الينا اما رأسماليا أو ماركسيا ، أو روحانيا متدينا عند البعض وماديا عند البعض الآخ ر٠ ثم أوحى الينا منذ سنوات بتفاهة الانتاج الخلدونى ، لانه انتاج للقرون الوسطى ، وان مجتمعات اليوم تختلف جذريا عن مجتمعات تلك القرون ٠

ان نقدنا للتبعية وللانكماش واستعراضنا لبعض أغاليط المدارس

الاجتماعية يبين بوضوح احتياجنا الى انشاء علوم اجتماعية اسلامية ، كما أن هناك علوما اجتماعية أوروبية ٠

فما معنى هذا ؟

اننا لا نعنى أن لكل أمة علومها الاجتماعية ، ولكننا نقصد من وراء ذلك التخلص من الرواف دالمذهبية والابعاد الفلسفية الخاصة بالحضارة الغربية فى نظرتها الى الكون والبشر نظرة نفعية استغلالية عريقة مهما تسترت فيها هذه النزعات ٠ اننا مقتنعون بأن الاستعمار لم ينته وأن التخطيطات العدوانية للسيطرة على الخيرات والعباد لا زالت تحاك فى اتقان ٠ واذا كانت الصهيونية لا تزال تصرح بالعداء وتبوح بخطط الاساءة ٠ ان قمة الهرم الحضارى اليوم مبنية على قاعدة اشغال العالم الثالث بما فيه العالم الاسلامى ٠

هذه حقيقة اجتماعية وسياسية لها ضمنياتها المذهبية ولا يمكن أن تخفى على أحد، وللثقافة نضالها كما أن للسياسة نضالاتها ،وللعالم الاسلامى أوضاعه الخاصة لا يمكن أن يدرسها باخلاص واتقان الا أبناؤه ٠

وما شأن الخلدونية بأوضاع المسلمين اليوم ؟

اننا نعد ابن خلدون بمثابة الرائد الذى أختص بخصوصيات الحضارة الاسلامية واعتنى بطريقة تطورها النوعى وانتبه الى علاقاتها الجدلية من صراعات وتغيرات وانسجام ومفارقات ٠ واذا كنا مقتنعين بأن النوعيات الاجتماعية التى درسها فى الماضى قد انقضى جلها ، فاننا لا نشك من جهة أخرى فى بقايا تعيش على النمط الاجتماعى القديم ٠

ثم ان للحضارة الاسلامية كباقى الحضارات ثوابت ثقافية واجتماعية لا تنقرض مهما تجددت فى بعض مظاهرها ، وهذه الثوابت هي الحبل المتين بين الماضى والحاضر ، وهي النواة الازلية الهوية الحضارية ، وهي التى تطبع الاتجاه التطورى بطابعها العميق ٠

ان الاساس الاعمق للكيان الاجتماعى فىالعالم الاسلامى هو الفكر الدينى ، ولا يزال هذا الفكر حتى الآن يحرك الشعوب وينقلها الى الوعي الثورى ٠ ولهذا الفكر الدينى خصوصياته من بين الفلسفات الاديان ، لانه يمثل العقيدة المتعددة الابعاد ، وليس البعد السياسى والاجتماعى فيها بأقل أهمية من الابعاد العقائدية الاخرى ٠

وكما اننا نتكلم عن علوم اسلامية خاصة بالحضارة الاسلامية ، لا وجود لمثلها عند غيرهم ، فكذلك يمكننا أن نتكلم فى الاوضاع الاجتماعية عن مدنية اسلامية ، وعن روح جماعية اسلامية ، وعن جماعات محلية اسلامية ، وعن اقتصاد اسلامى ، وعن حكم اسلامى فى مميزات خاصة ٠ فالنظرة الجامعة التى تجعل عالم الاجتماع أو عالم الاقتصاد المبتدى يكتشف وحدة ثقافية

ووحدة اجتماعيـة بين سـكان مراكش وسمرقند وكانو وجاكرتا ، هي نفـس النظرة التى تفرض علينا التفكيـر فى علم اجتماع اسلامى ، أي خاص بالعالم الاسلامى له موضوعاته ومناهجـــه المستخرجة من هذه الموضوعات • وهذه المشاكل التى تثيرها خاصة المجتمعات الاسلاميـــة •

ثم ان لهذا الحاضر الاسلامى جذورا فى العمق التاريخى لا يمكن أن يفهم الا بواسطتها ، اننا مع الحاضر الاوروبى فى علاقات جدلية تتلخص فى صراعنا من أجل التحرر من الاستعمار الجديد والتبعية للامبرياليات ، بينما يخطــط خصومنا لابقائنا مشتتين ضعفاء قصد استغلال ثرواتنا التى ينبنى عليهـــا ثراؤهـــم •

أما تطورنا الداخلى فله مظاهـــره الخاصة تختلف عن تطور الحضـــارة الغربية المبنية على صراع الطبقـــات والتطاحن بين المعسكرين ، فنحن نعيش الكثير من جدلياتنا القديمة المتلخصـة فى الحروب بين الجماعات ذات العقيدة الاسلامية الواعية الى العدل والمساواة والهيئـات المتسلـطـة ذات العـقـيدة التفاضلية النامية الى الطاعـة والنظام وابقاء ما كان على ما كان بوسائـــل القمع والتهديد •

والجديد فى مجتمعاتنا هو التقـاء مصالح الهيئات المتصلة فى معظمها مع مصالح الاجانب المستغليـن وكذلـــك الالتقاء بالمجتمعات الاسلامية الثائـرة مع أغلبية الثورات • فهناك الجانـــب العالمى ، وهـنـاك الجـانب الخاص بالحضارة الاسلامية ، وجدلية التطور هنا لها بعـــد أن يعد ينـتـمى الى المجتمعات الاسلامية وبعد يتـفرع الى عالمية ظاهرة النضال التحررى •

وان لكل هذه الظواهر ضمنيات مذهبية ومقتضيات علمية • فالعالم الاجتماعى ذو الموضوعية الصرفة لو صح وجود هذه الموضوعـيـة لا يمكـــن أن يدرك التشعبات السياسية لمثل هذه الظواهر، كما ان المفكر فى السياسة قد تخـفى عليه خصوصيات الحضارة الاسلامية بعمقها التاريخى وما يحمله من ذاكرة غنية ملتصقة بموهبة المجتمع الحاضر •

ولا يمكن أن تكون النظرة الى تاريخ حضارتنا نظرة تراثية ، اذا كنا نريد اقامة علوم اجتماعية ذات آبداع ووعي بأنفسنا وعلاقاتنا مع الآخرين ، بـــل يجب علينا فى حالة الابـداع هـذه أن نقيم تاريخنا تقييما نقـديا صارمـــا فنحصى المكتسبات الحضارية الحقة ، ونقف على النكسات ومظاهر الانهيار •

ومن هنا نعود الى الخلدونية فنقول انها منطلق لبناء علمى يردنا الى انشاء علوم اجتماعيـــة اسلاميـــة تتعـدى اهتمامات ابن خلدون الى دراسة عالمنا الحاضر فى تناقضاتـــه وصيرورتـــه الخاصة • ومن مزايا هذا الفكر الرائد

أنه حقق بناء نسق ثقافى قد سبق فيه طموحنا الى تكوين علم انسانى متكامل منسجم · والسبب فى ذلك عقيدته الاسلامية كما ترى ·

ومن قواعد هذا العلم الخلدونى الذى هو العمران : اعتبار الانسانية انسانية واحدة فى اي مكان أو أي عصر وجدت ·

ورغم التنوع الاجتماعى فان المجتمعات كلها مؤهلة للحضارة والتقدم ، حتى انها لتنتقل من البداوة الى المدنية المبدعة فى سرعة البرق ، ودون وسائط الاطوار الحتمية المتسلسلة ·

ومن مزايا العمران أيضا أنه ينظر الى الوجود الانسانى وجودا كليا متماسكا لا فرق فيه بين النشاط المادى والنشاط الفكرى ، فالصناعات فكر ، والعلم صناعة ، والاقتصاد ابداع وخلق انسانى عن وعي ، والثقافة لا توجد الا ضمن المؤسسات المادية مثل المدن والامصار ·

ومن مزاياه أيضا هذا التوازن بين الفكرى العلمى التجريبى والفكر الدينى الذى تمتاز به الحضارة الاسلامية حتى ان الدين يعد وازعا للعلم ، وأن العلم يعد معززا للدين ·

فلا نشعر ضمن التصور العمرانى بأي أزمنة فكرية على مثال ما نشاهده فى الثقافات المعاصرة من الضيق بالوجود والتيه فى الشكوك الفلسفية والصراعات المذهبية ·

واذا كان علم العمران منطلقا لهذه النظرة الانسانية الشمولية المتوازنة فما أحوجنا اليه كراف دمذهبى لمعارفنا الاجتماعية الاسلامية نقابل به المذهبيات الاجتماعية الاخرى المشبعة بالصراعات والعرقيات ·

هذا هو معنى وجو دعلوم اجتماعية اسلامية ذات أخذ وعطاء وابداع سواء فى جانبها العلمى المحض أو فى جانبها المذهبى السياسى والفلسفى ، ويمكن أن تنطلق هذه العلوم من خلدونية جديدة ذات نزعة نقدية صارمة ، وذات طموح حضارى يتخلص به علماؤنا من التبعية والانكماش ·

ضوء على تفكيرنا الديني
في مطلع القرن الخامس عشر الهجري

د· محمد الغزالي
أستاذ الشريعة الاسلامية
بجامعة الملك عبد العزيز
مكة المكرمة ـ العربية السعودية

الاستعدادات كبيرة لتوديع القرن الرابع عشر واستقبال القرن الذى يليه، وسأشارك فى احتفالات كثيرة تقام لذلك الغرض ، ولكنى ـ بعد طول تجربة ـ وجل من أحوال أمتنا ، وقلق مما ينتظرها اذا بقيت على ما أرى ···

بعض المرضى يحتاج الى صدمات كهربائية لتصحيح وعيه ، وايقاظ ما تخدر من حسه ، والمسلمون يحتاجون الى أمثال هذه الصدمات كي يحسنوا الخلاص مما حل بهم ، والسير على نهج يشبه أو يقارب نهج الراشدين من أسلافهم !

ان امتنا الآن جزء كبير من العالم الثالث ، تخلفها الحضارى لا ريب فيه ، ومظاهر التقدم المجلوبة من هنا عارية قد تسترد ·

انها ليست افرازا لكيانها الخاص، ولا أثرا لنشاطها الاصيل ·

ما الذى أوصلنا الى هذا الدرك ؟ ان التقدم والتأخر ليسا حظوظا عمياء ! ان ما نزل بنا هو نتائج لمقدمات طال عليها الامد وعلل هدت قوانا جيلا بعد جيل ···

وبعض الاجسام يصيبها فى سن مبكرة مرض شديد ، ولكن عافية الشباب تهزمه ، فتكن الجرثومة متربصة الفرص السوانح لتثبت عندما تريد ، ملحقة بالجسم ما تشاء من عطب ···

وأمتنا الكبيرة تعرضت لادواء وبيلة خلال عصورها الخوالى ، وقد قاوم كيانها الصلب هذه الادواء ، وبدا للعين المجردة كأنه سليم معافى ، ولكن الجراثيم الخانسة برزت من مكانها خلال القرون الاخيرة ، فلماذا اصطدمت بنا القوة المعادية للاسلام فضجتنا المعارك فى كل ميدان ، وسقط المسلمون بين المحيطين الاطلسى والهادى وبين أواسط أوروبا وآسيا شمالا ، وجزائر أندونيسيا والفلبين والمحيط الهندى وأقطار ما تحت الصحراء الكبرى جنوبا ···

ان هذا الكيان الاسلامى تهـــاوى تحت ضربات المغيرين ، وأصبح بيـن عشية وضحاها أسيرا تدميه القيـود ، ويرهقه الاذلال ٠٠٠

لقد حدث هذا ، وكان لابد أن يحدث، لان المسلمين فقدوا أسباب التمكين فى الارض فعصفت بهم الرياح الـهـوج ، ان الرياح مهما اشتدت لا تنقل الجبال ، ولكنها تنقل كثبان الرمال ٠٠٠

واذا كنـا عـلى أبواب نهضة حقـة فلندرس بدقـــة وبصيـــرة أســـرار ما أصابنا ، فان العافية لا تتيسر بدواء مرتجل ، والنصر لا يجيء باقتـــراح مرتجل ، ان الاسلاف تصدروا قافلـــة العالم بجدارة ، والاخلاف ملأوا ذيـــل القافلة بجدارة أيضا ٠

وقد تأملت فى أحوال ناس يعملون فى الحقل الاسلامى ، ويتحمسون لنصرة دينهم ، ولكنهم يحملون فى دمائهـــم جراثيم الفوضى القديمة ، والجهالـــة المدمرة ، فأدركت أن هؤلاء يتحركـون فى مواضعهم ، وأنهم يوم يستطيعون نقل أقدامهم فسيتجهون الى الوراء لا الى الامام ، وسيضيفون الى هزائمنا الشائنة هزائم قد تكون أنكى وأخزى ٠٠٠

من أجل ذلك رأيت استثارة الهمـــم لبدء نهضـــة واعيـــة هاديـــة تعتصـــم بالوحي الاعلى ، وتتأسى بالرســـول وصحبه ، وتنتفع بتجـــارب القـــرون الاربعة عشر التى مرت بنا ٠

قد تقول وهل يخالف أحد فى هــذا حتى تتناوله بالغمز واللمز ؟

وأجيب : ان أحدا لن يجرؤ على هذه المخالفة بقوله ، ولكنه بفراغ فكره أو فساد باطنه قد يجر الكوارث عــــلى الكتاب والسنة ، ولا يزيد الطـيـن الا بلـــــة ٠٠٠

الفساد السياسى مرض قديـــم فى تاريخنا ، هناك حكام حفروا خنـــادق بينهم وبين جماهير الامة لان أهواءهم طافحة وشهواتهم جامحة ، لا يؤمنـــون على دين الله ، ولا دنيا الناس ، ومـــع ذلك فقد عاشوا آمادا طويلة ٠

وقد عاصرت حكاما تدعو عليهـــم الشعوب ، ولا تراهم الا حجارة عـــلى صدرها توشك أن تهشمه ، انتفع بهـم الاستعمار الشرقى والغربى على سواء، فى منع الجماهير من الاخذ بالاســلام والاحتكام الى شرائعه ٠٠٠ بل انتفـع بهم فى افساد البيئة حتى لا تنبت فيها كرامة فردية ، ولا حرية اجتماعية أيـا كان لونها ، ومع هذا البلاء فقد رأيـت منتسبين الى الدعوة الاسلامية يصورون الحكم الاسلامى المنشود تصويرا يثير الاشمئزاز كله ، قالوا : ان للحاكم أن ايأخذ برأي الكثرة ، أو رأي القلة ، أو يجنح الى رأي عنده وحده ٠٠!

أهذه هي الشـورى التى قررهـــا الاسلام ؟ فما الاستبداد اذن ؟

ووضع بعضهم دستورا اسلاميـــا أعطى فيه رأس الدولة سلطات خرافية لا يعرفها شرق ولا غرب ، وعندما تدبرت هذا الكلام وجد تأن معايب ثلاثا تلتقى فيـــه ٠

سوء فهم لمعنى الشورى ، وغباء مطلق فى انشاء أجهزتها المشرفة على شؤون الحكم ، ثم عمى عن الاحداث التى أصابت المسلمين فى اثناء القرون الطوال والتى نشأت عن أثناء استبداد الفرد ، وغياب مجالس الشورى ، ثم جهل بالاصول الانسانية التى نهضت عليها الحضارة الحديثة ، والرقابة الصارمة التى وضعت على تصرفات الحاكمين ·

فاذا استقبل المسلمون القرن الخامس عشر ، وفهم عدد منهم لوظيفة الحكم لا يتجاوز هذا النطاق العقيم ، فكيف تسير الامة وأين تتجه ؟؟

ان الفقه الدستورى فى أمتنا يجب أن تنحسر عنه ظلال الحجاج ، وعبيد الله بن زياد ، وملوك بنى العباس ، وسلاطين آل عثمان ···

ويجب أن يمنع الخوض فيه شيوخ يقولون : ان الرسول افتات على الصحابة فى عمرة الحديبية ، فمن حق غيره أن يفتات على الناس ، ويتجاوز آراءهم (هذا الضلال فى تصوير الاسلام يفقد الاسلام حق الحياة) والمعروف أن الرسول صلى الله عليه وسلم احترم الشورى ، ونزل على حكمها فيما لا وحي فيه ، وأن قصة الحديبية تصرف فيها الرسول (ص) على النحو المروي لما حبس ناقته حابس الفيل ، وأحس أن الله يلزمه ، بمسلك يجنب الحرم ويلات حرب سيئة ، فكيف يجىء من يعطى الرؤساء حق الحرب والسلام ، بعيدا عن الشورى ·

لان الرسول فعل ذلك يوما ما فى مكة التى يعلل القرآن منع الحرب فيها بقوله : **« وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا ، هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا أن يبلغ محله ، ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطأوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ، ليدخل الله فى رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما »** ·

وظاهر أن الرسول صلى الله عليه وسلم اتجه مع توجيه السماء له ، وظاهر كذلك أن الشورى تكون حيث لا نص يوجه ، وان الامة هي مصدر السلطة حيث لا نص بداهة · ويؤسفنى أن الكلام عن تكوين الدولة عندما تعرض له أقوام على حظ كبير من الطفولة العقلية ، أو على حظ من الزلفى يكسبون منه الدنيا ويفقدون به الايمان ، واصلاح أداة الحكم وأصله الاول يحتاج الى فقهاء أتقياء أذكياء ···

والاوضاع الاقتصادية فى عالمنا الاسلامى تحتاج من أعصار طويلة الى النظر الفاحص والقلب النقاد ·

وكثيرا ما تساءلت : الى متى يظل التنفير من الحرام شغل واعظ ناصح ، أو وصية مرب مخلص ؟؟

ما أقل جدوى ذلك الكلام فى مواجهة الغرائز المريضة والامانى السيئة !

لو أننا جئنا الى كل ميل مربع من الارض الممهدة للزراعة ، أو المعدة للبناء، وتساءلنا أمن الحلال تم تملكه أم من الحرام ؟ لكان الجواب مفزعا ٠

ان تاريخ التملك أو واقعه المعاصر يشهد بأن كفة الشر أرجح ، وأن المسلمين من أفقر أهل الارض الى قوانين صارمة تحرس قيمهم الدينية ، ونصوصهم السماوية ، وما يقال فى ملكية الارض يطرد فى سائر الاموال ٠٠!

ثم لماذا تبقى محاربة البطالة ، والبأساء ، والضراء خاضعة لتطوع أفراد بأداة الزكاة وبذل المعونة ؟ لقد كان من أول أعمال الدولة الاسلامية ـ بعد حراسة الايمان ـ أخذ الزكاة ٠ وهذا ما عزم عليه الصديق ، وتابعه فيه بقية الصحابة ٠٠٠

ومعنى الاخذ من الاغنياء أن الدولة هي التى تتولى الانفاق فى المصاريف المقررة ٠٠٠ وانها مسؤولة عن رعيتها أمام الله ، وأمام جماعة المسلمين ، وسؤال آخر له خطره ، وتجاربنا نحن المسلمين مع الزمن توحى بتوجيهه الى كل ذى لب ٠٠ هل راقبنا سير المال فى المجتمع وطرق تداوله بين شتى الطبقات، ومساوىء تكدسه فى ناحية وافتقار ناحية أخرى منه ، أو نواح كثيرة ؟

وهل أدركنا آثار الترف المادى فى انتهاء الوجود الاسلامى بالاندلس مثلا وعملنا على عدم تكرار المأساة ٠٠٠

ان المال قوام الحياة وسياج المروءة، وعندما يكون دولة بين جماعة من الناس فان نتائجه مدمرة ، اذ الجوع كافر ، وحقد المحرومين قاتل ، وهل انتشرت الشيوعية الا مع هذه الخلخلة التى أحدثها العصيان لاوامر الله واعتداء حدوده ؟ فحتى متى يسترسل المسلمون مع أخطاء قديمة ؟

لقد رأيت فى أوروبا وأمريكا دولا شتى تشرع قوانين دقيقة لضبط سياسة المال والحكم ، وذلك لانها تعرضت لنزوات الجور والاثرة والطغيان ، وكما قال الشاعر :

والظلم من شيم النفوس فان تجد

ذا عفة فلعلة لا يظلم

فاذا وجدنا مجتمعات بشرية حصنت نفسها من هذه المآسى ، فلماذا لا نقتدى بها أو نقتبس منها ٠

قال لى البعض : هذا ما نخافه منك ، انك تستورد الاصلاح من منابع بعيدة عن ديننا وتراثنا ، ونحن أغنياء عن مقترحاتك تلك ٠٠ !

قلت : تمنيت لو كانت غيرتك هذه فى موضعها ! اننى معتز بدينى ولله الحمد ، ولكن ليس من الاعتزاز بالدين أن أرفض الجهاد بالصواريخ والاقمار الصناعية لانها بدعة ٠٠ ان التفتح العقلى ضرورة ملحة لكل من يتحدث فى الفقه الاسلامى ٠

اننا فى صمت نقلنا تسجيل كـــل مولود فى دفاتر خاصة ، واستعنا بذلك على تحصينه من الإمراض ، والحاقه بمراحل التعليم ، واقتياده للجيش لكي يتم تدريبه واعداده للقتال ، وذاك اجزاء نقلناه عـن دول أخـرى دون حرج ، فلماذا يمنع الفقيه المسلم من قبول كـل وسيلة أصيلة أو مستوردة لتحقيـــق الغايات التى قررها دينه ؟

ان النقل والاقتباس فى شؤون الدنيا، وفى المصالح المرسلة ، وفى الوسائـل الحسنة ليس مباحا فقط ، بل قد يرتفع الآن الى مستوى الواجب ...

ثم ان الدين فى باب المعاملات مصلح لا منشىء كما يقول ابن القيم ، انه لم يخترع البيع أو الزواج ، وانمـا جاء الى هذه العقود فضبطها بتعاليمه !

فللبيع مثلا بايجاب وقبول ، ولا يجوز فيه الغش ، أو الرياء أو الاحتكار .. الخ

والزواج مثلا بايجاب وقبول ، لا يجوز فيه الاتصال بالمحارم ، ولا الافتيـــات على الولي ، ولا ترك الاشهاد الخ .. وفى شتى المعاملات اذا تحققت المصلحة فثم شرع الله . ــ فما الذى يمنعنـــا نحن ــ الذين جمدنا فقهنا ، وأغلقنـــا باب الاجتهاد ألف عام ــ أن تنظـــر فى الوسائل التى اتخذها غيرنـــا لمنـــع الفساد السياسى ، أو منع الاعوجـــاج الاقتصادى ، ونقتبس منها ما لا يصادم نصا ولا يند عن قاعدة ؟

الحق ان التوقف فى هذا المجال ليس الا امتداد للكسل العقلى الذى سيطـــر على مسيرة الاسلام التاريخية أمـــدا ليس بالقصير .. !

وهناك تقاليد اجتماعية لابد من اعادة النظر فيها لتستقيم مع ديننا وأحكامـه الصحيحة ، وهي تقاليد تصل بوضـــع المرأة وتكوين الاسرة ...

اننى أحد الذين حاربوا تقاليد الغرب الجنسية ، وجاهليته الدميمة فى اشباع الغرائز من الحرام .

وقد وقف تفى وجه الذين يحاولـــون نقل هذه التقاليد الى بلادنا وقفة جرت علي المتاعب واننى لراض كل الرضـــا عما أصابنى فى هذا الميدان . لانـــه فى سبيل اللـــه ...

الا أنه حدث ما جعلنى أطيل الفكرة فى العلاقة بين الجنسين ، ومكانة المرأة فى بنائنا الاجتماعى لقد رأيت البعـض يؤكد أن المرأة فى الاسلام قعيدة بيتهـا لا تخرج منه أبدا الا الى الزواج أو الى القبـــــر ...

قلت : أهذا هو البديل الاسلامى عن حالة المرأة فى الغرب ، بشقيه الشيوعى والرأسمالى ؟ لا ، الاسلام غير ذلك . ان قرون التخلف التى مرت بنا انتهت فى القرن الماضى بوضع للمرأة المسلمة به لا يقول فقيه مسلم !

لقد رأيت المرأة فى بلادنا لا تدخـــل المسجد أبدا ، بل فى قرانا ، وكثير مـــن المدن كانت المـــرأة لا تصـــلى وهي الى

جانب هذا الحرمان الروحى كان التعليم محرما عليها فما تدخل مدرسة أبدا ··· وقلما يؤخذ لهـا رأي فى الـزواج ، ويغلب أن يجتاح ميراثها ، واذا انحرف الشاب تسوهل معه أما اذا انحرفـت المرأة فجزاؤها القتل !

هل هذه المعالم المذكورة لحياة المرأة تنسب الى الاسلام ؟ الله يعلم ان الاسلام برىء من هذه التقاليد ، كما هو برىء من المفاسـد الجنسيـة فى أوروبـا وأمريكا ·· ! ومع ذلك فان منتسبيـن الى الاسلام وعلومه يرتضـون هـذه الاحوال أو لا يتحمسون لتغييرهـا ، واذكر انى كنت ألقى محاضرة فى اليوم العالمى للمرأة · فلما قلت : ان وجـه المرأة وصوتها ليسا بعورة حدثت ضدى مظاهرة صاخبة ، وسمعت طاليا يقـول لزميله : كنا نحسن الظن بهذا الرجـل فاذا هو شر من قاسم أمين ولسـت ــ ولله المنـة ــ مفرطـا فى دينى ، ولكنى مشفقا على حاضره ومستقبلـه من الجهال والقاصرين الذين لا سيمـا واتتهم فرص فتحدثوا عنه ، وتكلمـوا باسمه، وأسوق قصة وقعت فى مؤتمر مسيحى اسلامى انعقد فـىأستراليـا هذه السنة 1399 هـ رواها الدكتور حسن با جودة رئيس قسم الدراسات العليا العربية كلية الشريعة قـال : نظـرت فوجدت امرأة فى سمة عفريت داخـل قاعة المؤتمر ، كانت مغطاة من أعلاهـا الى أدناها مستخفية الوجه واليـديـن تطل على الجمع مـن وراء ثقبيـن فى نقاب الوجه عليهما غطاء من زجاج أو باغة قلت ما هذا ؟ قالوا : سيدة نصرانية تحتج على ظـلم الاسـلام للمـرأة ، فارتدت هذا الزي الشرعى (! ·) عند المسلمين لترى النساء فى أستراليـا ما يعده الاسلام لهن اذا انتشر فى هـذه القارة الجديدة ·

وقال لـىأحد المبعوثين فى لندن ــان رجلا انكليزيا أبدى اعجابه بالاسـلام ثم قال : لكنى أذهب مع امرأتى يـوم الاحد ، فأين تذهب امرأتى اذا كنتـم تمنعونها من المسجد فلا تدخله طـوال الاسبـوع ···

قلت : ما حـدث فى أستراليـا وفى انجلترا حجة على المسلمين وليس على الاسلام ، فليس فى كتـاب اللـه ولا فى سنة رسوله أن وجه المرأة عورة يجب أن تستر ، ولا فى كتاب الله أو سنـة رسوله أنها تمنع من دخول المساجد ، ان ناسا عليهم الهوى الجنسى هـم الذين شوهوا هذه التقاليد بعدما تعسفوا فى شرح الآيـة بتفاسير مرفوضـة ، تفاسير لم يقل بها واحد من الائمـة الاربعة الذين انتشر فقههم فى طـول البلا دوعرضها ···

وقد دهشت لان عالما مـن شنقيـط ــ وهو قطر مالكى المـذهب ــ وقف فى المسجد النبوى يقول أثناء القاء درس له : ان مالك بن أنس يقول : ان وجـه المرأة ليس بعورة ، وأنا أخالف مالـك

ابن أنس ··· ! قلت : ليس مالك وحده الذى يقول ذلك ، بل سائر الائمة الاربعة ، الا رواية واهية عن أحمد بن حنبل تخالف المقرر من مذهبه كما حكى ذلك ان قدامى الحنبلى ، والشيخ الشنقيطى ، غفر الله له ، حين يخالف أو يوافق ما يقدم ولا يؤخر · وذكرت قول الشاعر :

يقولون هذا عندنا غير جائز

ومن أنتم حتى يكون لكم عند ؟

ان التربية الرشيدة الناضجة هي الضمان الاول لكل نهضة ، والبيت هو المدرسة الاولى لتلك التربية . وعندما تكون المرأة صفرا في العقل والقلب ، لا ثقافة فى مدرسة ، ولا عبادة فى مسجد ، فمن أين نحقق التربية المنشودة ؟

انه لا مجتمع يصلح عندما تكون المرأة حيوانا يحسن تقديم الاكل والمتعة ··· وحسب ! والانهيار الذى عرض لامتنا فى العصور الاخيرة يرجع الى أسباب علمية ، واقتصادية ، وسياسية كثيرة · بيد أن فقدان التربية السديدة ، والاخلاق الصلبة يرجع الى العوج الهائل فى وسائل التربية · وأول ذلك المرأة المخرفة الغافلة ، والبيت الساذج المحدود ···

لقد كانت النساء فى العصر الاول تصلى فى مساجد خاصة بهن ، حتى جاء أخيرا من يمنعهن اداء الفرائض فى بيوت الله ، وكن يبايعن الامام على نصرة الاسلام ، ومكارم الاخلاق ، حتى جاء من يقوم بتجهيلها عمدا فى قضايا الاسلام الكبرى ، ومكافحة أعدائه المتربصين به · وقال لى رجل — ممن يرون سجن المرأة — نحن نعلمهن كل شىء ، ولا يخرجن من بيوتهن ! ·

فقلت له : اننا نغرق فى محاولات مضنية لرفع مستواكم الفكرى ، ولا نكاد ننجح ! · فكيف نأمنكم على وظائف التربية والتعليم ؟

ثم هذا الذى تقوله ، أما كان محمد وأصحابه يعرفونه عندما فتحوا المسجد للمرأة ، وأذنوا لبعضهن بالمسير مع الجيش ؟

ان الاسلام لا يؤخذ من أصحاب العقد النفسية ، سواء كانت غيرتهم عن ضعف جنسى ، أو شبق جنسى ، ان الاسلام يؤخذ من كتاب الله وسنة رسوله ، والمجتمع الذى يصنعه الكتاب والسنة يجعل المرأة تلد ذريات مشرفة ، باهرة الاخلاق ، لا دابة تلد حيوانات ···

وضرورة الانتفاع من عبر الزمان ، ومر القرون ، تقودنا الى حديث عن الثقافة الاسلامية السائدة ، وجراثيم الاسترخاء والغناء التى تسرح فيها ···

وهذه الثقافة اختلطت بها عناصر سامة من جهالات الدهماء ، وأهواء الخاصة ، وخرافات أهل الكتاب ، وزيغ الجاهليات القديمة ، وايحاءات الحكام الطاغيين ···

وكم أذكر حاجة المسلمين بين الحين والحين الى علماء نقدة من الصنف العبقرى الذى قال فيه الرسول الكريم : (يحمل هذا العلم من كل خلف عدو له ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين) .

وكما اختلطت بالثقافة الدينية هذه المواد الضارة ، فانها نقصت أجزاء مهمة لتكون صورة صحيحة للقيم والغايات الاسلامية ...

وهذا النقصان هو السبب فى اضمحلال العلم الدينى داخل حدود العالم الاسلامى وخارجه ... ولا أريد الآن ضرب أمثلة كثيرة من علوم الكلام والتفسير والحديث والفقه ، فان الامر فى هذه الميادين يحتاج الى مؤتمرات تنعقد باستمرار لمصادرة الزوائد المؤذية ، واستكمال العناصر المفقودة ..

وانما اضرب المثل من علمين شعرت - وانا أحدث الجماهير - بمدى عجزنا فيهما ، الاول علم التاريخ ، والثانى علم الدعوة ، ان التاريخ يسجل الوقائع ويستخلص منها العبر ... وعلم التاريخ الاسلامى فى كلا المجالين مقصر .

ونظرة عجلى الى الاربعة عشر قرنا التى غبرت ، والى الاقطار الفيحاء التى انداح فيها الاسلام ، خلال هذه المدة الطويلة ، ونظرة أخرى الى الهزائم والانتصارات ، وظروف التقدم والتأخر التى عرضت لهذه الامة ، تبرز بقوة أن علم التاريخ لم يتناول الا مساحة محدودة من الزمان والمكان، وأن حساب الارباح والخسائر مضطرب حينا ، ومعدوم حينا آخر ، وأن محاكمة الاشخاص والاشياء الى المثل الاسلامية بل ان الوحدة الجامعة للامة كلها على اخلاف الاعصار والامصار تائهة فى هذا التاريخ الطويل ...

كأن الامر قصة مؤسسة افتتحت لها فروعا فى عواصم عديدة ، ثم طال الامد ، ونسى الاصل ما تفرع عنه هنا وهناك ... ! ؟

ولولا لقاء الحجيج فى مكة ما عرف مسلمو (دكار) (ولاجوس) على المحيط الاطلسى أن لهم اخوة فى (أندونيسيا) والفلبين على المحيط الهادى ... ! !

أين التاريخ الذى يعرض هذا الكيان الطويل العريض فى نسق واحد وصفحات متقاربة ؟ عندما كان تاريخ الاسلام سنين عددا كان الصحابة يروون أولادهم مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلاقة هذه الامة بغيرها ، فلما طال التاريخ وجد نفسه من الرجال قد يروون الجد والهزل ، وقد يعقبون بعبر قليلة أو لا يعقبون ، ثم عجز التاريخ عن ملاحقة التحرك الاسلامى ، ثم عجز أقبح العجز عن لفت الانظار الى غارات العدو على هذه الامة ، (فاذا الفلبين) مثلا تضيع منا فى صمت ، وهذا العدوان

جلبته الصليبية الغازية لشرق العالم الاسلامى ، ووضعته على مجموعة الجزر القريبة من أندونيسيا ، وكانت هذه الجزر اسلامية مائة فى المائة ! ثم أخذ الغزو النصرانى يلح عليها ويتغلغل فيها قرنا بعد قرن ، حتى وضع عليها اسم فيليب الثانى ملك اسبانيا ، ومضى التنصير فى طرقه الدامى ، ومنذ قرن كان المسلمون نصف السكان ، وهم الآن عشر السكان ، والمراد الاجهاز عليهم واستئصال بقيتهم ٠

ماذا كان يصنع الترك والعرب خلال هذه الحقب المشؤومة ؟ أين كتاب التاريخ والمعلقون على أحداثه الكبرى ؟

هل سكتوا كما سكت اخوان لهم من قبل بعد كارثة الاندلس ٠٠٠

عندما كنا طلابا درسنا للشيخ الخضرى محاضرات عن التاريخ العباسى ، وضعها رجل ذكي بصير ، ساق الاحداث بين يدى شرح ضاف للصعود والهبوط ، والنصر والهزيمة ، قلت : ما أحوج أمتنا الى مثل هذا المؤرخ يلقى الضوء على تاريخها كله طوال أربعة عشر قرنا ، متناولا بقلمه الكشاف أبعد هذا التاريخ على خطوط الطول والعرض ، وأجناس الدول التى صنعته أو شاركت فيه ٠

ان ذلك لزاما علينا حتى نواجه الردة المجنونة التى وقفت بتاريخ الاسلام العام وجعلت العرب يصنعون لهم تاريخا ، والترك تاريخا ، والعجم تاريخا ، والهنود تاريخا ٠٠٠ الخ ٠ ان التاريخ لرسالة واضحة الهدف ، انتظمت أجناسا شتى ، وعاشت أعصارا متطاولة ، رسالة مفروض أن تبقى الى آخر الدهر ، ان هذا التاريخ يجب أن يكتب بأسلوب أجمع ، وأفق أوسع ٠٠٠ مما هو الآن !!

ذلك عن علم التاريخ ٠٠ ما الدعوة الى الاسلام فشأنها عجيب ٠٠٠

فى عصرنا الحاضر توجد أنواع من الاعلام تخدم بذكاء ودهاء ألوانا شتى من الالحاد والانحراف ، والاجهزة الخادمة للشيوعية والصهيونية والصليبية بلغت من النجاح حدا كاد يقلب الحق باطلا ، ويجعل النهار ليلا ٠٠٠

أما الاسلام فان الجهود الفردية التى بلغت رسالته من قديم لا تزال تواصل عملها بكلل وقصور ٠ وأكاد أجزم بأنه لولا عناية عليا ما بقى للاسلام اسم ولا كتاب ، فان أجهزة الدعاية الاسلامية وهم كبير ، حتى بعد قيام جامعات كبرى على الاهتمام بعلوم الدعوة وطرائق نشرها ٠٠٠

معروف أن الدعوة الى الله عبادة يقوم بها المسلم القادر مرضاة لربه ، وابتغاء ما عنده ، وقد نشط أفراد كثيرون لتبليغ الاسلام فى أرجاء العالم ، وشرح صدور به كانت مغلقة،

والجهد الفردى مهما قارنه من اخلاص قليل الثمر ، انه يشبه نشاط التجـــار الصغار أمام الشركات الكبرى ٠

أين عمل الحكومات الاسلامية ؟ وأين ما وضعته من خطط لنشـــر رسالـــة عالميـــة ؟

ان الفساد السياسى عنـدنـا كـان السرطان الـــذى أودى بحضارتنـــا ورسالتنا خلال قرون مضت ٠

ان حكامنا كانوا القشرة العفنة فى كياننا من زمن بعيد ٠٠ !!

ولكي نعرف الفــروق بيـن نشــاط نلفت النظر الى أن الفاتيكان استطـاع باجهزته المنظمة أن يجعل عشرين دولة فى أمريكا الجنوبية تتبع مذهبا واحدا ، وتنطق لغة واحدة ، أما نحن ففى الشام وحده جمدنا نحلا داخل الكيان الاسلامى، أو وفرنا لها النماء المستغرب ، فبقيت النصيرية ، واليزيدية ، والدرزية الى جانب اليهودية والنصرانية ، بقيت داخل قطر اسلامى واحد ألف عام !

أين أجهزة الدعوة ، بل أين أجهـزة التعليم العادى ؟؟

وكان فى الهند عشرات الملايين مـن المسيحييـــن ، هل فكـرت الحكومـات الاسلامية فى اجـتـذاب هـــؤلاء الى الاسلام ، وحركـت العلـمـــاء لدرس أحوالهم وكسب جانبهم ؟

ان ما كان على الدولة أن تقوم بـه نهض به أفراد احتسابا ، ولا ننكر نجاحهم فى توسيع دائرة الاسلام شرقا وغربا ، لكن الافراد قد ينجحون فى نشر الاسلام لسهولة تعاليمه ،ومواءمته للفطـــرة ، بيد أنهم يعجزون عن تعاليم اللغة العربية، وتيسير قواعدها ، ونشر أدبهـا ٠ ان ذلك يحتاج الى هيئات منظمة ٠

والعرب الآن سبع أو ثمـن مسلمى العالم الاسلامى ، وقد نشأ عن توقف العربية وعجز اللهـجـات المحليـة أن اهتبل أعداء الاسلام الفرصة ، فقاموا بعملين مهمين عميقى الآثار ٠

ـ الاول نشـر اللغات الاوروبيـــة خصوصا الانجليزية والفرنسية ٠

ـ الثانى كتابـة اللغات القوميـــة بالحروف اللاتينية ، ومـعنى ذلـك أن ما كتب باللغات المحلـيـة والحـروف العربية عن الاسلام خلال ألف عـــام أمسى لا قيمة له ٠

انقطعت صلة الاجيـــال بـه ٠٠٠ ويسهل الطريق أمام هؤلاء ليتصلـــوا بثقافات وديانات أخـرى عن طريـــق اللغات العالمية التى تساندها الـــدول الاستعماريـــة !!

هذا جانب من عجزنا عن تبليـــغ دعوتنا ، أما علم الدعوة نفســـه ، وتكوين الدعاة الاكفاء لما يناط بهـم ، فالكلام فيه مر المذاق ، وربما كان فى حديثنا المستئانـــف مـا يشـــير الى ما نقصـــد ٠

نظرت بعيدا عن دار الاسلام ، وراقبت زحام الفلسفات والملل التى تتنافـــس

على امتلاك زمام العالم ، فوجـــدت الاعلاميين أو الدعاة يختارون من أوسع فكرا وأرقهم خلقا ، وأكثرهم حيلـــة فى ملاقاة الخصوم ، وتلقف الشبهات العارضــــة ٠٠٠

حتى البوذيـة ــ وهي دين وثنى ــ رزقت رجالا على قدر خطير من الايمان والحركة ، لقد طالعت صورا لرهبـــان يحرقون أنفسهم فى (فيتنام) ليلفتـوا الانظار الى ما يصيبهم من اضطهـــاد وعرتنى رجفة لجـلادة الرجال والنساء الذين يفعلون ذلك !

فلما رجعت بصرى الى ميدان الدعوة فى أرض الاسلام غاص قلبى الكـآبة ! كأنما يختار الدعاة وفق مواصفات تعكر صفو الاسلام ، وتطيـح بحاضــــره ومستقبلـــه ٠٠٠

وما أنكر أن هناك رجالا فى معادنهم نفاسة ، وفى مسالكهم عقل ونبل ! بيد أن ندرتهم لا تحل أزمة الدعــاة الــتى تشتد يوما بعد يوم ٠٠٠

والغريب أن الجهود مبذولة لمطاردة الدعاة الصادقين ، والقضاء عليهم ، وترك المجال للبوم والغربان تنعق فى الاندية والمساجد ، ووراء ذلك مخطط استعمارى مدروس بدهاء ، تنفـــذه الحكومات المدنية بدقة ، حتى لا يبـقى للاسلام لسان صـدق ، وحــتى تبقى العقـول المختلطـة هي التى تحتكـر الحديث عن هذا الدين المظلوم !

ويوجد الآن شباب وشيوخ يعملــون فى ميدان الدعوة ، أبرز ما يمتازون به الجهل بالنسب التى تكون معالم الدين، وتضبط شعب الايمان !

تصور تلميذا يقال له ارسم خريطـة الجزيرة العربية ، ووضـــع مكـــان الحرمين بها ، فاذا هو يرسم الخريطـة وليس بها الا الربع الخــالى ، فــاذا سألته وأين مكان الحرمين وضــــع نقاطا بين تبوك والاردن !

أو تلميذا يقال له : ارسم خريطة لنهر النيل فاذا هو يجعل فرعى الدلتا يبدءان من الخرطوم لا من القاهرة ، ان كــلا التلميذين ساقط لا محالة فى هــــذا الاختبار ، فما الرأي اذا اختير كلاهما مدرسا للجغرافيا ؟

أعداد غفيرة من المتحدثين فى الدعوة يشبهون هذا المدرس الجهول ٠

قضايا صغيرة تتضخم فى رؤوسهم، وقضايا تستخفى ! وحماس فى موضع البرود ، وبرود فى موضع الحماس !

كنا ضيوفا عند أحـد الناس فسكب فى يـدى قطرات مــن ماء الكلونيــا ، فاذا أحد الدعاة يصرخ : حرام نجس !

فقلت له : دعنىورأيبى ، ان مالكــا رضي الله عنه يرى ريق الكلب وعرقه طاهرين ويراها غيـره نجسيـن ٠٠٠ فلنتعاون فيما اتفقنا عليه ، ويعــــذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه ٠

فقال : اليــد التى بها (كلونيــا) نجسة ، وتحرم مصافحتها ! وعلمت أنى

أحدث من لا يستحق المحادثة · ورأيت طالبا فى القاهرة يريد أن يدخل كليـة الطب بجلباب وقلنسوة ، وسألتــه : لم هذا الشذوذ ؟ قال : لا أتشبه بالكفار فى ارتداد البذلة الفرنجية ! قلت التشبه الممنوع يكمن فى انحلال الشخصية ، واعلان التبعية النفسية والفكرية لغيرنا، ولقد لبس الرسول (ص) جبة روميـة كانت ضيقة الاكمام ، فلما أراد الوضوء أخرج ذراعيه من أسفل ، ولكن الطالب الاحمق أبى وترك الدراسة الجامعية ، وكنا يوما فى حفل جامع وكنت ألـقى محاضرة ذات بال فى موضوع خطير، ورأى احد ـ الصحافيين التقاط صـورة للجمع الحاشد ، ولكن داعيــة نهض يمنع التصوير ، فلما أصر الصحــافى على المضي فى عمله اتجه الداعى الى الآلة ليكسرها ، وجاءنى الواعظ الغيور يسألنى : لماذا لم تمنع التصوير ؟ قلت : لانى أراه حلالا ! قال : ألم يقل الرسول صلى الله عليه وسلم : ان أشد النـاس عذابا المصــورون ؟ قلت : انه يعـنى صانعى التماثيل للعبادة ، ولا يتصور أن يكون هذا الصحافى أشد عذابا مـن الزناة والقتلة والمرابين والظلمة ···

قال : الحديث عام فلماذا تخصصه ؟ قلت : خصصه الواقع الذى لا يمكــن تجاهلــه · فالوثنيـون كـانوا يعبدون أصناما مجسمة ولم يعبدوا صـورا شمسية ، وعندما تكون الصورة الشمسية لصنم أو لصليب أو لمعنى دينى مرفوض فسنحرمها ، أما التقــاط الصـوت فى شريط مسجل ، أو التقاط الظل والملامح على ورقة لاغراض علمية أو اجتماعية فلا علاقة له بالوثنية ، ولا يحكم عليه بتحريم ، بل هو كما نبه مسلــــم فى صحيحه (الا رقما فى ثوب) قـــال : هذا الكلام مردود ، ومحاضرتك عـن ـ الوحدة الاسلامية وعن التناحر بيـن المسلمين لا تقبل ، ما دامت مقرونـــة باقرار التصوير ! وشعرت بأننى أتكلم مع حيـوان · وأحيى آخرون السنـة النبوية بالاكل على الارض ، واستخدام الايدى ، رافضين الاكل على الموائد ، واستعمال الشوك والملاعق ···

قلت : من قال : ان الاكل على المائدة، أو استخدام الملاعق مخالف للسنـة ؟ ان فهم هؤلاء الناس الـديـن غريب ، واثارة هذه القضايا التافهـة مـرض عقلى ، ان المؤامرات تستحكم يوما بعد يوم لاغتيال الاسلام أو الاجهاز عليـه جهزة · فكيف يشتغـل قـوم بهــذه الصغائر ؟

ورأيت يوما رجلا حليق الشـــارب والرأس وله لحية مشوشـة فسـاورنى خاطر أنه قادم من عمرة ، واحترمت فى نفسى هذا المنظر ، ولكنى أعدت النظر فى هيئته فوجدته مكحل العينين ، وثوبه الى نصف الساق أو أعلى ، ولعمامتـه ذيل يغطى قفاه وينسدل على ظهره ···

فقلت : هذا رجل من المنتسبين الى الدين والحديث فيه (وهو بهذا الصمت يرى أنه جمع المجد من أطرافه كلها) ··

ورمقته ، ثم تشاغلت عنه ، ولكنه جاء يسالنى بأدب : أنت فلان ؟ فقلت : نعم ! قال : قرأت رسالة وزعت علينا تصفك بأنك تهاجم السنة ! وأنك مع الشيخ أبى رية فى تكذيب الاحاديث !! قلت : وقعت هذه الرسالة فى يدى ٠٠!

قال : ما رأيك فى هذه التهم ؟ قلت : ما رأيك أنت ؟ هل قرأت لى كتابا ؟ قال : نعم ، قرأت كتابك خلق المسلم فلت : فى هذا الكتاب وحده أكثر من الف حديث عن النبى صلى الله عليه وسلم، وفى فقه السيرة وكتابين آخرين نحو الفي حديث ، فاذا أثبت رجل فى عشر مؤلفاته نحو ثلاثة آلاف حديث فكيف يتهم بتكذيب السنة ؟

قال : انك رددت حديثا صحيحا رواه البخارى ومسلم ، وهو أن الرسول أغار على بنى المصطلق وهم غارون ! قلت على عجل : لقد رددت الفهم الذى استقر فى ذهن بعض الناس لما قرأ هذا الحديث ٠٠٠

لقد فهم أن الرسول يأخذ الناس على غرة ، ويغير عليهم دون أن يدعوهم الى الاسلام كأنه قاطع طريق يطلب الغنائم ٠٠٠

وعلماء المسلمين قاطبة قرروا أنه لابد من الدعوة قبل القتال ، وكاتب الرسالة التى هاجمتنى يرى أن الحرب الاسلامية لا يسبقها عرض دعوة ، ولا تنوير ذهن ، يرى أن الدعوة كانت قديما ثم نسخت وأمسى القتال هجوما مباغتاً، أو أخذا على عرة ٠ فهل اذا زيغت هذا التفكير العطن ، أسرع الجهال الى اتهامنا بتكذيب السنة ؟ اننا نحمى السنة من افهام الارذال ٠

قال : وحديث آخر من الصحاح رددته ، حديث : (انه ما من يوم يجىء الا والذى بعده شر منه) قلت : بل رده حديث آخر : ذ أمتى كالغيث لا يدرى أوله خير أم آخره) ٠

وحديث حذيفة الذى رواه مسلم ، وجاء فيه ، أن بعد الخير شرا ، وبعد الشر خير ٠ ومن جملة الاحاديث الواردة فى القضية يفهم أن تاريخ الاسلام بين مد وجزر ، وغربة وايناس ، ونصر وهزيمة ٠

اما القول بأن الاسلام يسير كل يوم الى الهاوية ، وأن مستقبله مشؤوم ، فقول مكذوب ٠ قال هذا ظاهر الحديث ، قلت : هذا ظاهر فهمكم أنتم لحديث لم تبلغ عقولكم غوره ٠

بم سينزل عيسى ابن مريم ؟ وحديث نزوله صحيح ؟ أليس نزوله لمقاتلة الصليبيين ونصرة التوحيد وذبح الخنزير ووضع الجزية ؟

الستم تقرأون هذا فاين الهاوية التى ينتهى اليها الاسلام حتما هل السلفية التى تزرعونها هي اتهام رجل . تكذيب السنة لانه أول حديثا يشعر ظاهره بسوء مستقبل الاسلام ، أي تدين هذا الذى تزعمونه ، وأي دعوة هذه التى تنشرون ٠٠٠

الحق أن هناك ناسا يشتغلون بالدعوة الاسلامية ،وفى قلوبهم عل على العباد، ورغبة فى تفكيرهم أو اشاعة السوء عنهم ٠٠٠

ولو كان الامر الي لجعلت هؤلاء أساكفة يصلحون النعال ، أو كناسين يجمعون القمامة ٠

أما اشتغالهم بالكتاب والسنة فمستوى لن يبلغوه أبدا ٠٠٠

ان فقههم معدوم ، وتعلقهم انما هو بالقشور والسطحيات ، ان الاكتراث البالغ بالشكل يتم ابدا على حساب الموضوع ، كما ان الاهتمام الشديد بالنوافل يتم على حساب الاركان ، وأذكر أنى دخلت المسجد النبوي عقب أذان المغرب وجلست فى انتظار الصلاة التى قدرت أنها ستقام توا ، فاذا شخص يقول لى : لماذا لم تصل النافلة ؟ فقلت له : ركعتان : ليس واجبا

لا الزام هناك ! قال : أعنى تحية المسجد قلت : لا الزام كذلك ، وما هي الا لحظات حتى أقيمت الصلاة وتهيأنا للفريضة ٠٠٠ وقال لى مراقب للحوار : أيمكن أن يكون قبل المغرب أربع ركعات ؟ فقلت له : لا ، وهذا امرؤ يريد الاستطالة علي بغير علم ذ ولو أنه صرف نشاطه فى تعليم اللغة العربية لرجل أعجمى لكان ذلك أرجى له عند الله) ٠٠٠

ان هناك مشتغلين بالعلم الدينى قاربوا مرحلة الشيخوخة ألفوا كتبا فى الفروع، وفى المبتدعات ، وأثاروا معارك طاحنة فى هذه الميادين ، ومع ذلك فان أحدا منهم لم يخط حرفا ضد الصليبية ، أو الصهيونية، أو الشيوعية، ان وطأتهم شديدة على الاخطاء بين أمتهم ، وبلادتهم أشد اتجاه الاعداء الذين يبغون استباحة بيضتهم ٠

بأي فكر يحيا أولئك ؟

تصور شخصا ذهب الى خياط ليصنع له جلبابا ، فهو يقول له : أريد الكم مضاعف الاساور ، واصنع عروة فى كل طرف تكون مكشوفة لتظهر منها الازرار ، لكن بلغنى أن الصيحة الاخيرة مضاعفة العرى وتغطيها ، اصنع لى عروتين فى كل كم وغطها بحيث تخفى من تحتها الازرار !! واذا كان لديك (كباسين) بدل الازرار ربما كان ذلك أفضل ، وقد رأيت البعض يصنع ثلاث عرى لوضع ثلاثة أزرار ماذا ترى ؟ أيكون ذلك خيرا أم ٠٠٠ الخ ٠

هل الدماغ المشغول بهذه القضايا يصلح لشيء مطائل فى الحياة ، أهذا رجل يتماسك فى تفكيره أمر ذو بال ؟ ان أعدادا كبيرة من المتدينين تائهون فى هذه الموضوعات ، وقد استقلت الباكستان من ثلث قرن ، ولكن الخلاف بين الاحناف وأهل الحديث ، وبين التبليغيين ورجال الجماعة الاسلامية ، وبين السنة والشيعة ، وبين فرق أخرى نسيت أسماءها ، هذا الخلاف جعل الهند الوثنية تظهر وتستقر وتفجر الذرة !

أما الدولة المسلمة فهي منكمشة الشمل داخل فنون من النزاع الطائش قصم ظهرها وهدد وجودها !! ، ان هذا الدوخان فى دوامة الرسوم والمظاهر ، أو فى دائرة هيئات العبادة وأقدارها نشأ عنه أمران خطيران ، كلاهما يهوى بالامم من حالق ، ويذهب بريحها ٠

الاول ضعف الخلق ، فقد ترى الرجل دقيقا فى التزام المندوبات الخفيفة ، فاذا كان تاجرا احتكر السلع دون مبالاة ، واذا كان موظفا تبلدت مشاعره فى قضاء مصالح الجمهور ، واذا كان رئيسا وجدته سيء الملكة ، قاسى القلب ، مكشوف الهوى ٠٠٠

وقد ترى العابد من هؤلاء يضع يديه على صدره وهو قائم الى الصلاة، ثم يعيد وضعهما بعد الرفع من الركوع ، ويثير زوبعة على ضرورة ذلك ، فاذا كلفته بعمل ترقى به الامة اختفى من الساحة !!

وكم تفتقر أمتنا داخل البيوت ، وأوساط الشوارع ، وفى الدكاكين والدواوين وفى الاسواق ، والمعاهد ، وفى كل مكان ، الى الاخلاق الضابطة الصارمة كي تؤدى رسالتها الجليلة على نحو جدير بالاحترام ٠٠٠

أما الامر الثانى فهو العجز العجيب عن فقه الدنيا والاقتدار على تسخيرها لخدمة الدين ، ان الدين الحق تقوى تعمر القلوب ، وجملة من العبادات لا يستغرق تعلمها زمانا ثم مهارة فى شؤون الحياة تتحول مع صدق النية الى وسائل لدعم الحق وسيادته ، ان تعلم الصلاة ـ وهي الركن الاول فى الاسلام ـ لا يستغرق دقائق معدودات ، ولكن التدرب على اقتياد دبابة أو طائرة أو غواصة يحتاج الى زمن طويل ، فبأي فكر يطلع علينا القرن الخامس عشر وجمهورنا جاهل فى فنون الجهاد وبارع فى اللفظ حول تحية المسجد ، ووضع اليدين فى الصلاة ٠

ان هناك علماء ـ هم فى حقيقتهم عوام ـ لا شغل لهم الا هذه الثرثرات والتقعرات ، وقد أضاعوا أمتهم ، وخلفوا أجيالا من بعدهم لا هي فى دنيا ولا هي فى دين ٠٠٠

وقد تأذنت الاقدار بقيام اسرائيل على أرض فلسطين الاسلامية ٠

فهل مددنا أبصارنا لنعرف كيف يحيا القوم وكيف ينصرون اليهودية ؟

لقد بنوا وجودهم على اقامة مجتمع صناعى متمرس بالعلوم المادية ، خبير بأسرار الكون ، يستغل الهواء والشعاع لدعم اسرائيل وتبويئها الذروة ٠٠!

المراوح تستخدم لاستخراج المياه الجوفية ، والشمس تستغل لتسخين المياه ، وجن سليمان ينظرون الى العرب الذين ينشدون اللذة أو العرب المشغولين بقشور العبادة على أنهم قطعان تسرح فى أقطارها الى حين ، لماذا جهلتنا أسرار الحياة وعمينا عن قوى الكون

ولدينا كتاب لا نظير له فى لفت الابصار الى هذه وتلك ؟؟

بم شغلنا ؟ وما هي البحوث والقضايا التى حبست أفكار العامة والخاصة ؟ اذا كان الآباء قد شغلهم الترف العقلى ، فان الابناء قد شغلهم السخف العقلى ، فى رسالة عن التقدم العلمى داخل اسرائيل قرأت هذه العبارات عن الدولة التى تبنى نفسها فوق أنقاضنا ٠

قال الكاتب : ان فشلها فى الحصول على طاقة كهربائية رخيصة من المصادر المائية جعل معظم الابحاث العلمية التطبيقية تتجه نحو ايجاد بديل للطاقة الكهربائية مثل الطاقة الهوائية والشمسية ، والذرية ٠

وقال : وقد نجح الجيولوجيون فى ايجاد المياه اللازمة للمزارع القريبة من شاطىء المتوسط ، ويعمل الخبراء فى حفر عدد كبير من الآبار الارتوازية فى منطقتى الجليل ويهودا ، وقد تعاون المهندسون المائيون مع الفيزيائيين فى دراسة حركة مياه بعض الآبار بمحلول مشع ثم أخذوا عينات من مياه الآبار الاخرى القريبة من مركز الحقن ، وحللوها وعينوا كمية تركيز الاشعاع فيها ، وبذلك استطاعوا أن يحسبوا كمية المياه الجوفية واتجاهها وسرعتها، وأن يعينوا عمقها وتركيبها ، كما أنهم استخدموا تطبيقات النظار المشعة فى تعيين واختبار التبخر الكلى والجزئى ، كما ان خبراء الري قد استخدموا أحدث الطرق الفنية فى شق القوات لتحويل مياه الاردن الى صحراء النقب ٠

وقال : نجح الاسرائيليون سنة 1964م فى استغلال بعض الاراضى الصحراوية وتشجيرها ، وأقاموا مزارع نموذجية فى أفدات (Avdat) وشيفا (Shiva) ولا تزال أبحاث مستمرة فى مختبرات معهد أبحاث المناطق الجافة (فى بئر السبع) من أجل تحلية المياه الصحراوية ، وقال : ويستخدم خبراء المائيات طريقة جديدة مشجعة تعرف باسم ـ طريقة زاركين التحلية (Zarkin de Salination process)

نسبة الى اللاجىء الروسى أليكسندر زاركين ، الذى اكتشف هذه الطريقة ، وتقوم هذه الطريقة الجديدة على تجميد مياه البحر وفصل الاملاح آليا ، فعندما ينخفض الضغط الجوى الواقع على الماء فى وعاء محكم الاغلاق يمكن عندئذ جعل درجة غليان المياه أدنى بكثير مما عليه فى الحالة العادية ، وهكذا فان مياه البحر توضع فى غلاية مفرغة من الهواء فى درجة حرارة أقل من درجة الصفر المئوى ، وعندما يتبخر الماء فان الحرارة الباقية فيه تنفذ منه فيتحول رأسا الى جليد ، ولكن الملح لا يتجمد بل ينفصل عن الماء آليا ، حيث يمكن جمع الجليد على حدة ، والملح الذى كان ذائبا فى الماء يجمع على حدة أيضا ٠

وأقيم فى ايلات مصنع لفصل الملح عن الماء علـى هذا الاساس ، ينتج يوميا : 24000 لتر من المـاء العـذب ، وقامت تعـاونيـة فيربنكس ويـنـتى (Fair banks whitney)ببناء مصنع آخر عام 1962 م · ينتج يوميا مليون لتر من الماء العذب ، ويهدف المشروع الى تأمين مياه عذبة رخيصة بحيث يكون سعر كل 100 لتر حوالى (3) قروش لبنانى ، وهذا السعر أرخص سعر الماء العذب فى القـدس مثـلا · وعـن الطاقـة الكهربائيـة ·

قال : تتزود اسرائيـل بالطاقـة الكهربائية بواسطة التعاونية الفلسطينية المحدودة للكهرباء التى تحمل اسم ب روتنبرغ (P. Rutenberg) الذى عمل مديرا لهذه المؤسسة حتى وفاتـه عام 1942 م ـ وتمون هذه التعاونية اسرائيل بالطاقة الكهربائية ما عدا مدينة القدس وضواحيها ، وتشير الاحصائيات الى أن استهلاك الطاقة الكهربائـية خـلال الثلاثين سنة الاخيرة قد ارتفع من 2 مليون وات عام 1928 م الى 360 مليون وات عام 1958 م ، ويتراوح مجمـوع مبيضات الطاقة الكهربائية فى الفتـرة نفسها من 3 مليون كيلو وات ساعة الى 1800 مليـون كيلـو وات وعـن الطاقة الهوائية (Windenegy)

قال : قام المهندس ج· فرنكيـل (J. Frankiel) مـن مهندسى التكنـيون باجراء دراسة شامـلـة للريـاح فى اسرائيل ، واقترح على الدولة البـدء باستغلال الطاقة الهوائية فى الامـور الصناعية ، ومما قالـه فى تقريـره : (ان استغلال الطاقة الهوائية مهم جدا فى تطوير الصناعة الاسرائيلية طالما أننا ما زلنا نستورد الوقود اللازم ، لتوليد الطاقة من الخارج) · ووضـع فرنكيل برنامجا خاصا لاستغلال الطاقة الهوائية ، وقام الخبراء بناء على هذا البرنامج بمسح مناخى للمناطق الـتى تتوفر فيها الطاقة الهوائيـة ، بكميـة صالحة للاستغلال ، وتبين أن مناطـق الجليل ، ومرج ابن عامر ، وجبـل الكرمل ، وعرافة (Arave) فى النقب ، هي المناطق الصالحة لاقامة منشـآت استغلال الطاقة الهوائية ، وأجريـت تجارب ناجحة عـلى محـرك صغيـر طاقته 3 كيلو وات فى أيـلات خـلال 3 سنوات متوالية ، ونتيجة للابحـاث والدراسات المستفيضة وقـع الاختيار على منطقتين لبناء المنشآت الخاصـة باستغلال الطاقة الهوائية واستخدامها وأقيم فى كل محطة بـرج عـال يبلـغ ارتفاعه 40 مترا ، ونصبت فى أعـلى البرج االجهزة العلمية الدقيقة مثـل : جهاز قياس سرعة الرياح (Amemograph) وقياس اتجاه الرياح ، (Ane Mometer) وقياس ضغط الهواء (Nanometer) وقياس طاقة الرياح (Windenegycomar) وأقيم فى احدى المحطات طوربين هوائى لتوليد الكهرباء تبلغ طاقته 200 كيلو وات ·

وتقوم محطة للطاقة الهوائيــة فى جيفات هامور (Givathamore) فى مــرج ابن عامر ، وتبين الارصاد التى سجلتها هذه المحطــة حــول سرعــة الرياح فى شتى الاتجاهات ، أن سرعة الريـــاح تزيد عن عشرة أمتار فى كل ثانية كلما ارتفعنا فى الجو مقدار 100 متـــر ، وهناك محطة أخرى فى شمــال غربى النقب ، وبناء عـــلى الارصـــاد التى سجلتها هاتين المحطتين خلال 5 سنوات، قامت السلطات المختصة ببناء 22 مركزا جديدا لتوليد الطاقة الكهربائية للاغراض الصناعية بواسطة الريـاح ، ويلبـث مقدار الطاقـــة الهوائيـــة حاليــا فى اسرائيل لرفع المياه من الآبار ولتوليد الطاقة الكهربائية ·

وعن الطاقة الشمسية (Solarenergy)

قال : تدل الارصاد المناخيــة على أن اسرائيل تتمتع خلال السنة بمـــدة 8 أشهر تكون فيها الشمس مشرقـــة اشراقا كاملا دون غيوم ، وهذا ما يشجع الخبراء على دراسة امكانات استغلال الطاقة الشمسية فى الامور الصناعية ، ونجح الخبراء الاسرائيليون حتى الآن باستخدام الطاقة الشمسية فى كثير من التطبيقات الصناعية ، فالكثير من المنازل فى النقب تحتوى على سخانات شمسية لتسخين المياه والتدفئة المركزية ، وجمع الطاقة الشمسية بواسطة أجهزة خاصة تسمى لوحـــة التجميـــع المسطحـــة Plate collector يمكن بواسطتها تسخين المياه باستمرار ·

وحقق العلماء فى معهد النقب عـــام 1958 م ، مشروعا ضخما لتوليد البخار بواسطة الطاقة الشمسية · ولقد أقيمت منشآت كبيرة تتضمن أجهزة للتجميع (الجوامع) (Collector) ومركـــــزات (Concentrator) ومحـــركات شمسيـــة (Salarmotor) واستخدمت فى أجهزة التجميع مرايا من الالمنيوم اسطوانيـــة مخروطية (Cylindricol) تعمل على جمع

وفى نهاية عام 1961 م · بنت السلطا الاشعة فى نقطة اجتـمـــاع واحـــدة (بـــرة) ، وهذه المرايا ترتكز عـــلى سور شرق ـ غرب ، وتتجه نحو الجنوب، وتتحرك الاسطوانات الجامعـــة آليـــا باتجاه الشمس ·

وينتج هذا المصنع طنا من البخـــار يوميا ، وهناك امكانية أخرى لاستغلال الطاقة الشمسية عن طريق بناء أحواض شمسية خاصة تكون قليلـــة العمـــق ، وقاعها مطلى بطلاء أســود اللـــون ، سعندما تسقط أشعة الشمس على ماء يسيل على سطح أسود قليل العمـــق ، فان الماء يتبخر بسرعة ، وتعتبر محطة الطاقة الشمسية القائمة عـــلى شاطىء البحر الميت من أهم المحطات التجريبية فى هذا الصدد ، وحدث تطور هام فى استخدام الطاقة الشمسية فى عـــام 1960 م ، اذ نجح الخبراء الاسرائيليون فى صنع برادات شمسية تقوم عـــلى استخدام تيار دائم من بخار الماء وبعض المركبات الغازية ، وتمكنوا من الحصول

على البخار بواسطة جهاز خاص من المرايا والعدسات المتحركة باتجاه حركة الشمس .

وفى نهاية عام 1961 م . بنت السلطات المختصة 45 محطة لقياس الطاقة الشمسية وزودت كل منها بجهاز لقياس مدة الانقشاع أو الاشعاع (Insolation) يعرف باسم هيليو غراف (Héliograph) وجهاز قياس بالطاقة الشمسية المعروف باسم (Actinometer) الذى يقيسها بالسعرة فى كل سم مربع، وفى كل دقيقة ، وغير ذلك من الاجهزة الدقيقة التى تلقى ضوءا على العلاقات القائمة بين الطاقة الشمسين وأوضاع المنطقة الجغرافية من حيث الارتفاع عن سطح البحر وخطى الطول والعرض الجغرافيين ، هكذا يبنى اليهود دولتهم فى فلسطين تحت علم اسرائيل فماذا يصنع المسلمون فى أقطارهم الفحياء ؟!

عندما شكا رئيس الوزراء من أن الدولة تدفع أربعة جنيهات ثمنا (لانبوبة) (البوتجاز) ، تساءلت أين الطاقة الشمسية ؟ ولم استغلت فى فلسطين المسروقة ولم تستغل فى أراضينا الواسعة ؟

لقد قال حافظ ابراهيم من خمسين سنة :

شمسهم غادة عليها حجاب
شمسنا غادة جلاها السفور

هل نحن مهرة فى الغزل وحسب ؟ وأين صراخ علماء الدين باعداد ما نستطيع من و ؟ لا صراخ ولا همس ؟ لان هناك شغلا بقضايا هامشية ، وخلافات فرعية ، والصغار دائما يتهمون بالصغائر ، فاذا رأيت من يهتم اهتماما هائلا بقبض اليدين فى الصلاة أهو فوق السرة أم على الصدر ، ويستثير ذلك أعصابه أكثر مما يستثيره قتل عشرة آلاف مسلم فى (تشاد) ، فاعلم انك أمام مستبح من الخلق لا يؤمن بالله ولا دنيا الناس ، والامة التى تسلم زمامها الى هذا الانسان المخبول انما تسلمه لجزار ، ودين الله أشرف من أن يتحدث فيه هؤلاء الحمقى .

بين يدي القرن المقبل أطلب من المسلمين أن يطرحوا الاسمال العقلية والاجتماعية التى أزرت بهم وحطت مكانتهم ، وان ينصفوا الاسلام من أنفسهم حتى يستطيع هذا الدين الانطلاق فى الارض واسعاد البشرية ، وتحقيق الرحمة العامة للعالمين ...

أما استقبال القرن الخامس عشر بحكم فردى يخنق الحرية ، ويستبيح الحرمات ، أو استقباله بقوانين تملك المال ولا تملك العدالة والرحمة ، أو استقباله ببطالة عقلية تهمل العمل والفكر ، وتحقر نتائجها ، وتؤخر العباقرة وتقدم التافهين ...

أو استقباله بعوامل همها فى الحياة المتعة لا التربية ، والفوضى الاجتماعية لا الاخلاق الدقيقة والتقاليد الزكية ، أو استقباله بقصور علمى فى المادة

وما وراء المادة أي فى شؤون الـــدين والدنيا جميعا ، أو استقباله بذاكـــرة مفقودة لا تستفيد من التجربـــة ، ولا تنتفع من عبر التاريخ ، أو استقباله بدعاة يتساءلون عن الصـــلاة مع دم البعوض فى قمصانهم ، ولا يتساءلون عن مستقبل أمة أرخص دمها ، حـــتى أصبح سفكه لا يثير جزعا لا فزعا ...

ان استقبالنا للقرن الخامس عشـــر على هذا النحو هو خـــزي الابـــد ... فاذا عشنا مسلمين حقا ...

واما ممـــات لا قيـــام بعـــده
ممـــات لعمـــرى لم يقس بممات !

على ضوء منعطف قرن جديد

خطوط عريضة في منهج الدعوة الى الاسلام

د٠ محمد سعيد رمضان البوطى

رئيس قسم الفقه الاسلامى ومذاهبه
بكلية الشريعة ـ جامعة دمشق
ـ سوريا ـ

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله ونستعينه ونستهديه ، ونستلهمه الصواب فى الفكر والقول ٠ وبعد : لعل سائر مظاهر التخلف التى رانت على العالم الاسلامى ، خلال النصف الاول من هذا القرن الذى نشهد اليوم اختفاءه فى مغرب التاريخ ، تتلاقى تحت سلطان عاملين اثنين :

أولهما : الانبهار الذى عشيت له أعين الامة الاسلامية ، من مظهر النهضة الاوروبية التى تحققت فى أعقاب تحرر أوروبا من سلطان الكنيسة، وانطلاقها فى ميادين البحث والعلم ، فقد أورث المسلمين هذا الانبهار شعورا بالنقص ، وريبة فى حقيقة الدين ، ورغبة فى أن يعامل الاسلام هنا كما عوملت النصرانية هناك ٠

ثانيهما : بقايا الثورة الهائجة ، على قيود الكنيسة وآثارها ، فى نفوس الغربيين عموما ، وهو الامر الذى جعلهم يتبرمون بحقيقة الدين ، ويلوذون منه بالنعيم المحسوس والحياة المادية ، جاحدين على ما قد يلوح للذهن أو الخيال وراءهما ٠

وقد أورث الغربيين ذلك التبرم بجواهر الدين وهذا الاقبال على غول المادة ونعيمها نظرة ازدراء الى الاسلام وأهله ، ثم راحوا يقومون سائر مبادئه وأحكامه من خلال هذه النظرة ، فكم من مبادىء شوهوها ، وكم من قيم وأحكام زيفوها ، وكم من حقائق تاريخية نكسوها ٠٠٠

وكان طبيعيا أن تنعكس نظرتهم الى الاسلام ، على نفوس المسلمين آنذاك بالتأثر أولا ثم القبول والرضا بتلك النظرة ثانيا ، وعذرهم ذلك الانبهار الذى كانت تعانى منه أبصارهم ، ومشاعر النقص التى كانت تهيمن على نفوسهم ، فازدادوا ريبة بالدين وأحكامه ، وتطلعا الى حركة اصلاحية تسرى الى جملة أسسه وبنيانه ٠

ولقد كان من آثار هذا الانعكاس أن استشرى المد الاستعمارى فى أقطار كثيرة من العالم العربى والاسلامى ٠ وأخذ كثير من المسلمين يتململون من

التبعية الحقيقية للاسلام ونظامه · واتخذ هذا التملص أشكالا وتعابير مختلفة · فاتخذ شكل المجابهة الصريحة للاسلام جملة وتفصيلا عند كثير من الناس ، كما اتخذ شكل القبول له ظاهرا واستبطان الكفر به حقيقة عند آخرين ، أما عند فئة ثالثة فقد اتخذ مظهر الرغبة فى اصلاحه والاهتمام بتطويره ، تأسيا بما فعله الغرب بنصرانيته ، فى بلاده ·

هذه الفئات الثلاث من المسلمين ظلت تسير على خطوط مستقلة متوازية ردحا من الزمن · ولكن ما ان تبين أن شعار الرغبة فى الاصلاح والتطوير هو الذى بدأ يروج ويتغلب ، حتى انضوى الجميع تحت لوائه ، الا انهم لم يلتقوا تحت هذا الشعار · الا فى ظاهر الامر، فلا جرم أن كلا منهم أسر من وراء ذلك الفكر الذى يتبناه ، والهدف الذى يسعى اليه ·

وتحت هذا الشعار أصاب الاسلام كثير من التشويه والتغيير ، بدءا من حقائقه الاعتقادية الى الكثير من أحكامه العملية وآدابه السلوكية ، الى التشكيك بصلاحيته للحكم واتساعه لمقومات الدولة ·

تلك بارقة سريعة من صورة الواقع الاسلامى الذى نما واشتد فى ظل أحداث وظروف عالمية ، لا مجال للخوض فى تفصيلاتها فى هذا المقام ·

ولكن فما الذى طرأ على ذلك الواقع من بعد ؟

لقد طرأ أمران رئيسيان أعقبتهما اتجاهات ايجابية جديدة لم تكن فى الحسبان · أما الامران الرئيسيان فهما :

1 ـ زوال الانبهار الذى كان قد غشى على أبصار الامة الاسلامية فى أعقاب النهضة الغربية · فقد عادت مقاييس الضياء متسقة مع طاقة الابصار · وأخذ الشراب يتميز عن السراب · وتجلت فوارق ما بين الحق والباطل ، والاصيل والدخيل ·

2 ـ سكنت بقايا تلك الثورة المتعجلة فى صدور الغربيين على الكنيسة والدين، فتهيأت من ذلك الفرصة لفحص ثمرات الحياة المادية عندما تكون اليها القيادة وبيدها وحدها الزمام · وأمكن رصد الحناظل المشقية بل المميتة من بين تلك الثمار ·· فقد عاد أكثر منجزات المدنية والعلوم ، بسببها ، الى مصائب وأمراض تجاوزت هيكل الجسم الى طوايا النفس والروح ·· الروح التى طالما نسيها بل أنكرها المتمتعون بها ، أيام كانت سكرة النعيم هي السائدة ، وسلطان المادة هو الحاكم الغلاب ·

ولكن السكرة لا تدوم ، والعرض ـ كما يقولون ـ لا يستقر · فقد انحسر ذلك النعيم كله عن نفس كثيرة تشتهى الموت وتترامى بين أذياله ، على الرغم من بوارق المدنية ومغرياتها ، وعن صدور ران عليها الكرب الخانق · فهي تبحث عن متنفس بعيدا عن دنيا هذا

الصخب ودخانه ، وعن قلوب لم تعد – كما كانت من قبل – تنبع برحيق الحب والرحمة ·· ذلك الرحيق الذى كان محورا لدائرة الاسرة ، وحبلا يصل ما بين ذوى القرابة والرحم ، ونسبا يشد آصرة الانسان الى أخيه الانسان ، لقد أحالها صقيع الحياة الى قطع صخرية متجمدة لا ينبعث منها صدى اللهم الا أن يكون صدى ما قد ينقر عليها · من درهم أو دينار ·

أجل ·· هما صحوتان : احداهما أدركت العالم الاسلامى ، والثانية ظهرت فى ربوع الغرب · ومن خلالهما وعلى أعقابهما تبدلت أمور كثيرة ، وتحققت اتجاهات هامة جديدة ، لم تكن فى الحسبان ·

أما فى العالم الاسلامى ، فقد ذهب عصر الريبة بالاسلام ، فأصبح جل المسلمين اليوم يعتنقونه عن يقين علمى بجوهره ، وقناعة تامة بصلاحيته ، وانقضت أو ابتعدت تلك المقارنة التقليدية الجاهلة بين العلم والدين (وهو هنا الاسلام) فى ظل ذلك الانبهار الذى ران ردحا من الزمن على النفوس · وأفلت زمام العلم من أيدى المتلاعبين بالفاظه ، وعاد برهانا يملأ عقول الباحثين يقينا بصدق كل ما يتضمنه الاسلام من حقائق الايمان وأنظمة الحياة والسلوك · فكان من آثار ذلك أن اتجهت الآمال الصادقة ، فى معظم الاقطار الاسلامية الى اليوم الذى يهيمن فيه الاسلام نظاما للحكم ومنهجا للحياة ·

وأما فى الغرب ، فقد أخذ تيار الاشمئزاز من الدين تخف حدته ، ثم لم تزل تخف ، حتى ارتفعت الاصوات من كل جهة ، تشكو من شقاء المادة التى أنست الانسان الغربى نفسه ، وأحالته الى ما يشبه قطعة صغيرة فى آلة كبيرة، تنسحق فى حركة لا وعي لها · وأخذت الافكار تتجه الى نوافذ الفرار والخلاص ·· فكان الاسلام – ولا ريب – واحدة من هذه النوافذ التى وقفت عندها أنظار وأفكار كثيرة ·· وأمام هذه المشاعر والآمال الجديدة ، تحول الحديث عن الاسلام ، على كثير من الالسن ، الى رغبة جادة فى تفهمه ودراسته ، بعد أن كان مجرد أفتئات عليه وتشويه له وسخرية منه ·

واتجهت تطلعات كثيرة الى المناقشة والحوار ، والى البحث عن جذور توحد الاديان وتعقد بينهما صلحا حقيقيا يمكن الاعتماد عليه فى حل مشكلة الحضارة والتخلص من أوضارها · وفى ظل هذه الرغبة أصبح احتكاك الغربيين بملايين المسلمين الوافدين عاملا على تهدئة الصراع القديم ، بعد أن كان عاملا على تقويته ، وموجبا لمزيد من التفهم للاسلام ، بعد أن كان سببا فى مزيد من كراهيته ·

واننا لنستطيع أن نتبين بعد ما بين الصورتين ، من موقفين متناقضين وقفتهما الكنيسة الانطليطانية من الاسلام ، خلال هذا القرن الهجرى الذى تصرم ·

أما الموقف الاول فمليء بما شئت من دلائل السخرية والازدراء بالاسلام ونظمه • وكان عقب الحرب العالمية الاولى ، وبعد أن استولت بريطانيا على استانبول عام 1918 م • فقد وجهت هذه الكنيسة ستة أسئلة الى المشيخة الاسلامية ، تتضمن فى جملتها اثارات لمشاعر المسلمين وانتقاصا للاسلام ، وطلبت الكنيسة ، فى صلف وكبرياء ، أن يأتيها الجواب فيما لا يزيد على ستمائة كلمة ••• وقد كان طبيعيا أن تفعل الاثارة فعلها المتوقع فى صدور أولئك الذين وجهت اليهم هذه الاسئلة • فكان الجواب عليها هو : « أن هذه الاسئلة لا يجاب عليها بستمائة كلمة ، ولا بست كلمات ، ولا بكلمة واحدة • بل ببصقة واحدة على أفواه السائلين » •

وأما الموقف الثانى ، فيفيض بما شئت من معانى التنويه بأهمية الاسلام ، وسعة سلطانه فقد وقف المطران الانكليكانى فى العام الماضى يقول مشيدا بالاسلام وما يلقى من قبول لدى الاوروبيين عموما والبريطانيين خصوصا :

« الاسلام اليوم دين يعتنقه مليون شخص من مواطنينا البرطانين » •

ان بعد ما بين هذين الموقفين ، ناتج ولا ريب من فوق ما بين الواقعين •• وهي مساحة اعتبارية هامة تجاوزها العالم كله خلال قرن من الزمن •

على أن هذا التحول لم يكن محصورا فى نطاق العالم الغربى الذى آمن بالمادة ايمانا نفسيا أعزل ، أي قفزا من فوق قرارات العلم والعقل وأسوارهما • بل تعداه الى الاقطار الشيوعية ، حيث لا يزال يكره كل من العقل والعلم على جحود الدين ونكران الخالق ، وعلى اليقين بأن المادة هي محور الاشياء كلها ، وحيث يحمل كل منهما حملا على الاقرار بذلك عن طريق صياغة فلسفية وعلمية راسخة •

فقد عادت هذه الاقطار ذاتها تخفى ـ مضطرة ـ قدرا كبيرا من عدائها للاديان عامة ، وللاسلام خاصة ، وتتخذ لمواجهتها سياسة جديدة ، بعيدة عن أسلوب السحق والمحق الذى قامت الثورات الاشتراكية على أساسه •

وانما سبب ذلك ما تلاقت عليه التقارير الخفية المختلفة ، من أن الاسلام لم يعد كما كان يظن : طاقة بائدة • بل انه اليوم عنفوان مقبل ، وطاقة مستشرية ، وظاهرة كهذه لا جدوى من مواجهتها بعنف ، مهما كان الموقف الحقيقى تجاهها ، بل لابد من مصانعتها والالتفاف حولها •

ومعلوم ان الزعيم الشيوعى الايطالى « توليياتى » الذى توفى فى أوائل الستينات ، ضمن وصيته الاخيرة كشفا عن هذه الحقيقة ، وتحذيرا لسائر الرفاق من الاستمرار فى سياسة المواجهة والعنف ، بل حتى من الاستمرار

فى الساسة السلبية تجاه الاديان عامة والاسلام خاصة . وأهاب باستغلال الطاقات الدينية والاسلامية ، بدلا من أن يعادوها فيخسروها فتتألب عليهم .

ولقد لقيت هذه الوصية أصداء ايجابية لدى سائر زعماء المادية الماركسية ، سرعان ما تغلبت على تلك المعارضات الضعيفة التى كانت لا تزال متمسكة بالتعاليم اللينينية العتيقة .

هذا وقد كان لابد أن تنعكس آثار هذه التحولات ، جملة ، على واقع القارة الافريقية التى طالما اشتدت عليها قبضة الاستعمار صنوفا والوانا ، واتجهت اليا مكائد التبشير متسربلة بأردية الترغيب والاغراء آنا ، ومقنعة باقنعة الترهيب والعدوان آنا آخر .

فلقد أريقت على عرض تلك القارة السوداء وطولها اموالا لا تحصى ، وجهود لا تكاد تصدق . ولقد ظهر من وراء ذلك بعض الثمار التى أيقظت آمالا جسيمة فى نفوس المتربصين بالاسلام وأهله ، ولدى قادة الاستعمار والمتخصصين بنهب الخيرات والثروات . ولكن سرعان ما هبت رياح الايمان فى كثير من جنباتها ، فاعتصفت الثمار وبددت معظم الآمال .. واستيقظت نوازع الفطرة الاسلامية فى كثير من النفوس ، تغالب أغشية الجهل واقنعة الخرافة حتى غلبتها .

وبعد فليس المهم لنا فى هذا المقام أن نرصد موقف العالم من الاسلام اليوم ، وأن نضبط مؤشرات درجة الاقبال اليه أو الاعراض عنه . انما المهم أن نملك من خلال هذا التحليل الموجز الذى عرضناه ، تصورا سليما، يخولنا القدرة على اجابة سديدة عن السؤال التالى :

ترى هل لهذه التحولات التى تبدت واضحة خلال هذا القرن الذى نعيش الآن أيام توديعه ، من أثر على تقويم حقيقة الدعوة الاسلامية ، سواء من حيث أهميتها الذاتية أو من حيث ما قد يجب أن تتقيد به من منهج وأسلوب ؟

وأقول فى الاجابة على ذلك :

أما الاهمية الذاتية للدعوة الاسلامية، فلا ريب أنها قد تضاعفت ، وأن واجب النهوض بها فى أعناق المسلمين أصبح أشد أهمية وأكثر اتساعا ، فلقد كان القيام بهذه المهمة من الفروض الكفائية فى أكثر الاحقاب التى خلت ، أما اليوم فلا نبعد عن الحق ان قلنا : ان القيام بهذا الامر غدا اليوم من الفرائض العينية التى يتوجه الخطاب التكليفى بها الى كل مسلم وعي الحقائق الايمانية والواجبات السلوكية للاسلام على نحو سليم، ولم يعد خاصا بفئة أو جماعة من المسلمين ، وذلك للسببين التاليين :

السبب الاول : ان واقع الصحوتين اللتين ادركتا العالم الاسلامى وأمم الغرب والشرق معا ، مما سبق الحديث

عنه ، لم يبدل من حال الاعداء التقليديين للاسلام شيئا (وانما نقصد بأعدائه التقليديين أولئك الذين تبوأوا مراكز القيادة والحكم فى ربوع الغرب على اختلافها ، ولا يزالون يحلمون بآمال سيادة الرجل الابيض على المعمورة ، ان لم يكن بأساليب الاستعمار القديم فبوسائل جديدة أشد ذكاء وأعتى خطورة وأوغل خفاء) كل ما فى الامر أنهم أداروا الاشرعة نحو مسرى الرياح ، وركبوا الموجة المقبلة ، وآثروا أن يخادعوا العقول ويجاملوا النفوس ، بدلا من أن يعاندوها ، فيزيدوا الى الوعي الذى استيقظ ضدهم ، الكراهية التى قد تقطع سبيل الحوار معهم ٠

ولا ريب أن هذا الاسلوب الجديد أحرى أن تبذل الجهود للوقوف فى وجهه ، وأن ينبه اليه ويحذر منه ، على ألسنة الداعين الى الاسلام ، من المسلمين عموما ، وقادة المسلمين بوجه خاص ، من ذلك الاسلوب التقليدى العتيق الذى لم يعد يفيد أربابه شيئا ٠

السبب الثانى : ان العهد الذى يقبل فيه الناس الى الاسلام تمسكا به أو تفهما له ، أحوج الى المرشدين والدعاة، من العهد الذى يدبر فيه معظم الناس عن الاسلام ٠ ذلك لان اثر الدعوة الى الاسلام فى صفوف المقبلين اليه ، أسرع ظهورا وأقرب جدوى وأهم فائدة ، منه فى صفوف المتأبين عليه والمحجوبين عنه ٠

وقد تكاثر اليوم عدد المقبلين الى الاسلام داخل ربوعه ، كما تضاعف عدد الراغبين سى فهمه خارج بلاده ٠ وأن بهؤلاء وأولئك لحاجة ماسة الى من يعرض حقائق هذا الدين لهم بأسلوب علمى مبسط ، ويزيح عن طريقهم اليه الغشاوات المصطنعة والشبهات المختلفة، فان لم يسرع من المسلمين الصادقين من ينهض بمسؤولية هذا الشرح والبيان على اتم وجه ، أوشك أن يسبق اليهم من أولئك الاعداء التقليديين وجنودهم ، من يجهض لديهم تلك الرغبة ، بابتداع صور مشوهة كاذبة عن الاسلام يضعونها نصب أعينهم ، ثم يتسللون بها الى مكمن الوعي من نفوسهم ٠ فاما أن يعرضوا بعد ذلك عن الاسلام ويرجعوا الى شر من الحالة التى كانوا عليها من قبل ، واما أن يعتنقوا اسلاما باطلا مزيفا ، لا يصلح فسادا ولا يتفق مع علم ولا عقل ، كما آل اليه حال كثير ممن دخلوا فى الاسلام فى كثير من جهات أوروبا وأنحاء أمريكا ، ثم لم يجدوا من يبصرهم بحقيقة ما هم عليه وبعدهم عن الاسلام الذى يطمحون اليه ٠

واننا لنسمع اليوم نداءات ، بل استغاثات ، تتوارد الى مختلف الاقطار العربية والاسلامية مقبلة اليهم من شتى انحاء آسيا وأوروبا وافريقيا ، **تهيب بالمسلمين أن ينجدوهم بمن يعلمونهم مبادىء الاسلام واحكامه ، وأن يتداركوهم بالكتب والنشرات الاسلامية المبسطة ، التى تصلح أن**

تكون معتمدا كافيا بين أيديهم لتتعلم أسرهم وأولادهم كل ما يجب أن يتعلموه من مبادىء هذا الدين ٠

غير أن ما يلقاه أصحاب هذه النداءات من الاستجابة ، لا يبلغ الا النزر القليل من الحاجة الكبيرة التى يعانون منها ٠

فبناء على هذين السببين ، لا نشك فى أن النهوض بأعباء الدعوة الاسلامية قد غدا اليوم واجبا عينيا ، يتحمل تبعته كل مسلم أخلص لله فى اسلامه ، وان كانت دائرة هذا الواجب تتسع وتضيق ، حسب تفاوت الامكانات والقدرات الثقافية والعلمية ما بين فرد وآخر ٠

نعم ، لقد كانت مهمة الدعوة الاسلامية من الفروض الكفائية ، قبل هذا العصر، كما قال علماء الشريعة الاسلامية آنذاك ، ولكن المجتمعات الاسلامية والانسانية كانت تسير يومها فى طريق الاسلام ، دون أن يكون على متنه أو عن يمينه أو يساره من يتربص بها الدوائر ويختلق لها العقبات ، ويصدها عن الوصول الى الغاية بفنون عجيبة من التلبيس والتشويه الاغراء ، أما اليوم ، وقد جندت كل امكانات الدنيا ، وجميع شهواتها واهوائها فى سبيل الصد عن صراط الله الخضوع لاحكامه، فقد أصبحت مهمة الدعوة الاسلامية فرضا من الفروض العينية يخاطب به كل مسلم . ولم تعد مقتصرة على ثلة من الناس مهما بلغ شأنها وكانت أهميتها ٠

صحيح ان دعائم أحقبة الاسلام ، لم تتجل للابصار والبصائر ، كما تجلت فى هذا العصر ، لا لاقوام من الناس بأعيانهم ، بل لاهل الارض جميعا ٠ الا أننا مع ذلك نعيش فى عصر تحاول فيه نيرأن الاهواء والشهوات والمغريات (وهي الاسلحة الحديثة فى أيدى محترفى الغزو الفكرى اليوم) أن تلتهم بنيان الاسلام بأكمله ، وفرق الاطفاء قليلة عاجزة عن الوقوف وحدها فى وجه هذه النيران ٠ اذن لابد من أن ينهض الكل على اختلاف قدراتهم ، لصد هذه النيران عن بنيان الحقائق الاسلامية ، ولفتح السبل اليه أمام الملايين التى تسعى جاهدة لفهمه ، أو تعزم صادقة على الرجوع اليه والاستمساك به ٠

ذلك هو ما يجب أن نعلمه عن الاهمية الذاتية لمهمة الدعوة الاسلامية فى هذا العصر ٠ أما عن المنهج الامثل للدعوة، على ضوء هذا المنعطف الزمنى الذى سيسلمنا عما قريب الى قرن جديد، فان الحديث عنه متشعب الاطراف ، طويل الذيل ٠ وانه لجدير أن يعالج فى كتاب جامع مستقل ٠

غير أن من الممكن فى هذا البحث ، أن نرسم خطوطا عريضة لهذا المنهج ٠ ولعل هذه الخطوط أن تدل الباحث المتدبر على الفروع الجزئية التى تنبثق

عنها ، فيكون فى هذا التلخيص غناء عن التفصيل والتطويل .

ان أهم كدعائم الكلية الهامة ، لنجاح المسلمين فى القيام بأعباء الدعوة الاسلامية ، على ضوء الوقائع والتطورات التى أوضحنا تحليلا موجزا لها ، يتمثل فى اتباع الشروط التاليه :

الشرط الاول : أن يكون الداعى على بينة ، قبل كل شىء ، من حقيقة الاسلام الذى كلفه الله أن يصطبغ به ، وأن يعرف الناس ، ويدعوهم اليه .

ترى أهو مذهب فكرى أو سلوكى يقارع غيره من المذاهب المماثلة ؟ أم هو نظام ينافس الأنظمة الاخرى ؟ أم هو جملة تشريعات وقوانين تنسخ بها بقية التشريعات ؟ أم هو يمين فى مواجهة يسار ، أم يسار فى مواجهة يمين ؟

ان على الداعى أن يكون على بينة تامة ، قبل كل شىء بأن الاسلام ليس شيئا من هذا ولا ذاك . ولكنه كما يدل عليه اسمه : استسلام مطلق لالوهية الله وحده ، ثم انصياع لامره ونهيه وقضائه . ولا يرتكز هذا الاسلام الا على يقين كامل فى القلب ، ولا يعمر الايمان الحقيقى القلب الا بعد خلوه عن الاغيار وتزكيته عن الاوضار ، وانقطاعه عن علائق المحرمات من الشهوات والاهواء .

واذا استقام الايمان على هذا النحو فى الفؤاد ، خاليا عن الزغل ، نقيا عن الدرك ، تحققت مظاهر الاستسلام كلها فى كيان الانسان لاوامر الله ونواهيه وسائر أحكامه وتشريعاته بدون عظيم جهد ولا طويل نقاش أو عناء .

زارنى فى العام الماضى ثلة من الرجال والنساء الاوروبيين والامريكيين، قد اعتنقوا الاسلام . وقد لفت نظرى التزامهم الدقيق بالسلوك والمظهر الاسلامى رجالا ونساء ... فهل تتصورون أنهم قد وصلوا الى الالتزام بتلك الاحكام السلوكية من خلال اجتياز مرحلة طولة من النقاش تمت فى أعقابها القناعة بها واكتشاف وجوه الفائدة والمصلحة فيها ؟ ..

معاذ الله ... لقد تحولوا من منتهى التفلت والتحرر ، الى الالتزام الكامل بالسلوك الاسلامى خلال أيام قليلة . وكان الجسر الوحيد الذى نقلهم من ذلك التحرر الىهذا الالتزام ، اكتشافهم بأنهم عبيد مملوكون لله عز وجل ، ويقينهم المطلق بألوهية الله وحكمته التى لا ريب فيها ، فى كل ما يأمر به وينهى عنه .

ولو أخذت تناقشهم دهرا طويلا فى الدفاع عن تلك الاحكام ، قبل رسوخ هذا اليقين العظيم فى قلوبهم ، لما اقتنعوا من ذلك كله بشىء .

ومن هنا كان قوام الدين الحق الذى الزم الله به عباده مكونا من ثلاثة أركان : ايمان ، واسلام ، واحسان . فمغرس الايمان فى القلب ، ومكان الاسلام الجسم كله ، ومستقر الاحسان

صلة ما بين القلب الذى آمن والجسد الذى استسلم • ولا ينفرد واحد من هذه الاركان الثلاثة بوجود مستقل مفيد • بل الدين انما يتكون من تالف هذه الاركان الثلاثة التى لا تعدو أن تكون جذورا وفروعا وشرايين تنقل الحياة من هنا الى هناك •

والمسلم اذا عاش فلهذا الدين يعيش، وان دعا الناس فالى هذا الدين يدعو •

ومعاذ الله أن يكون دين هذا شأنه وجوهره مجرد نظام بين الانظمة أو مجرد مذهب من المذاهب •

ليس للانظمة التى يتطاحن عليها اليوم الا وجود خارجى يبدأ وينتهى فى ساحة المشاهدات والمحسوسات • وانه لوجود ما أيسر أن يكون قناعا يتستر خلفه النفاق ألوانا ، ويكمن وراءه الكيد والخداع أشكالا •

أما الاسلام فوجوده شعاع يمتد فى كينونة الانسان كله، بدءا من باطن القلب الى ظاهر الجوارح ، من شأنه أن يحرر الانسان من أنانيته وآفات نفسه ، ثم يخضعه لاحكام ربه •

واذا تشبع الداعى الى الله تعالى بهذه الحقيقة ، وتمثل هذا المعنى الكلى للاسلام ، ثم اتجه الى الناس يذكرهم بهذا الحق ، ويوقظ فيهم مشاعر عبوديتهم لله عز وجل ، مستعينا بلواعج الصدق والاخلاص لله فى قلبه ، وبدلائل المنطق والعلم على لسانه — : أشرق من كلامه قبس وهاج فى طوايا قلوبهم (ان هم أصغوا الى الحق بموضوعية وتجرد) واستطاع أن يسير بهم من أقرب طريق الى الخضوع لسائر الاحكام والشرائع الاسلامية التى ليست فى حقيقتها الا ثمرات وفروعا لذلك المعنى الكلى العظيم • وان لنا فى قصة أولئك الاجانب الذين حدثتكم عنهم آنفا أبين شاهد على ما أقول •

ولكن اذا حصر المسلم نفسه من الاسلام فى منثورات فروعه وأحكامه وتشريعاته ، ثم راح ينبه الناس من الاسلام كله الى هذه الفروع ، وأخذ يبذل كل جهده فى اقناعهم بمزايا هذه الانظمة والتشريعات وأفضليتها على ما سواها ، فان دعوته هذه لن تثمر شئا لانه يقدم لهم هذه الانظمة والاحكام منفصلة عن منبتها وجذورها • فهو كمن يقدم اليك غصنا أخضر يانعا ، بعد ان اقتطعه من شجرته الراسخة الباسقة ، هل تنتظر به الا عاقبة الذبول والامحاق •

وهي حتى لو أثمرت فأيقن المخاطبون بمزايا التشريع الاسلامى وأفضليته ثم انصاعوا له نظرا الى ما فيه من المزايا القانونية التى ترجحه على غيره ، فان هذا الانصياع لا يمت بحد ذاته الى جوهر الاسلام بشىء ولا يقربهم الى الله شروي نقير ، هو ليس انصياعا دينيا منبعثا عن الخضوع لحكم الله تعالى وسلطانه ، ولكنه مجرد اختيار له من بين سائر الشرائع الاخرى من حيث

المرجحات المصلحية فى نطاق الاهداف السوية المجردة ·· ولذلك كان من اليسير أن تجد سرعة الرضى والقبول باعتماد فقرة (الفقه الاسلامى مصدر للتشريع) فى صلب أكثر الدساتير القائمة اليوم فى أكثر البلاد العربية والاسلامية ، ولكن ليس من اليسير أبدا أن تحصل على مثل هذا الرضا لاعتماد فقرة أصغر منها ، وهي : (الاسلام دين الدولة) · ذلك لان هذه الفقرة تعتبر موجز عن الخضوع الكلى والاستسلام المطلق لربوبية الله وحكمه · أما الفقرة الاولى فمجرد التزام بجانب قانونى من بنية الاسلام · وما أيسر أن يتلاقى عليه المسلمون وغيرهم ·

ومع هذا ، فان أكثر مظاهر الدعوة الاسلامية اليوم انما يتحرك ضمن هذه الاجزاء الجانبية أو الدوائر الفوقية · وهي قلما تثمر الا مشادة حاقدة من نوع تلك المشادات التى تقوم بين أصحاب المذاهب الفكرية والسياسية المتناحرة · ذلك لان الاسلام الذى يعرض فى هذه الخصومة انما هو اسلام فكرة ونظام مجتثين من كلي الحقيقة الاسلامية المنزل من لدن رب لاعالمين الى الناس أجمعين ، يقارع بهما الافكار والانظمة الاخرى مقارعة مقايضة ومباهاة ، فى مشادة لا يمكن أن تنتهى الا مثل ما تنتهى اليه خصومة أي نظامين أو مذهبين متكافئين فى أن كلا منهما ليس فى حقيقته أكثر من نظام يوازن بنظيره من الانظمة الاخرى ·

ومن شأن الذى يدعو الى الاسلام بوصفه مجرد فكرة ونظام بين مختلف الانظمة ، أن يفقد من بين جوانحه مشاعر الشفقة على أولئك الذين يدعوهم، ودوافع الغيرة علء سعادتهم الآجلة والعاجلة ، وهو المعنى الانسانى الذى اتصف به الانبياء والربانيون ، فكان سر نجاحهم واقبال الناس عليهم ، والتأثر بكلامهم ·

فلماذا يفقد هذا الصنف من الدعاة تلك المشاعر والمعانى الربانية الشفوقة ؟ لان الذى يهيم فى طريق الدعوة الى الاسلام ، بعيدا عن المثلول فى محراب التبتل ومعانى العبودية لله عز وجل ، مندفعا بالاسباب ذاتها التى تدفع صاحب أي مذهب أو مبدا الى الدفاع عن مذهبه ودعوة الناس اليه ، لابد أن ينسى الله تعالى فى غمار دعوته تلك · ولابد أن ينجرف فى تيار الانانية ورغبة الانتصار للذات شأن سائر الدعاة الى مختلف المذاهب والاحزاب · وهيهات حينئذ أن يتأثر بدعوته أحد ، اللهم الا أن يكون تأثرا مصلحيا قائما على مناورة أو على الرغبة فى الوصول الى أمان ومصالح دنيوية · ذلك لان الناس لا يصعب عليهم أن يشموا رائحة حب الانتصار للذات ، من خلال هذه الطريقة فى الدعوة · واذا انتبهوا لذلك ، فلابد أن تستيقظ لديهم هذه المشاعر ذاتها ، بطبيعة الحال ، وأن يتحصن كل طرف ضد الآخر فى حصن أنانيته والأنطواء على ذاته ، وعندئذ تتقطع مما بينهما

الجسور الواصلة ، ويتفاقم الحقد وتتوالد الضغائن ، ويقضى على كل أمل فى التفاهم والوئام ·

اننى أستطيع أن أقرر أن جهد هذا النوع من المسلمين جهد ضائع ، مقضى عليه بالخيبة وان تراءت له بعض الثمار والآثار السطحية السريعة ، لان صورة الاسلام فى أذهان هؤلاء الناس ، لا تتناول أكثر من أنظمة فوقية مبتورة عن أصولها مجتثة عن تربتها ، فهم انما يقومون ويقعدون بالحديث عنها والموازنة بينها وبين غيرها · وما أكثر ما يجلس أحدهم ليتكلم متحمسا فى هذه الامور أو ليناقش فى أمور الدعوة ومناهجها ، فينسى فى غمار حديثه ونقاشه أهم الواجبات الدينية التى أناطها الله فى عنقه ، كالقيام الى الصلاة فى أوقاتها مثلا ، ولعله لا يصحو اليها الا فى آخر الوقت ، ثم لا ينهض اليها الا متثاقلا ويؤديها بسرعة خاطفة شأن من يريد أن يسرع فيتخلص من عبء يلازمه ·

والخلاصة أنه لا قيمة لدعوة الناس الى اختيار منهج معين فى السلوك ، أو نظام متميز للحياة ، الا أن تكون آتية من وراء دعوتهم الى الاصطباغ التام بالعبودية المطلقة لفاطر السماوات والارض ، وايقاظهم الى الحقائق الكبرى الكامنة فى قول الله عز وجل :

« قل ان صلاتى ونسكى ومحياي ومماتى لله رب العالمين · لا شريك له، وبذلك أمرت ، وأنا أول المسلمين » (الانعام : 162 ـ 163) ·

الشرط الثانى :

أن تشيع الدعوة أولا فى صفوف المسلمين أنفسهم ، حتى اذا استقام أمرهم على النهج السليم ، وتجسدت فى حياتهم حقائق الاسلام وفطرته وأخلاقه ، انبثق لهم من ذلك لسان مبين يدعو الامم الاخرى الى اتباع دين الله عز وجل ، وتجلى من سلوكهم أمام تلك الامم خط مضىء يشق سبيله وسط أمواج الظلام وعكر المذاهب والافكار المنحرفة · فكان من ذلك أهم عامل يحمل تلك الامم على مزيد من الاهتمام بفهم الاسلام أولا والاعتناق له والانصباغ به ثانيا ·

وان من أكبر الاخطاء التى يقع فيها بعض المسلمين ، انصرافهم ـ فى غمرة فرحهم باقبال كثير من الغربيين الى دراسة الاسلام ـ عن النظر فى اصلاح أنفسهم ومن حولهم من عامة المسلمين · مستعيضين عن ذلك بالاتجاه الى الامم الاخرى ، يدعونهم فيما يزعمون الى الله ويرشدونهم الى الاسلام والتمسك به ·

ذلك لان تلك الامم محجوبة عن الاسلام وحقيقته وحب الاقبال اليه ، بما تراه من واقع المسلمين وسوء حالهم ، أكثر من أن تكون محجوبة عنه بالجهل أو لسوء الفهم له ·

يعرف هذه الحقيقة جيدا ، رؤساء تلك الامم وقادتها ، وهم الذين ما زالوا يتربصون بالاسلام وأهله الدوائر ، لذا تراهم يسلكون الى حجز الاسلام عن شعوبهم أقصر الطرق وأيسرها ، ألا

وهو الامعان فى حمل المسلمين أنفسهم على التنكر لاسلامهم ، بالوسائل المتنوعة وفى مقدمتها اغراقهم بشتى صنوف الملهيات والمنسيات ، وتقطيع سبيل ما بينهم الى التشاور والتناصح والتضامن • حتى اذا رأوا بأعينهم سوء حال المسلمين فى أخلاقهم وسائر أوضاعهم ، ووقوفهم – فى الجملة – على طرف النقيض مما يعرفون به ويدعون اليه ، قعدوا مطمئنين الى واقع شعوبهم ، ولم يبالوا عندئذ أن يقوم فيما بينهم آحاد المسلمين يدعونهم الى الاسلام أو يشيدون على أراضيهم المساجد ، أو ينشرون بينهم كتبا ونشرات تعرف بالاسلام • فانهم يعلمون جيدا أن هؤلاء المسلمين مهما نجحوا فى ابراز جوهر الاسلام ناصعا قويا أمام أفكار شعوبهم ، فان فى ذلك الواقع السيء المؤلم الذى يرزحون تحته ما يضمن ألا تكون لتلك الجهود الكلامية أو الكتابية أي تأثير خطير • فمن هذا الذى سيصغى بتأثر واعجاب الى ذلك الذى يتحدث عن كنوزه وأمواله الوفيرة، والناس جميعا يرون ما يعانيه من بؤس وضنك ، ويرون يده الممتدة بذل المسألة الى القادمين والرائحين ؟

ولعل من أبرز المظاهر التى تؤكد هذه الحقيقة ، ما تراه من سياسة دولة كأمريكا تجاه مسألة الحريات فى كل من داخل بلادها وخارجها • فمن المعلوم أنها تذهب فى تقديس الحريات الانسانية داخل بلادها الى أبعد مدى ممكن • وبموجب ذلك يحق لكل انسان أن يمارس نشاطه الدينى على النحو الذى يشاء ، كما يحق للمسلمين أن ينشطوا فى دعوة الناس الى الاسلام وتعريفهم عليه بالطريقة التى يحبونها •

الا انها ترقب النشاطات الاسلامية للمسلمين فى بلادهم بمنظار آخر ••• فهي لا تبالى أن تنسف شعار الحرية التى تعتز به فى بلادها ، من أساسه ، اذا رأت حرية الدعوة الاسلامية قائمة فى جهة ما من بلاد المسلمين ، بجد وعلى قدم وساق •• وربما استعانت بجهود من قد نراهم أعداء لها من أجل القضاء على تلك الحرية ، واغلاق أو تضييق السبل أمام الدعوة الاسلامية الجادة ، أن تبلغ مداها الاخير •

وواضح أن السبب فى اتخاذها هذين الموقفين المتعارضين ، أنها تخشى من الاسلام اذا تحرك ونشط بجد فى بلاد المسلمين ، أكثر مما تخشاه اذا نشط على أيدى آحاد المسلمين داخل بلادها •

نعم ، قد نرى – على الرغم من هذا الذى نقرره – أناسا فى ربوع أوروبا وأمريكا ، يقبلون الى الاسلام ويعتنقونه، دون أن يصطدموا بالسوء الذى يعانى منه المسلمون • الا أن هذه الظاهرة لابد أن تعود الى أحد سببين :

فاما انهم لحسن حظهم احتكوا بأشخاص مسلمين صادقين مع الاله فى اسلامهم فتنسموا فيهم عبير الفطرة

الانسانية الصافية ، وآنسوا فيهم الخلق الاسلامى الكريم، وأحسوا بنور الهداية الربانية يغمر قلوبهم ، فيرتفع بها صعدا عن الشهوات والاهواء الجانحة · فوجدوا فى ذلك الضياء والانس أعظم ملاذهم من ظلمات حياتهم الخانقة ، فدخلوا فى دين الله تعالى من هذا الطريق · وهذا السبب يؤكد الحقيقة التى نحن بصدد بيانها وتقريرها ·

واما انهم أقبلوا الى دراسات فكرية حرة عن الاسلام وحقيقته · فوجدوا حقائقه الناصعة وبراهينه العلمية والعقلية القاطعة ، فازدادت كراهيتهم للباطل الذى يتقلبون فيه ، وتلاقى لديهم من اشمئزاز مما هم تائهون فيه ، ومن يقينهم الفكرى بالحق الذى وقعوا عليه، عامل حررهم من أسر شهواتهم وأهوائهم ، ثم وضعهم على رأس الطريق الى صراط اللة عز وجل الهادى الى السعادتين الدنيوية والاخروية ·

وأيا كان السبب : هذا أو ذاك ، فهي على كل حال حالات نادرة لا تشكل تيارا ، ثم لا علاقة لامر الدعوة الاسلامية بها ·

انما المهم على كل حال ، أن يعلم المسلمون أينما كانوا ، أنهم فى اليوم الذى يتحققون فيه بمعانى الاسلام على وجهه الصحيح ، بدءا من أعماق أفئدتهم الى ظواهر أحوالهم ـ : ستفتح أبواب الاسلام على مصاريعها أمام شعوب أوروبا وأمريكا وغيرها · وسوف يدخلون فى دين الله أفواجا كما دخلوا فيه من قبل أفواجا ·

فأما ، والمسلمون على هذه الحالة التى هم عليها ، فان جهود الدعوة كلها يجب أن تنصرف الى اصلاح حالهم · وكل حديث يصطنع التباكى قبل ذلك ، على الاسلام خارج بلاد المسلمين ، دون التفات جاد الى واقع المسلمين أنفسهم ، لابد أن يكون مرده اما الى سذاجة متناهية فى معالجة الامور مترابطة بعضها ببعض واما الى كيد خبيث يستهدف شغل المسلمين عن البلاء المستشرى فيما تينهم ، وصرف طاقاتهم لتتبدد فى الفضاء ثم لا تعود الى أصحابها بشىء ·

الشرط الثالث : أن تتلاقى متناسقة على طريق الدعوة الاسلامية ، جهود الافراد والشعوب مع الطاقات التنفيذية التى يملكها القادة والحكام ·

فلا قيمة لما قد تنفرد به فئات أو أفراد من المسلمين ، فى نطاق العمل الاسلامى، اذا لم يكن للدولة الحاكمة فى ذلك دور أساسى فعال · ولئن ظهر بعض الفوائد والآثار ، فهي لا تعدو أن تكون آثارا جزئية ، ويغلب أن تكون مع ذلك سطحية وموقوتة ·

ويتجلى دور الدولة الحاكمة على صعيد العمل الاسلامى ، فى النهوض بجانبين اثنين ، ان هي تهاونت فيهما ، لم يصلح أن ينوب عنها فى النهوض بهما أحد ·

أحدهما جانب داخلي يتعلق بحـــــان المسلمين أنفسهم · ثانيهما جانب خارجي يتناول علاقة المسلمين مع غيرهم ·

أما بيان الجـانب الاول ، فيتلخص في أن نجاح الدعـــوة الاسلاميـــة في صفوف المسلمين ، في ظل الواقع الذي أوضحناه ، يتطلب مـ ع وسائل الارشاد والبيان قوة التنفيذ والحماية وتهيـــؤ المناخ المناسب ·

ومعـــلـوم ان الارشــــاد والبيـــان وتوابعهما ، من وظيفة الافراد والجماعات الذين أوتوا القدرة على النهوض بهذا الواجب · عـــلى أن جميــع المسلميــن المتبصرين بحقيقة الاسلام ، يتســاوون في واجب النهوض بقاسم مشترك مـــن هذه الوظيفة ، وهو ما قد تســاووا في معرفته من حقائق هذا الدين وأحكامه ·

ولكن الذين يرشـدون ويوجهــون ، انما يجتازون بالناس عقبة نظرية فقط · وتبقى من بعدهـــا مرحلـــة السعي الى التنفيذ · وهي مليئة بالعقبات والمعوقات التي تصد السالكين عن بلوغ الغايات ، بل تقطعهم حتى عن مواصلة السير في الطريق · ولا يقوى على تذليل تلـــك العقبات وازاحة المعـوقـات ، الا قادة المسلمين وأولوا الامر فيهم · فان هـــم أعرضوا عن القيام بهذا الواجب ، لم ينب عنهم في النهوض به أحد ·

رب انسان أيقن منه الفكر واللـــب بحقائق الاسلام وأحكامــه ، ولكنـــه مشدود بحـــبال نفسيـــة الى الانحراف وسلوك مسالك الضياع ، بسبب المناخ الذي يحيط به ·· فمن ذا الذي يملـك أن يطهر هذا الجو الذي يعانيه ، مـــن الملهيات والمغريات والمهيجات ، غيـــر الحاكم المسلم الذي اليه تصريف الشؤون وادارة أحوال البلاد ؟

ورب أناس يصغون الى كلمـــة الحق مفعمة بالروح والبرهان ، فتستقر في عقولهم وتشرق في قلوبهم ، ولكنهـــم ما يكادون يشعـــرون بنعيـــم الهدايـــة والعرفان ، حتى تنتصب أمام أعينهم ، وتتساقـــط في أيديهـــم ، وتســـري الى آذانهم ، كلمات الختل والتشويه والدس والخداع ، تأخذ طريقها اليهم من خلال المنشورات والمجلات والاندية والاذاعة، فمن ذا الذي يملك أن يحرس الكلمـــة (مكتوبة كانت أو مسموعة) أن لا تجعل مطية للدس والافتراء غير الحاكم الذي بيده تدبير ذلك كله ؟

ورب مؤتمرات وندوات عقدت عـــلى عرض البلاد الاسلامية وطولها ، لخدمة الاسلام وابلاغ دعوته ، طرحت الآراء السديـــدة · ثم انتهى المؤتمـــرون الى قرارات أو توصيات هامـــة ومـــفيدة ، فلما انفض الوفود ، بقيت تلك التوصيات ألفاظا مسطرة وأوراقا مطوية ·

ولا شك أن المسؤولية ليست مسؤولية الذين قـــرروا ثم انصرفـــوا ، لانهـــم لا يملكون أكثر مما فعلوا · ولكنهـــا مسؤولية من قد عهد اليهم بأمر التنفيذ ،

ممن يملكون أسباب ذلك ثم لم يفعلوا ولم ينفذوا ٠

وما أظن الا أن هذه المسؤولية ، هي التي سيجدها ويعبر عنها الاثر القائل : ان اللـه ليزع بالسلـطـان ما لا يـزع بالقــرآن ٠

وأنا لست أعنى بهذه المهام الداخلية التي يجب أن ينهض بها قادة المسلمين (كما قد أصبح واضحا من الامثلة التي ذكرتها) مجرد تلك المسؤولية التقليدية التي تتمثل في رسم القوانين الاسلامية ، ثم اعتمادها في نطاق السلطة القضائية، فهذا جزء يسير جدا من مجموع الحقيقة الاسلامية التي يجب على النــاس أن يأخذوا أنفسهم بها أفرادا وجماعـات، بل ربما كان موقع هذا الجزء من الاجزاء والجوانب الاخرى موقع النتائج مـن الاسباب والمقدمات ٠ بل رب حاكــم خبيث الطوية عميق المكيدة ، يتشاغـل بوضع القوانين الاسلامية في نطـاق الحكم والقضــاء ، ليصــرف نفســه ، وليصرف أنظار الناس معه ، عن واجب النهوض بالحقيقة الاسلامية المتكاملة ، والمتمثلة في اليقيـن الـذى يجـب أن يستحوذ على العقل ، والخلق الـــذى يجب أن يصطبغ به السلوك والنظـــام الذى يجب أن تنضبط به أصول المعايش والحياة كلها ٠

فأنا انما أعنى بمهام الحاكم المسلم هذه الجوانب المتلازمة كلها ٠

وأما بيان الجانب الثانى سيتلخص في أن شطرا كبيرا من مهام الدعـــوة الاسلامية ، يجب صرفه الى مقاومـــة ذلك العدوان الخفى المتسلل من خـارج حدود البلاد الاسلامية ، والذى يمارسه أولئك الاعداء التقليديون الذين سبـق الحديث عنهم فهؤلاء يكيدون للاســلام والمسلمين خارج بلاده ٠ ولا يعجزهــم بطبيعة الحال أن يسخروا لذلك كــل الطاقات الفكرية والنفسية ، وأن يجندوا له سائر رسل التبشير والاستشــراق ، وأن ينفقوا في سبيله الاموال الطائلة ، وأن يستعينوا حتى بالعمليات العسكرية اذا اقتضى الامر ذلك ٠ فمن ذا الذى يملك أن يجابه عدوانهم هذا بوسائلهـم هذه ، غيــر قــادة المسلميــن ، وأولى السطوة والسلطان فيهم ؟ ٠٠

نعم ان للشعــوب الاسلامــية دورا كبيرا في صد العدوان الخارجى عـلى الاسلام والمسلمين ، ولكن لابد أن يكون ذلك بواسطة قادتهم وأولى الامر فيهم، اذ انهم دون غيرهم ، الذين يشكلون أداة الاتصال بين شعوبهم وقــادة الغـــزو الفكرى ٠

فاذا تبين من خلال هذا الكلام مـدى أهمية الدور الذى يتحمله قادة المسلمين في نطاق العمل الاســلامى والدعـــوة الاسلامية ، فلا مناص من أن نقرر بكل صراحة ، ومع قدر كبير من الاســف ، بأن هذا الشرط الثالث لم يتحقق منـــه شىء الى هذا اليوم ، على وجهه السليم،

اللهم الا فى أضيق الحالات ، وعلى مستوى سطحى لا يكاد يعطى ثمرة مفيدة .

فالدعوة الاسلامية انما تمارس الى الآن ، من قبل فئات وهيئات شعبية فقط ، دون أن تشد من أزرها ، بشكل متناسق وبالمعنى الذى أوضحناه أي سلطة حكومية . فلا ريب أن عمل هذه الفئات الشعبية يشبه الى حد كبير ، راحة يد واحدة تسعى جاهدة أن تتلاقى على نفسها لتصفق بمفردها ، أو يشبه حالة من قد فتح صنبور ماء على حوض كبير ، تفتحت فى أسفله ثقوب واسعة كثيرة ، دون أن يجد من حوله من يعينه فى سدها . فأخذ الماء ينهمر فى الحوض، وظلت الثقوب تبتلعه ، وبقى الحوض فارغا لم يصبه من الماء الا الرشاش والبلل .

ولعل من الخير أن نبحث عن السبب الذى أفقد روح التعاون الحقيقى بين المتحرقين على الدعوة الاسلامية من آحاد المسلمين ، والقائمين على أمرهم من القادة والحكام ..

ان السبب ، بكلمة جامعة مختصرة، هو السياسة ... نعم السياسة بطبيعتها الجديدة . ومفهومها الذى يفرض نفسه على كل من قضى عليه أن يدخل فى غمارها ، ويستسلم لتيارها ...

لقد كانت كلمة « السياسة » تعنى فيما مضى ، سلوك سبيل الحكمة والتعقل الى الهدف المنشود . فكانت مطية ذلولا وسبيلا معبدة الى بلوغ الغايات السامية ، ولما كان اقامة سلطان الدين على المجتمع وفى النفوس، أسمى الغايات وأنبلها ، فلا غرو أن تكون السياسة هي الخادم الامين لتحقيق هذه الغاية .

ولكن هذه الكلمة غدت اليوم عنوانا على ألوان معقدة من المناورات والمحاولات ووجوه التعامل بين القادة والحكام بعضهم مع بعض . وفى ظل هذا المعنى المتشابك المعقد ، الذى آلت اليه الكلمة ، أخذت السياسة تتحول شيئا فشيئا من وضعها السابق الذى كانت فيه مجرد وسيلة وطريق ،الى أن أصبحت فى أكثر الاحوال والظروف غاية بحد ذاتها ، أو ـ بتعبير أدق ـ غاية ووسيلة بآن واحد ..

وما ينبغى أن نستغرب هذا ، فان الطريق اذا كثرت تضاريسه ، وتعقدت منافذه ، واشتدت عقباته ، يوشك أن يتحول الجهد الدائب للتغلب عليها أخيرا ، الى حركة مستمرة ضمن نطاق محدود ، لا تهدف بمجموعها الى شىء آخر غير ذاتها .

على أن الامر لم يقف عند هذا الحد فقط . بل غدت السياسة هي المحور الثابت ، وتحولت الاهداف والغايات الاساسية الى وسائط تدور فى فلكها وتقوم على خدمتها ..

ونظرنا ، فاذا الدين ذاته واحد من هذه الوسائط الخادمة ··· فما أكثر ما يستنطق الدين بما تهواه السياسة أو يقتضيه أسلوبها · وما أكثر ما تسخر الفتاوى لتوسيع مواقفها عندما تعوزها البراهين والمؤيدات ···

بل لقد نظرنا ، فاذا للدين الحق الذى نؤمن جميعا به ، أحكام متناقضة ومواقف متعارضة ما بين سياسة وأخرى :

ان عليه أن يدافع عن مواقف الرضا والاستسلام للعدو الغاصب المنكل ، وعن مديد الموالاة والتعاون اليه ، بكل وجه وعلى أي حال ·· وعليه أيضا أن يتحول فيصبح نصيرا لكل ما تقترحه أو تخطط له رعونات الثأر والانتقام ، ويتطلبه غليل القلوب الحاقدة ورغبات النفوس الهائجة ، دون أي تفريق بين ما شرعه الله من ضرورات الحرب والجهاد ، وما حذر منه من لواعج الثأر والانتقام ···

ثم على الدين أن لا يتخلى عن وظيفة التأييد لكل ما يقتضيه الوضع السياسى، من أتباع مذاهب معينة تتعلق بمبادىء الملكية والاقتصاد ، أو قضايا الاخلاق والاجتماع ·

هذا كله ، مع العلم بأن الله جل شأنه، ما أنزل الدين الحق على عباده الا كبحا لجماح الرعونات ، وجمعا لشتات الآراء ، واذابة لاحقاد القلوب وسخائم النفوس · فمعاذ الله أن تكون له وجوه متعددة يصانع بها أرباب السياسة وابطال الكر والفر ، ليفوز برضوان الجميع ···

وان المصيبة هنا لم تعد واقفة عند مشكلة انصراف القادة عن رعاية الدين واهمال مبادئه · فذلك أمر يسير بالنظر الى ما هو أدهى وأمر ·

اذ ان أمر الدين عندما يصبح مسخرا بيد السياسة وأربابها ، ويتجلى ذلك لكل متأمل ومتدبر ، يتكون من ذلك برهان وأي برهان ، لاولئك الذين ظلوا يقررون بأن الدين فى جوهره ، ليس أكثر من مؤيدات ذات قداسة مصطنعة ، ابتدعها على مر التاريخ الانسانى أولئك الذين يبالغون فى الاعتداد باتجاهاتهم وآرائهم ، ويسعون الى فرض أفكارهم على أكبر قدر من الناس خلال أطول حقبة من التاريخ · أجل ، فما أيسر أن يردد أولئك المبطلون هذا الكلام، ويجعلون من هذه المظاهر المؤسفة بين شاهد علمى على ما يقولون ·

ونحن وان كنا على يقين بأن هذا اللغو فى تفسير الدين الحر وتصوره ، لا يمكن أن يعلق بذهن أي انسان عاقل يريد أن يتعرف على هذا الدين من داخله ، ومن خلال التعرف على جوهره ومصادره ، الا أننا على يقين أيضا بأن كثيرين هم أولئك الذين يستعيضون عن دراسته بالقاء نظرة على بنيانه الخارجى وبالاصغاء الى ما يقوله عنه هؤلاء المبطلون ، ثم من خلال هذه المشاهد السياسية التى تجل ـ فى كثير من الاحيان ـ من الدين مطايا لتحقيق

المآرب والمطامع الشخصية والنفسية ذات الدوافع المتنوعة ٠

فاذا أضفنا الى هذا أن كثيرا مـــن الرعونات التى تشمئز منها الموازيـــن الانسانية الصافية ، والتى تهيج فى نطاق المدافعات السياسية ، ترتدى فى كثير من الاحيان كسوة الاسلام وتنطق بلسانـــه ـ فان بامكاننا أن نتصور مدى النكسـة التى يصاب بها كثير ممن تفتحت عقولهم ونفوسهم لدراسة الاسلام وفهمــه ، فى مختلف الاقطار والبلاد ، اذ ما تكـــاد تواجههم هذه المشاهد حاملـة رايـــة الاسلام ، حتى ينكفئوا على أعقابهـم ، وقد تعقدت نفوسهم تجاه الاسلام بجملة وتفصيلة وعادوا فى كراهيتهـم لـــه واشمئزازهم منه الى شر مما كانـــوا عليه من قبل ٠ فما تكاد آذانهم تتفتـح بعدها لسماع كلمة عن الاسلام ومـــا يتعلق بـــه ٠٠٠

وهكذا ، فان بوسعنا أن نتصور بعد الفجوة الفاصلة بين ما ينهمك فيه كثير من أفراد المسلمين وفئاتهم فى سبيـــل العمل الاسلامى وتقريب الاســلام الى عقول الناس وتحبيبه الى قلوبهم ، وما قد ينحرف فيه كثير من الساسة من قادة المسلمين وأولى الامر فيهم ٠ وليتهـــا ظلت مجرد فجوة ٠٠ أنها تتحـــول فى كثير من الحالات الى تشاكس فى السعي وتناقض بين عملية البنـــاء والهـــدم والتقريب والتبعيد ٠٠٠

على أن من الحق أن أعود فأقول : لعل « السياسة » بمعناها الذى يفرض نفسه اليوم تحمل تاثيرا يشبه أن يكون سحريا ، على كـل مـن قد ينجرف فى تيارها ٠ فهي تعدمه القـدرة عـــلى تمييز الوسائل عن الغايات ، كما تعدمه القدرة على اعطاء كل منهما حقه مـن الرعاية والاهتمام ٠

ومن يدرى ؟ ٠٠ لعل ناقدا مثلى ، لو ابتلى ـ والعياذ بالله ـ بالوقـــوع فى دوامة العمل السياسى ، لنسي كل هذا الكـلام التوجيهى ، ولأعجـزتـــه المشكلات المتسارعة عـن أن يعالجهـــا بصفاء ذهنى وقدرة ذاتية على تسخيـر سلسلة الاحداث كلها فى سبيل رعاية الحق الذى يتمثل فى الاسلام عقيـــدة وأخلاقا وحكما ، ولتمزق بين المتطلبات المختلفة التى تفرض نفسها عليه من كل صـــوب ٠

ولكن مهما يكن ، فان المسألة لا تعدو أن تكون مشكلة تحتاج الى حل ٠ ولا ريب أن على قادة المسلمين ان يبذلوا كل جهودهم (ما دامـوا صادقيـن فى اسلامهم ، لحل هذه المشكلة ولضبـــط النشاطـات السياسـية ضـمـن حدود الوسائل والاسباب ، كما أن عليهم أن يفعلوا كل ما يمكنهم للتحرر من دوامتها ، وامتلاك ناصيتها ، ثم السير بهـــا فى الطريق الى خدمة هذا الدين ورفع مناره وترسيخ سلطانه ٠

ان علينا جميعا أن ندرك بأن العمل السياسى فى أيدى قادة الامة الاسلامية ، ليس الا سلاحا لخدمة الاسلام واقامة المجتمع الاسلامى فوق أرفع ذرى الارض . فان هم عجزوا أن يتخذوا من السياسة والحكم سلاحا لذلك ، فقد تحول كل منهما فى أيديهم الى باطل من السعي وعبث من الجهد والعمل ...

ودعونى أيها الاخوة أضع بين أيديكم وصية توجه بها السلطان محمد الفاتح رحمه الله الى ابنه أورخان ، عندما شعر بدنو أجله ، متمنيا ان يعدها كل واحد من قادة المسلمين اليوم ، تطرق سمعه ، وصية موجهة اليه عساها توقظنا جميعا من دوامة هذا التخبط الذى نعانيه :

(ها أنا ذا أموت ولكنى غير آسف ، لانى تاركا خلفا مثلك . كن عادلا صالحا رحيما بلناس جميعا . وأبسط على الرعية حمايتك بدون تمييز ، واعمل على نشر الدين الاسلامى ، فان هذه هي واجبات الملوك على الارض .. قدم الاهتمام بأمر الدين على كل شيء ، ولا تفتر فى المواظبة عليه ، ولا تستخدم الاشخاص الذين لا يهتمون بأمر الدين ولا يجتنبون الكبائر وينغمسون فى الفحش ، وجانب البدع المضرة ، وباعد الذين يحرضونك على الحقد والظلم .. وسع رقعة البلاد بالجهاد ، واحرس أموال بيت المال من أن تتبدد .. واضمن للمعوزين قوتهم ، ولا تمد يدك الى مال أحد من رعيتك ، وابذل عطفك واكرامك للمستحقين .. وبما أن العلماء هم بمثابة القوة المبثوثة فى جسم الدولة فاعطف عليهم وشجعهم .. حذار حذار، لا يغرنك المال ولا الجند . ولا تبعد أهل الشريعة عن بابك ، ولا تمل الى عمل يخالف أحكام الشريعة فان الدين غايتنا والهداية منهجنا .. خذ منى هذه العبرة : حضرت الى هذه البلاد كنملة ضعيفة فأعطانى الله هذه النعم الجليلة . فالزم مسلكى واحذ حذوى ، واعمل على تعزيز هذا الدين المحمدى وتوفير أهله مع سائر رعيتك المطيعة ، ولا تصرف أموال الدولة أكثر من اللزوم ولا تضن على أخلافك بنصائحك ..) (1)

وبعد ، فتلك خطوط عريضة ثلاثة فى طريق الدعوة الى الله عز وجل . بسطت الحديث عنها بالقدر الممكن ، وتحت كل واحد من هذه الخطوط ملاحظات وآداب تفصيلية ، لا ضرر فى طي الحديث عنها ، لو ضمنا سلامة العمل بخطوطها الرئيسية العريضة .

فاذا تذكرنا أن واجبنا الذى شرفنا الله تعالى به ، قادة وشعوبا ، انما هو اقامة دينه وتنفيذ شرعه ، وارتداء جلباب العبودية له وأن اليه المرجع والمآب - : علمنا مدى ضرورة النهوض بهذا الذى ذكرناه ، والله المستعان فى الهداية والتوفيق .

---

(1) من كتاب : العاهل العثمانى أبو الفتح السلطان محمد الثانى . تاليف علي همت ، ترجمة محمد احسان عبد العزيز ص 146 و 142 .

كلمة اختتام

الملتقى الرابع عشر للفكر الاسلامي

للسيد

عبد الرحمن شيبان

وزير الشؤون الدينية

بسم الله الرحمن الرحيم
والصلاة والسلام على رسول الله
وعلى آله وصحبه

السادة أعضاء اللجنة المركزية والوزراء،
السادة نواب المجلس الشعبي الوطني،
حضرات الأساتذة الكرام،
أيها الإخوة والأخوات،
أبنائي الطلبة والطالبات،
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ها نحن قد بلغنا - بعون الله وتوفيقه - النهاية الحميدة، من أعمال ملتقانا الرابع عشر للفكر الإسلامي، بعد ثمانية أيام مليئة بالجهود المضنية المتواصلة، استعرضنا فيها صفحات ماجدة من تاريخنا الثقافي

النضالي، وتحاورنا فيما يدعم بناءنا الإسلامي الذي نسعى إلى تشييده على أسس قوية، تجمع المسلمين على الحق، وتوحد جهودهم في خدمته، وتحصن الشباب المسلم من التبعية والاضطراب؛ وتقيه شر الإنحراف والإغتراب؛ وتربيه على الإستقلالية في النظرة، والحرية في الفكرة، والذاتية في المنهج والتنفيذ.

لقد أقبلتم على المشاركة في ملتقاكم جادين مجتهدين، سواء كنتم محاضرين أم معقبين ومناقشين، أم سائلين ومجيبين، وتناجت بينكم وشائج الصداقة والقربى، وتداعت بالتعاون والإلتحام، في ظل راية الأخوة وعقيدة الإسلام؛ وسارت أعمال الملتقى حسب البرنامج المضبوط، والخطة المرسومة، ووصلت إلى النتائج المتوخاة؛ ولم يبق أمامكم إلا التطبيق.

إن التاريخ ذاكرة الأمة، ومستودع أمجادها، وعنوان شخصيتها ووجودها؛ وطريقها إلى وعي نفسها، ومعرفة ذاتها، به تكتشف حياتها، وتزن ماضيها لتبني حاضرها ومستقبلها؛ ومن أحيا تاريخ أمة فقد أحياها، كما قال الإمام عبد الحميد بن باديس لتلميذه الأستاذ المرحوم

"مبارك الميلي"، يوم أخبره بتأليف كتاب عن الجزائر أسماه: "تاريخ الجزائر في القديم والحديث"، وتمنى أن لو سماه "حياة الجزائر"؛ لأنه كان - رحمه الله - ينشد الحياة للجزائر وللمسلمين حتى في أسماء الكتب.

فلا عجب إذاً أن يشتمل برنامج ملتقانا كل سنة على نقطة تاريخية، وكانت هذه السنة "الونشريس قلعة من قلاع العلم والنضال"، وقد تبين لكم مما سمعتم من محاضرات ومحاورات، في هذه النقطة، أنها صفحة من أمجد صفحات البطولة والتضحية والفداء، في تاريخ شعبكم، في الجزائر؛ واكتشفتم فيها وجهاً مشرقاً، وضاء الجبين، كتبت فيه أمجادنا بدماء الشهداء، ومداد العلماء؛ ثم اقتدى الأحفاد بالأجداد، فرفعوا الراية في الميدانين: العلمي والنضالي، منشدين:

"نبني كما كانت أوائلنا ∴ تبني ونفعل مثل ما فعلوا"

وفي النقطة الثانية: "الإسلام والمذاهب الإجتماعية الحديثة" غصتم في أعماقها تحللون وتناقشون؛ وخرجتم منها مؤمنين بأن الإسلام منهج رباني لا يساوى بمذهب من مذاهب البشر، أو بدين جاء إلى أجل، وإنما هو دين الله الخالد، تنطوي مبادئه على كل ما يحتاج إليه الإنسان في دنياه

وَأُخْرَاه، يحرِّم الاستغلال والظّلم، ويَعتمد على الاقتناع الداخلي والارتباط الوجداني؛ ويتّجه في ذاتيّة استقلاليّة إلى إقامة العدالة الاجتماعية في أسمى معانيها، ويحقّق التّوازن النّفسيّ والعقليّ والماديّ، ويعالج أدواء الإنسان من المرض والفقر والجهل والتخلف، معالجة تنطلق من تنقية ضميره، وتغيير بواطنه، وتنمية نزعة الخير فيه « إنّ الله لا يغيّر ما بقوم حتّى يغيّروا ما بأنفسهم »[1]؛ واتّضح لكم أنّ الإسلام يحارب الاستبداد بأنواعه، ويلعن الظالمين؛ ولا يحبّ المسرفين والمترفين والمنحرفين؛ ويوجب طلب العلم، ويدعو إلى التفكير، ويذمّ التقليد والجمود، ويقبل الجديد النافع المفيد، وينسجم مع جميع العصور والأوطان؛ وكل ما لا يناقض روحه، ولا يعارض قاعدة من قواعده، أو ينسف نصًّا من نصوصه، لا يمنع أهله من الأخذ به إذ « الحكمة ضالّة المؤمن يلتقطها حيث وجدها »؛ فلنأخذ من المذاهب الاجتماعيّة الحديثة، ما يناسب العصر ويدعو إلى التقدّم، دون جمود أو انحراف؛ ولكن بعد التّشاور والدّراسة والتحليل؛ ولا بأس أن يكون هذا في ندوات إسلاميّة تنعقد هنا

1 - سورة الرعد، 12

أو هُناك ، يُشارِكُ فيهَا أهلُ الاختصاصِ لاتخاذ موقفٍ موحّدٍ في أيّة قضيّةٍ هامة ، وَذلك مَا يرشد إليه قوله تعَالىَ : "وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ"[1].

لَقَد تَنَاولت المذاهبُ الحَديثةُ العقائدَ والدّيانات وَالأخلاقَ ، وافْتَرقَت في شَأنها طرائق ، وأنكرَ بَعضُهَا البَديهيَات مِمّا لا يجُوز أن يأخذ المسْلمُونَ شيئاً منه ؛ لأنهُم أمة واحدة ، توحّد الخالق وتعبُده ؛ وتهتدي في حيَاتهَا بالقرآن : "إن هَذه أمتكم[2] أمّة واحدَة وأنا ربّكم فاعبُدونِ" ، وَمَا اختلفت فيه من فرُوعٍ ، وَسَلكت فيه كلُّ جَمَاعة مِنهَا طَريقاً ، فلا يَضيرُها ، مَادامَت مُتمسّكة بالقرآن ، ومتحدَةً على الأركان ، وَتتجه إلى القبلة الواحِدَة ؛ فَليتَحَلّ المسْلمُون بروح التّسَامح والحِرْص عَلى كل مَا يَدْعمُ وحدَتهم وَيُجنّبهم التمَزّق والتّشتّت ؛ وَلا تعْذرُ أيّة جَمَاعةٍ مِنَ المسْلمين تجعَل اختلافَ العلمَاء في بَعضِ أحكامِ الوضوء ، وكيفيّة الصَّلاةِ

1- سورة الشورى ، 35

2- سورة الأنبياء ، 91

المستوفية الأركان، أو أحكام الصوم والزكاة والحج، مثار فتن داخلية، ما أغنى المسلمين عنها!! أما القضايا الاقتصادية ومذاهب العلماء فيها فيجب اعتبار المذاهب الاسلامية في ذلك شريعة واحدة، يؤخذ بالأوفق الأنفع الملائم للعصر من أي مذهب كان، مثل ذوي الأرحام، تحرمهم بعض المذاهب الفقهية من الإرث، وتورثهم مذاهب فقهية أخرى مثل الحنفية من أهل السنة، والزيدية من الشيعة، وهو ما أخذ به المجلس الاسلامي الأعلى في مشروع قانون الأسرة الجزائرية؛ عملاً بالقولة المشهورة: "اختلاف العلماء رحمة".

أيها الإخوة:

إنكم ألححتم في دراستكم النقطة الثالثة: 'الدعوة الإسلامية في القرن الهجري الخامس عشر' على اعتبار الدعوة مسؤولية جميع المسلمين، وسلاحهم الفعال في مقاومة الإنحراف والإلحاد؛ وطالبتم أن يكونوا أثناء هذا القرن، يقظين، حذرين، مستعدين

لأداء رسالتهم؛ ولاحظتم أنهم لا يتمكنون من ذلك ما داموا متخلفين عن غيرهم علماً وخلقاً واقتصاداً، ولا يستطيعون ذلك حتى يجسّموا فيهم قول الله تعالى: "كنتم خير أمّة أُخرجت للنّاس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المُنكر وتؤمنون بالله "«1»؛ واتفقتم أن الإسلام حمى أهله بقوّته الذاتيّة من الاضمحلال والزّوال، ولولاه لما بقي لهم وجود في هذه الحياة، فقد كان درعاً واقية وحصناً منيعاً، مكّن لهم في الأرض، وصنع من أشتاتهم أمّة، ونسج من تمزّقهم وحدة، وغذاها بأسباب القوة والرّقيّ، وأقام نظامه على العلم والعقل والإيمان، والاستقامة والحريّة والعدل والإحسان، والعمل الصّالح، وشقّ طريقه إلى النفوس في وضوح، بدعوة أسلوبها الحكمة والموعظة الحسنة وجدال المشاغبين بالتي هي أحسن؛ وغايتها هداية الإنسان ليسعد في الدّنيا والآخرة، وعمدتها أعمال يوميّة وسنوية تعتبر امتحاناً لصدق الإيمان وصحّة العقل وسلامة الإرادة.

لقد اقتنعتم جميعاً أن الإسلام لا يتحقّق في المسلم إلاّ بالعمل، وترجمة مبادئه إلى وقائع يعيشها المسلمون في علاقاتهم، وأن ليس لأيّ فكرة أو عقيدة قيمة،

---

1 - سورة آل عمران، 112

إذا بقيت مجرّد رأي أو فكرة، ولم تتحوّل إلى واقع اجتماعي أو تربوي أو اقتصادي، لتغيّره وتصوغه صياغة جديدة؛ فلننزل إلى واقع المجتمعات الإسلامية، ولنغرس مبادئ الإسلام بالعمل والتطبيق؛ فإنّ الشريعة الإسلامية مرتبطة بالعمل ارتباط الروح بالجسد.

إنّ شعاع الثورة الإسلامية في عصرنا الحاضر أخذ ينسج خيوط نهار جديد، يطلع على الدّنيا ضياؤه، وبالتجنيد والتعبئة والدّعوة يتّسع إشراقه، ويعمق أثره، ويطرد ظلام الجهل والضلال، والتبعيّة والاستعمار؛ وتطلّ من بين خيوطه توجيهات المفكرين والعلماء المصلحين منارات تدعم ضياءه، وتقف معالم هداية على طريقه، إن سار المسلمون على هديها كانت النّهضة، وكان الرّقي في جميع المجالات، من ذلك قول الإمام المرحوم محمّد البشير الإبراهيمي في ضرورة الاعتماد على النفس في كلّ ما نقبل عليه من بناء ونسعى إليه من تنمية: "إنّ الوطن الذي يعمر بمال الأجنبي، ويد الأجنبي، وعلم الأجنبي، محكوم عليه بالخراب، وإن تعالت في الأفق قبابه، وكسيت بوشي من السّماء هضابه، وسالت بذهب الأرض شعابه".

وَمِنَ الوَاضِح أنّ الإسْلام انتصر بالدّعوةِ وانتشر بالدّعاة في فجرِهِ وَضُحَاه؛ ثم مرّت قرونُ خمُولٍ ذبل فيها المسْلمُونَ وَنامُوا، كما أشار إلى ذلك أحد السّادة المحَاضِرين؛ ولَمّا أقبَلَ عليهم القرنُ الهجريُّ الخامِسَ عَشر وجَدَهُم قد استيقظوا وتحفّزوا للانطلاق، وأخذت قواهم تتكاثر، وتعالت صَرَخات الاستغاثة مِن شَتّى أنحاء آسيا وأوربا وَإفريقيا وأمريكا تهيبُ بهم أن يُمدُّوها بمَن يُعَلّمُها مبادئ الإسلامِ وأحكامَه، وَيُنجدُها بالمصَاحف والكتب والمجلات الإسلاميّة؛ وهذا كسَبٌ للإسلام كبيرٌ لا ينبغي إهماله أو إضاعتُه.

وَهناك علماء وَمفكرون عالميّون اقتَنَعوا بعد الدّراسَةِ وَالتحليل أنّ حلّ مشكلة الإنسانية كلّها تكمُنُ في الإسلام؛ وهَذه فرصَة على المسْلمين أن يستغلوها في نشر الدّعْوة الإسْلاميّة التي تَتطلب أن يكون رجَالها علماءَ قادِرينَ على تَبليغ حقائق الشريعَة الإسْلامية ناصِعَةً كالشمس؛ حَريصين أن يقرِنوا الدعوة بالتطبيق حَتى يكونوا بأعمالهم أبلغ منهم بأقوالِهم؛ ولابد مِن تَنسيق الجُهودِ بين رجَال الدّعوة الإسلامية والقادة والمسؤولينَ في الدّاخل والخارج؛ لأن الله يَزَعُ بالسّلطان مَا لا يزعُ

بالقرآن ؛ وَإذا تضافرت الجهود وَاقترن صدقُ القول بواقعيّة العمَل والاستقامة كان النجاحُ والتوفيق .

لكن تبقى التربيّة الإسلامية دَائمًا نقطة انطلاق هَذه الأعمال كلها وعمدتها، وإذا لم يُعْنَ بها العناية الكاملة ولم يُحسَن عَرضها على الصّغار وَالكبار في أسَاليب جَذابة تلائم روح العصر، فإن الجهود التي تبذل في سَبيلها لن تكون لهَا النتائج المرجوة، بَل يحدث الانفصَام والفرَاغ ؛ وتجد الاتجاهات غير الإسلامية الطريق سَهلاً إلى تضليل العقول واستعبَاد القلوب ؛ وَتلك مصيبَة كبرى أخطرُ من احتلال الأوطان وتسخير الأبدان ؛ وهَذا ما ركزتم عليه في النقطة الرابعة : "فلسَفة التربيّة الإسْلاميّة"، وأرشدتم إلى ضرُورة إعطائها الأولوية، وجَعلها الحِصْنَ الذي يتحصَّن به الشبَابُ المسلمُ في مواجَهة تحديات العَصر وتيّاراته ؛ وَجَعلتموهَا حجرَ الزاوية في أي بنَاء محكم، وعماد الصّلاح والإصلاح ؛ وَناديتم بإدراجهَا في جَميع مَراحل التعليم لكي لا يصَاب الشبَاب المسلم بفقدان الذاكرة، وَينسَى مقومَات شخصيته، وَيندَمج في أوضاع تجلبُ الوَبَال لأمته الإسلامية ؛ وقدوَتنا

في هذا الحقل القرآن الكريم وسُنة رسول الله صلى الله عليه وسلّم: "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر"[1]، على أن نرتفع فوق المذهبية الضيقة منطلقين من الإيمان الصحيح: قوة الإنسان، ومن العمل الصالح: دليل الحيوية والإنتاج، وبرهان الالتزام والارتباط بالواقع.

ولعل أهمية التربية الإسلامية تبدو لنا أكثر وضوحًا في أسئلة الطالبات والطلاب، أثناء الرحلة إلى البليدة والشفة، وفيما أثاروا من قضايا حساسة يريدون أن يعرفوا رأي الإسلام فيها، منها حاجة المسلمين إلى العلوم العصرية والتكنولوجيا، والانتفاع بها، مع الحذر ممّا قد يبثه أصحابها من أفكار مسمومة وأخلاق منحرفة، وقضية المرأة ومكانتها في المجتمع: لماذا لا تسند إليها وظيفة الإمامة؟ ولا تتحمل مسؤولية القوامة..؟

إن الشباب المسلم متطلع إلى معرفة الإسلام، والارتواء من مبادئه، والاحتماء به من الغزو الفكري والنفسي، وليست هناك وسيلة أفضل من التربية الإسلامية، تنير له طريق الحق، وتمنحه تصورًا

1- سورة الاحزاب، 21

إسلاميًا صحيحًا، يُفهِمُه أنّنا قد نحتاج إلى ما في عقول العلماء غير المسلمين من فكر صائبٍ، وما في أيديهم من مهارة وإتقان، ولكننا لا نحتاج أبدًا إلى ما في نفوسهم من زيغ ومكر وانحرافٍ؛ وتبيّن له موقف الإسلام الإيجابي من مختلف القضايا، وتأخذ بيده في طريق التطوّر ونموًا اهتزازٍ نفسيّ أو ضلالٍ فكري.

إن التربية المثلى التي تضمن للمسلمين إعداد أجيالهم إعدادًا سليمًا صحيحًا، إنما هي التربية التي تتعاون فيها المدرسة والمسجد، والمزرعة والمصنع، والبيت والشارع، والإدارة والمحكمة، والإعلام والثقافة، والحزب والحكومة، تعاونًا قائمًا على الإيمان بمثل واحدة، وتصوّر شامل للحياة ولما بعد الحياة.

أيها الإخوة...

حاولنا أن تكون لغتنا في هذا الملتقى الإسلامي لغة القلب للقلب، والروح للروح والعقل للعقل، واعتمدنا على النقد الموضوعي البنّاء لأوضاعنا العامة في جميع المجالات في ضوء الفكر الإسلامي النقي من رواسب التخلّف والجمود، مستهدفين الحصانة الذاتية والعبور

إلى الغد الأفضل المنشود، في ثقة وهداية وإيمان.

إن الإسلام عظيم؛ فلنتمثل عظمته أحسن تمثيل، في أعمالنا وأفكارنا، ومعاملاتنا، في بلداننا وسط شعوبنا، وبيننا، كمسلمين، وبين الناس أجمعين، في السلم وفي الحرب، ولنحرص على ذلك أشد الحرص حتى نكون في مستوى مسؤوليتنا نحو أنفسنا ونحو الناس.

إن منهاج الاسلام قائم على حرية الفكر والاعتقاد، فلا يضيق بالحوار ولا يرفضه، بل يحبذه، ويعتبره سبيل الإقناع والاقتناع؛ وانطلاقاً من هذا المبدإ نرحب بالحوار السليم ونشجعه لكن، على قاعدة «أنتَ أنتَ، وأنا أنا» لا على قاعدة «أنت أنا، وأنا أنت»، كما قال الإمام الرائد عبد الحميد بن باديس منذ ما يقرب من نصف قرن رداً على المحاولات الاستعمارية الرامية إلى الحاق الجزائر بالكيان الفرنسي.

أيها الإخوة ...

إنه لا يفوتنا أن نسجل هنا بأن الاسلام كرم الإنسان، من حيث هو إنسان، وحرم أن يظلم أو يهان، للونه أو جنسه أو عقيدته، كما يشهد بذلك التاريخ أمس، والواقع اليوم؛ ففي كل الأوطان الإسلامية يعيش

غير المسلمين في كرامة وحرية وأمان ؛

على أن القاعدة العامة في معاملة الناس الأقربين والأبعدين كانت ولا تزال :

مَن كان يبغي ودنا ∴ فعلى الكرامة والرحب
أو كان يبغي ذلنا ∴ فله المهانة والحرب

وكم نود أن يكون الاحترام المتبادل أساس العلاقات بين المسلمين وغيرهم ، وأن تجد الجاليات الإسلامية في البلدان الأجنبية احترامًا يماثل الإحترام الذي تتمتع به الجاليات الأخرى في البلاد الإسلامية حتى يتعزز التعاون، ويقوم على العدل والإحسان؛

هذا ، ونناشد من فوق منبر هذا الملتقى جميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها حكومات وشعوبًا وأحزابًا ومنظمات وعلماء ومفكرين ؛ أن يقفوا إلى جانب المضطهدين والمحرومين ، ويعتبروا تحقيق العدالة في جميع مجالاتها هدفًا من الأهداف الإسلامية الكبرى يناضلون في سبيلها ؛ ويجعلوا إسعادهم أحد الواجبات الأساسية ؛ يقومون بها في حماسة ، اعتمادًا على أن المفهوم السليم للاسلام ، إنما هو المفهوم الذي

يَربط الإيمَان بالإحسَان إلى الضّعَفاء، ويعُدّ الإسَاءة إليهم تكذيباً للدّين في جوهره وَصَميمه «أرأيت الذي يكذبُ بالدّين فذلك الذي يَدعّ اليتيم وَلاَيحض على طَعَام المسكين فَويلٌ للمصَلين الذين هُم عَن صَلاَتِهم سَاهُون الذين هم يُرَاءون وَيَمنعُون المَاعُونَ».

مَا أحوَجنا نحن المسلمين اليوم، في فجر القرن الهجري الخامس عشر إلى وضع نظام اقتِصَادي تَسُودُه العَدالة الإسلامية، ويكون الناس في ظله إخوَاناً متعاونين في السَّراء والضرّاء.

وَأختتم كلمتي بشكركم، أيها الإخوة المشاركون في الملتقى أساتذةً وطلبةً، عَلى جُهُودكم، وَعلى روح المسؤولية التي تجلّتْ في محاضراتكم وتعقيبَاتكم وَمناقشاتكم؛ كما أشكر الصّحَافة المكتوبة والناطقة والمرئيّة؛ وأشكر رجَالهَا العَاملين، كُتّاباً ومُصَورين وفنيّينَ، والمترجمين والعمّال والتقنيّين، وجميع الذين سَاعدونا أوشرّفونا بالزّيَارة أو الحضُور؛ دُون أن ننسى التنويه بجهُود الإخوَة وزراء الشؤون الدّينية السّابقين لما كان لهم من فضل على تنظيم هَذه الملتقيات الاسلاميّة بأرضكم

الجزائر . ! !

أيها الاخوة الكرام

إننا إذ نعلن ختام الملتقى الرابع عشر للفكر الاسلامي ؛ فإنه يطيب لنا أن نعلمكم أننا، من الآن، نشرع في الاستعداد للملتقى الخامس عشر، الذي سوف نعلن مكان انعقاده وزمانه في وقت مناسب إن شاء الله .

فإلى اللقاء في ملتقانا القادم والله ولي الإعانة والتوفيق .

توصيات الملتقى
الرابع عشر للفكر الاسلامي

توصيات اللجنة الاولى

فى يومى الخميس والسبت 24 ـ 26 شوال 1400 هـ ـ 6 سبتمبر 1980 م اجتمع أعضاء لجنة النقطة الاولى : « الونشريس قلعة من قلاع العلم والثقافة » المتكونة من السادة :

الرئيس :

السيد المهدى البوعبدلى ،
عضو المجلس الاسلامى الاعلى والمركز الوطنى للدراسات التاريخية

المقرر :

الدكتور يحيى بوعزيز ،
الاستاذ المساعد للتاريخ الحديث والمعاصر ـ بجامعة وهران

الشيخ سليمان داود بن يوسف ،

الاعضاء :

بحاثة فى التاريخ ـ الجزائر ـ

الاستاذ اسماعيل العربى ،
مستشار لدى الشركة الوطنية للنشر والتوزيع وأستاذ بمعهد اللغات الحية ـ جامعة الجزائر ـ

الاستاذ شارل ايمانويل دى فورك ،
أستاذ تاريخ القرون الوسطى بجامعة باريس ، انطير ـ فرنسا ـ

الدكتور الشيخ بو عمران ،
أستاذ فلسفة بجامعة الجزائر

السيد الطيب حديدى ـ طالب جامعى

السيد حسين عجايلية ـ طالب جامعى

السيد يوسف قاسى ـ طالب جامعى

الآنسة فاطمة الزهراء قشى ،
معيدة بجامعة قسنطينة

الآنسة فضيلة قارة مصطفى ،
أستاذة ثانوى

الآنسة أنيسة بن تريدى ،
طالبة جامعية

وناقشوا ما جاء فى المحاضرات والتعقيبات عن منطقة الونشريس ، فلاحظوا أن هناك نقصا وغموضا فى تاريخها ، وحضارتها ، وشخصياتها العلمية ، كما لاحظوا نقصا فى العناية بأماكنها الاثرية ، ومنها : تيهرت ، وقلعة بنى سلامة ، وتاكدمت ٠

لذلك يتقدمون بالتوصيات التالية :

أولا : اهتمام الباحثين ومراكز البحث العلمى بالجزائر ، بدراسة تاريخ المنطقة عبر العصور وبخاصة الاسلامية منها الى نهاية عصر الاتراك وعهد المقاومة المسلحة فى القرن 19 م

ثانيا : استرجاع تراث علماء الونشريس الفكرى والثقافى الذى تسرب الى الخارج أنى يوجد من البلدان الشقيقة والصديقة ٠

ثالثا : الاهتمام بدراسة آثار المنطقة التاريخية والحضارية ، وترميمها وبخاصة : تيهرت ، وقلعة بنى سلامة ، وتاكدمت ٠ والسعي من أجل اقامة متحف تاريخى فى أكبر مدن المنطقة لحفظ وعرض ما بقي من التحف الاثرية التى ستكتشف فى المستقبل ٠

رابعا : تشجيع الباحثين على وضع معجم تاريخى لعلماء المنطقة ، وانتاجهم الفكرى والثقافى ٠

خامسا : العمل على ارجاع الاسماء التاريخية لقرى المنطقة ، والحفاظ على ما بقى فيها ، على ألا تتعارض مع تقاليدنا الاسلامية عقيدة وحضارة ٠ أما الاسماء التى تتعارض مع ذلك فينبغى تغييرها حتى ولو كانت قديمة ٠

بسم الله الرحمن الرحيم

توصيات اللجنة الثانية الخاصة بنقطة :

الاسلام والمذاهب الاجتماعية

في يوم السبت 6 سبتمبر 1980 الموافق لـ 26 شوال 1400 هـ ، والاحد 7 سبتمبر 1980 الموافق لـ 27 شوال 1400 هـ ، اجتمعت اللجنة الثانية المتعلقة بالنقطة الثانية (الاسلام والمذاهب الاجتماعية الحديثة) ، والمتكونة من الاساتذة :

الرئيس :

د. محمد مبارك ،

الاستاذ المستشار بجامعة الملك عبد العزيز ـ مكة المكرمة

المقرر :

د. عمار طالبي ،

أستاذ فلسفة بجامعة الجزائر

الاعضاء :

القاسم البيهقي :

مدير التعليم العربي في النيجر

خليفة بابكر الحسن :

رئيس قسم التربية الاسلامية ـ جامعة الخرطوم

محفوظ سماتي :

أستاذ علم الاجتماع ـ جامعة الجزائر

عبد الرزاق قسوم :

أستاذ فلسفة ـ معهد العلوم الاجتماعية ـ جامعة الجزائر

أحمد زردومي :

طالب في قسم علم الاجتماع ـ جامعة قسنطينة ـ

العماري فوزية :

طالبة في معهد الصناعات الخفيفة في الهندسة الميكانيكية

بوطبة زكية :

ملحقة بالبحوث المكتبية بالمكتبة الجامعية بقسنطينة

يشور خيرة :

ليسانس أدب عربي ـ جامعة وهران

عبد القادر حجار :

عضو اللجنة المركزية ورئيس لجنة التعليم العالي

ابراهيم زيد الكيلاني :

أستاذ الشريعة بالجامعة الاردنية ـ عمان ـ الاردن

محمد عبد القادر :

أستاذ فى الجمهورية العربية الصحراوية الديمقراطية

ابراهيم الاسيوطى :

أستاذ جغرافيا بمعهد علوم الارض ـ جامعة هوارى بومدين ـ والمدير العام لمجمع اللغة العربية بالقاهرة

سعيد بن عيسى :

أستاذ بجامعة الجزائر

أعراب بلقاسم :

طالب فى قسم الماجستير ـ جامعة الجزائر

محمد فارح :

مستشار تقنى برئاسة الجمهورية والامانة العامة للحكومة

خالد مكى :

طالب بجامعة الجزائر

خليل القاسمى :

أستاذ بالجزائر

وقد انتهت الى ما يلى :

ان العالم الاسلامى مقبل على بناء نفسه بناء جيدا مستمدا من الاسلام الذى يؤمن به ، يشمل تصوره وأسسه الفكرية ونظمه وتشريعاته ومؤسساته ودوله ، وهو مدرك أنه قد وقع خلال حقبة طويلة تحت تاثير الحضارة الغربية بفلسفاتها ومفاهيمها الاجتماعية ومذاهبها ونظمها وتشريعاتها الاقتصادية والسياسية والتربوية تاثيرا يغلب عليه التقليد والانقياد والتبعية والاخذ بسلبيات تلك الحضارة وايجابياتها بخيرها وشرها ، لذلك فان التفكير الاسلامى فى العالم اليوم ولدى جميع الشعوب الاسلامية منطلق من ايمانه هذا ، عازم على ارساء نهضته وتأسيس كيانه وحضارته على أساس الاسلام ، وعلى اعادة النظر فى جميع ما مر به من مراحل التاثير بالفكر الغربى والحضارة الغربية ومن جميع التيارات والمذاهب الفكرية من عقلانية وواقعية ووضعية ومادية وغيرها ، والاجتماعية من وطنية اقليمية وقومية مغلقة متعصبة وغيرها ٠ ومن هذه المنطلقات يوصى المؤتمرون :

ـ بأن يكون التوجيه العام فى المجتمع اسلاميا مستهدفا بناء الشخصية الاسلامية للامة ، محافظا على مقوماتها الاساسية الحضارية ٠ عقيدة وقيما

ـ وأن تلتزم أجهزة التوجيه فى البلاد الاسلامية المتمثلة فى وزارة التربية والتعليم ووزارة الاعلام ووزارة الاوقاف والشؤون الدينية بسياسة توجيهية واحدة يجمعها فى كل قطر مجلس للتوجيه العام المنبثق عن الاسلام عقيدة ونظام حياة حتى لا يهدم جهاز ما يبنيه الآخر ٠

ـ أن تراعى أجهزة التوجيه والاعلام فى البلاد الاسلامية فى برامجهـــا ألا تكون منافية للاسلام وأخلاقياته ٠

ـ تسهيل استيراد الكتاب الاسلامى ونشره وتوزيعه على نطـاق واســع واقامة معارض له ، وتشجيع أبناء الامة على دراسته ٠

ـ أن تستمد الحكومات الاسلاميـــة قوانينها من الفقه الاسلامى بمعنــــاه الشامل الذى ينتفع بالمذاهب الاسلامية جميعـهــا ٠

ـ أن تدرس الثقافة الاسلاميـــة فى الجامعات والبلاد الاسلامية ، وتعتبـر مادة اجبارية ليتعرف الطلاب عـــلى مقومـــات شخصيتهـم الاسلامـــية ، وتساعدهم فى بناء ، هذه الشخصيـــة وعرضها جميعـا فى ضـوء معاييـــر الاسلام للابقاء على ما يقبله الاسلام ، ونفي ما يرفضه مما سرى فيه الزيـف وعدم الصحة أو الضـــرر بالنسـبـة لتطلعاته الانسانية العامة ، وأبعــــاده الزمنية غير المحدودة ثقة بأن مصـــدر حقائقه وأحكامه هو الله فاطر السموات والارض ، وخالق الانسان والكـون ، « **ألا يعلم من خلق هو اللطيف الخبير** » ٠

حيثما تدرس المذاهب الاجتماعيـــة المنافية للاسلام كالماركسية فتدرس على أساس نقدى ليكشف عجز هذه المذاهب وبطلانها ، كما يبين عدالة الاسلام فى حل مشكلات البشرية واسعادها ٠

ـ تعميق دراسة الاسلام فى الكليات الانسانية فى الجامعات الاسلامية حتى تصاغ العلوم الانسانية بجميع فروعها الاجتماعية والحقوقية صياغة منطلقـة من الاسلام بعقائده ومبادئه ومفاهيمه ٠

ـ ربط الصلة العلمية والتعاون بين الكليات الانسانية وكليات الشريعة فى الجامعات الاسلامية ، حتى يكون مـــن هذا التعاون الثمرة المرجوة من تقديـم الدراسات الاجتماعية والحلول المناسبة التى تجمع بين الاصالة والمعاصرة ٠

ـ أن تدرس الحقـوق الاسلاميـــة (التشريع والفقه) فى كليات الحقـوق والقانون ، بتوسع يصل رجال القانون بكنوز أمتهم الفقهية والقانونية ويساعدهم على تطبيق الشريعـة الاسلامـيـة فى بلادهم وتحريرها من القوانين الاجنبية ٠

ـ ريثما تتكون كليـــات اقتصـــاد وتجارة وعلوم سياسية وحقوق عـلى الاساس الاسـلامى كامـلا ، توســع الدراسات الاسلامية المناسبة بكل كلية من هذه الكليات ٠

ـ أن تتبنى وزارة الشؤون الاسلامية فى كل قطر اسلامى تشكيل لجنة مهمتها القيام بدراسات وبحوث متخصصة فى مجالات تطبيق الاســلام فى ميـاديـن الاقتصاد والتجارة والمعاملات والتربية وأنظمة الحكم حتى تخدم هذه الدراسات التعريف بالاسلام على مستوى العصر وقدرته على الحكم والتطبيق واسعـاد البشريـــة ٠

– تأكيد معنى « الامة الاسلامية » المؤلفة من جميع المسلمين أفرادا وشعوبا وعلى الرابطة الاسلامية بين أفراد كل شعب وأفراد جميع الشعوب الاسلامية على اختلاف أنتماءاتهم القومية ·

– اثبات الاصالة الاسلامية بالتوصل الى تصور صحيح لاسلام متحرر من المذاهب الوافدة واحياء المصطلحات الاسلامية وتحديد المصطلحات التى توضع على أساس المفاهيم الاسلامية ،

تشجيع التعاون العلمى والثقافى بين البلاد الاسلامية فيما بينها وبين البلاد الاسلامية وغير الاسلامية تعاونا فنيا خالصا لا تشوبه شائبة ايديولوجية منافية للاسلام ، وخاصة العلوم الانسانية ·

بســـم اللـه الرحمن الرحيـــم

توصيات لجنـــة النقطـة الثالثـة

« آفاق الدعوة الاسلامية فى القرن الخامس عشر الهجرى »

اجتمعت اللجنة الثالثـــة – يـومي السبت والاحد 26 و 27 شوال 1400 هـ (7/06/سبتمبر 1980 م ، والمتكونـــة من الســـادة :

الرئـيس :

الدكتـور محمـد الغزالى

المقـــرر :

الدكتـور معروف الدوالبى

الاعضـــاء :

د. محمد سعيد رمضان البوطى

الاستاذ طيار آلتى كولاج

الاستاذ خير الدين قرة مان

الدكتور محمود أحمد غازى

الدكتور خليفة بابكر حسن

الدكتور جعفر شهيدى

الدكتور أحمد بن نعمـان

الاستاذ الهادى خسرو شاهى

الدكتور داود كاون

الاستاذ سعيد بن عيسى

الاستاذ عبد اللطيف عبادة

الاستاذ مصطفى خياطى

الاستاذ على مغربى

الدكتور مصطفى خيـاطى

الاستاذ سليم كلالشة

الآنسة فاطمة الزهراء بن قادة (طالبة)

الآنسة فطومة قسوم (طالبـة)

الآنسة خديجة باعلى الشريف (طالبة)

السيد على ربيع (طالب)

السيد بلقاسم لونيس (طالـب)

وبعد أن استعرض المجتمعون كلمات المحاضرين وتعقيبات المعقبين واستمعت الى اقتراحات أصحابهـا ، وبـعـد أن تداول أعضاؤها حول أهمية الدعـــوة الاسلامية فى هذا العصر ، أقرت اللجنة التوصيات التالية :

أولا : فى نطاق الاعلام وأجهزته :

أ – تجنيد وسائل الاعلام المختلفة عموما فى سبيل الدعوة الاسلامية وذلك بفسح المجال واسعا أمام البرامج الثقافية الاسلامية التى تبصر المسلمين بحقيقـة الاسلام بعيدا عن الخرافات والاباطيل ،

وبتطهير برامج هذه الاجهزة من شوائب الاشكال الدخيلة ومن العبث والمجون · والحرص على ألا تظهر المرأة على شاشة التلفزيون ونحوها الا متحلية بأداب الحشمة ·

ب ـ تشكل لجنة مؤلفة في كل دولة اسلامية من كل وزارات الشؤون الدينية والاعلام والتربية ، قوامها رجال أخلصوا لله في اسلامهم يملكون زادا جيدا من الثقافة والوعي الاسلامي ، يعهد اليها الاشراف على سائر النوافذ الاعلامية الى الشعب · أفلام سينمائية واذاعة وتلفزة وصحافة · كي لا يتسرب اليها السوء والدس ، على أن تعطى هذه اللجنة صلاحيات تامة في هذا الصدد ·

جـ ـ تنقية موظفي أجهزة الاعلام المختلفة من أولى الاتجاهات الهدامة ، والافكار الدخيلة ، وحشد الطاقات الاسلامية الواعية لتسيير هذا الجهاز ·

د ـ السعي على مستوى التعاون بين الدول والحكومات الاسلامية من أجل التنسيق بين أجهزة الاعلام لديها ـ سواء العربية منها وغير العربية ـ بحيث نتعاون لتقديم زاد ثقافي اسلامي موحد لشعوب العالم الاسلامي تتساقط واسطة الفوارق الدخيلة والحواجز المذهبية التي تعكر السبيل الى تحقيق الوحدة الاسلامية المسلمة ·

هـ ـ الاعتماد على وسائل الاعلام المختلفة ، وبالجهود المتناسقة (بين الدول الاسلامية المخلصة لدينها) لتأكيد عالمية الدعوة الاسلامية ودعم الحركات الاسلامية المنتشرة في مختلف بقاع الارض ، ورفدها بأسباب القوة والنجاح ·

ثانيا : في نطاق الثقافة الاسلامية

أ ـ بما أن الكتاب الاسلامي هو المصدر الاول للثقافة الاسلامية فاذا فقد الكتاب الاسلامي ، أو شح وجوده بين فئة م نالناس استحال أن تتكون لهم أي ثقافة اسلامية أو فكر اسلامي أصيل ، وتهاوا بسبب ذلك لتقبل الخرافات والافكار الضالة الدخيلة ·

ـ لذا فاننا نوصي بالحاح أن تيسر سبل وصول الكتب الاسلامي الى الشباب المسلم والا يعامل معاملة البضائع العادية بل يعفى من الضرائب الجمركية حتى لا يرتفع ثمنه فيعجز عن شرائه الطلبة · وأن يعالج هذا الامر معالجة فورية جادة ، مع العلم بأن هذه الوصية قد تكررت خلال عدة ملتقيات سابقة ·

ب ـ انشاء دور نشر اسلامي تيسر وضع الكتاب الاسلامي بن يدى الجيل المسلم عن طريق الطباعة عندما لا يتيسر الاستراد لسبب أو لآخر ·

3 ـ تكوين لجنة م نكبار العلماء والمفكرين الاسلاميين ، على مستوى كل قطر اسلامي تكون مهمتها اعادة النظر في جميع الكتب الثقافية والعلمية النظرية منها والتطبيقية ولذك لتنقيتها

من الضلالات والشبه التى طالما ألبسها كثير من محترفى الغزو العسكرى لباس الحقاق العلمية ، وجعلوا منها أسلحة كيد ضد الاسلام وعقائده القائمة فى كل عصر على أقوى دعائم العلم واليقين · أو ابعادها عن نطاق التداول ·

د ـ العمل على تنظيم مواسم ثقافية مبرمجة تقام فيها المحاضرات العلمية المركزة فى مختلف البلدان والولايات ، وذلك ابتغاء دعم الثقافة الاسلامية بالمرشدين والموجلين ، ريثما يتحقق الاكتساء الذاتى فى صفوف المسلمين بالنسبة للمرشدين والعلماء الاكفاء ، على أن يستدعى لالقائ هذه المحاضرات علماء متخصصون يتمتعون بتقوى الله والاخلاص لدينه ·

هـ ـ يلاحظ فى نطاق الثقافة الاسلامية أن الترجمات المتنوعة للقرآن ، وباللغات المختلفة قد تكاثرت أخيرا فى مختلف بقاع العالم الغربى · ولاد أن نلفت النظر هنا ، الى أن هذه الترجمات مهما دقت ، فانها لا يجوز أن تسمى قرآنا ، هذا بالاضافة الى أنها تأتى فى الاغلب ترجمات مشوهة ومحرفة ـ بل منكسة فى كثير من الاحيان ـ لحقائق القرآن وحصانته الثابتة ·

لذا لابد من أن نأخذ بعين الاعتبار أن ترجمة القرآن لا يمكن أن ترقى الى درجة التعبير عن معانى القرآن الحقيقية ، وانما هي فى أحسن الاحوال ترجمة لمعانى القرآن ولابد من أن نلفت النظر الى ضرورة أخذ الحذر عند محاولة الافادة من هذه التراجم المختلفة ·

ثالثا : فى نطاق المسجد ووظيفته :

أ ـ تنظيم برامج توجيهية فى نطاق التثقيف والتربية الاسلامية ، فى المساجد ، تشرف عليها لجان ذات اختصاص ودراية ، بحيث تجذب هذه البرامج الى المسجد الناشئة على اختلاف أصنافهم ومستوياتهم الثقافية ، وبحيث تعاد الى المسجد وظيفته الاصيلة، اذ كان ولا يزال هو المصدر الاول للعلوم والثقافة الاسلامية ·

ب ـ انشاء مكتبة فى كل مسجد تحوى أهم الكتب الاسلامية العلمية منها والفكرية ، ويلاحظ أن تكون سليمة فى مستوى الحاجات التى يشعر بها الشاب المسلم ·

جـ ـ ضرورة الاخذ بعين الاعتبار ان المسجد يجب أن تكون أبوابه مفتوحة أمام كل من الرجال والنساء ، ولذا فلابد عند انشاء المساجد تنظيم مكان رئيسى مناسب للمرأة المسلمة ، يتسنى لها أن تمارس فيه العبادة وأسبابها والاشتراك فى التزود بالثقافة والعلوم الاسلامية بكل سهولة ويسر ·

د ـ نوصى وزارات الاوقاف والشؤون الدينية فى سائر البلاد الاسلامية المختلفة ، أن ترفع المستوى المادى

والادبى للقائمين على أمر المساجد من أئمة وخطباء ووعاظ ، الى المكانة اللائقة ، بحيث يكون من ذلك خير عون لهم على التفرغ للقيام بهذه المهمة الخطيرة التى يتحملون أعباءها . كما نوصى بأن تنتقى هؤلاء القائمين على أمر المساجد (لا سيما الخطباء والمرشدين منهم من العلماء المشهود لهم بسعة الافق وصدق الايمان .

رابعا : فيما يتعلق بالمرأة المسلمة :

أ ـ نظرا الى أن المرأة فى ميزان الاعتبار الاسلامى تمثل أخطر شطرى المجتمع الاسلامى ولا تقل أهمية على الرجل ، حيث ما قد عهد اليها بمسؤوليات ومهام أساسية ، فاننا نوصى بأن تولى الدولة فى سائر مرافقها ومؤسساتها عناية خاصة بالمرأة بحيث تفسح لها المجال واسعا وتعينها بالسبل المختلفة على أداء رسالتها ، سواء فيما يتعلق بمظهرها أو بسلوكها ونشاطاتها ، أو بالمرافق التى يجب أن تتبوأ مكانتها فيها ، بكل حرية وتقدير وتشجيع .

ب ـ وعلى هذا الاساس فاننا نوصى بأن يفسح للمرأة مجال واسع فى أجهزة الاعلام المختلفة ، بحيث تمكن من أن تؤدى رسالتها الارشادية التثقيفية لاخواتها ، فى حقل التلفزيون والاذاعة والصحفة . وأن نجعل من ظهور المرأة على شاشة التلفزيون نموذجا للمظهر الاسلامى الذى يجب أن تتحلى به المرأة ، والفكر الاسلامى الذى يجب أن يشيع فى حياتها . لا أن نجعل من ظهورها على هذه الشاشة دعوة الى المجون والبعد عن الآداب الاسلامية التى ارتضاها لنا الله عز وجل .

جـ ـ تكوين جو من التقدير والتشجيع للمرأة المسلمة المتحجبة ، وفى كل من المدرسة (سواء كانت متعلمة أو معلمة) وفى سائر المؤسسات الاخرى التى قد يكون لها وجود ونشاط فيها كالمستشفيات ، ونحوها وذلك بدلا مما يمعن فيه محترفوا الغزو الفكرى من تشجيع مظاهر العرى والتهتك ، واشاعة أسباب السخرية والانتقاص من المرأة المسلمة المعتزة بمظهرها الاسلامى .

خامسا : فيما يتعلق بالتربية ومناهجها :

نظرا الى ان جهاز التربية فى كل دولة هو المقود الحساس الموجه لاقطار الامة والمحدد لاتجاهاتها فقد كان ولا يزال من لهم دعائم .

الدعوة الاسلامية ومن أقوى أسباب الوعي الاسلامى الذى من شأنه أن ينفى عن الاذهان حيث التشويه والضلالات المختلفة لذا نوصى بـ :

أ ـ التنسيق بين منهاج المواد العلمية المختلفة التى يتلقاها الطلاب فى مدارسهم فى المراحل المختلفة ، واخضاعها جميعا للرقابة الاسلامية

الواعية ، وبتنقيها من عبث التناقض والتشاكس القائم بين المواد التدريسية التى يتلقاها التلميذ ·

ب ـ ابعاد كل من يتخذ مهمة التربية والتعلم مطية لبث أسباب الزيغ فى نفوس الناشئة المسلمة ، عن هذا الحقل الخطير ، وانشاء جهاز رقابة فعال فى هذا الصدد ·

جـ ـ رفع مستوى الكتب التى تتضمن مادة التربية الاسلامية من الناحية العلمية والمنهجية بأن يعهد تاليفها الى ثلة من العلماء المتخصصين الاكفاء ·

سادسا : فيما يتعلق بالدولة :

نظرا الى أن الدولة هي الجهاز الاول فىهذه التوصيات روح التنفيذ والحياة المحرك للامة ، فهي التى تملك أن تبث ان شاءت وان تجعلها حبرا على ورق ان شاءت ، وبما أن الدولة تمثل فى كل وقت خلجات الامة وتطلعاتها واهدافها، فلابد أن تثبت هنا التوصيات التالية :

أ ـ القيام بالمسؤولية الاسلامية العظمى التى أناطها الله فى اعناق القادة والمسؤولين عن حماية الامة الاسلامية ، تجاه البقاع الاسلامية المقدسة والعزيزة علينا ، مما وقع فى براثن البغى والعدوان العالمى كالقدس وما حولها ، وغيرها من البلدان الاسلامية فى الشرق وفى الغرب والسعي بكل الاسباب والوسائل الممكنة لتحريرها من أغلال الذل والهوان من أجل تخليص هذه البقاع العزيزة من النكبات التى حلت بها ، ومن أجل اعادتها الى حمى الرعاية الاسلامية الواعية ·

ب ـ اتخاذ الوسائل المختلفة وعلى سائر المستويات لضبط الطاقات السياسية بضوابط الاسلام ولتذكير القادة جميعا على مستوى العالم العربى والاسلامى أجمع بمسؤولية الدعوة الاسلامية ، فى أعناقهم ، ولان يتخذوا من السياسة ونشاطاتها مهما اختلفت خادما أمينا من أجل اقامة شرع الله على هذه الارض ·

جـ ـ أن ينبثق منها جهاز رقابة يراقب بدقة مدى تناسق أجهزة الدولة والقائمين عليها لتحقيق هذا الهدف ، والقضاء على كل تشاكس قد يظهر هنا أو هناك ، حتى تظل مرافق الدولة متجهة فى تعاون وتساند نحو الهدف الاسلامى المنشود ·

د ـ تكوين لجنة مهمتها متابعة هذه التوصيات ، والسعي الى نقلها من مجالها النظرى الى ساحة التنفيذ والتحقيق ·

وأخيرا فان لجنة هذه النقطة الثالثة تتقدم الى حكومة الجمهورية الجزائرية وعلى رأسها رئيسها المؤمن المجاهد فخامة الاخ شاذلى بن جديد بالشكر القلبى الصادق على ما اتخذته من خطوات بناءة ايجابية نحو السعي الى اقامة مجتمع اسلامى فى هذا البلد الاسلامى

العريق ، كما نشكرها على ما أصدرته من اللوائح والقرارات النهائية الــتى تتضمن انشاء جامعة اسلامية تكون منار علم وهدى لا للجيل الاسلامى فى هــذا البلد فقط بل فى سائر البلاد الاسلامية المحيطة ، وتكون معقلا عظيما لترسيــخ الحقائــق الاسلاميــة التى لا يأتيهـــا الباطل من بين يديها ولا من خلفهـــا ، ضد كل الدسائس الفكرية والنفسيـــة التى لا يزال يقوم ويقعد بها أعداء هذا الدين الاسلامى القويم ٠

والله ولي كل هداية وتوفيق

توصيات لجنة النقطة الرابعة

اجتمعت لجنة فلسفة التربية فى الاسلام ، يومى السبت والاحد 26 و 27 شوال 1400 هـ الموافق لـ 07/06 سبتمبر 1980 م والمتكونة من السادة :

الرئيس : الدكتور عمر موسى باشا

المقرر : السيد محمد حسن فضلاء

الاعضاء :

السيد : بابا عبدو رحيمى برايماه

الاستاذ : حاج سليمان تشانغ بينغ دو

الاستاذ : أحمد فرقاق

الاستاذ الحاج بوخاتم

الاستاذ أحمد شرقاوى

الاستاذ عبد القادر خياطى

الاستاذ : جلالى تكوك

السيد مصطفى ابراهيمى (طالب)

السيد خديجة خيضر (طالب)

السيد على رميتة (طالب)

الآنسة حميدة بن قادة (طالبة)

الآنسة صبرينة بطاش (طالبة)

وقد استعرضت اللجنة الوضع التربوى العام فى العالم الاسلامى بشكل عام ، ولاحظت ما يلى :

1 ـ لفت نظرها عدم الاهتمام بشكل عام فى تطبق مبادىء التربية الاسلامية فى المدارس على اختلاف درجاتها العلمية ، وأدى هذا الامر الى ظهور جيل من الشباب بعيد كل البعد عن القيم الاسلامية السمحة .

2 ـ انعدام الخطة التطبيقية التى تكفل بانشاء جيل متمسك بأهداب الشريعة الاسلامية ، ولذلك انتشرت فى المجتمعات الاسلامية تيارات غربية أدت الى وجود فراغ ثقافى كبير أفسح المجال أمام الانحرافات الاجتماعية والخلقية والعقائدية .

3 ـ لاحظت اللجنة عدم اهتمام البرامج التعليمية بوضع خطة موحدة لتعليم الدين الاسلامى ، فالكتب غير متوفرة بشكل عام ، والدراسات العلمية الاسلامية تكاد تكون منعدمة .

4 ـ لاحظت اللجنة عدم تشجيع البحوث والدراسات الاسلامية فى المؤسسات

الثقافية والاجتماعية والسياسية وعدم توفر الوسائل لها ، مما أدى بالتالي الى عدم الاهتمام بكل ما له علاقة بالاسلام ·

5 ــ لوحظ أن وسائل الاعلام على اختلاف أنواعها اذاعة وتلفزة وصحافة وأفلاما واعلاما لا تخدم التربية الاسلامية ولا تنشىء الانسان الصالح ·

وبناء على ما تقدم فان الملتقى يوصى بما يلى :

أولا : وجوب الاعتماد فى التربية على الدين ، وتدرب الاطفال على تطبيق عبادته قبل سن العاشرة ، ومبادئه منذ الصغر ·

ثانيا : تأليف كتب تربوية مبسطة يتعلم فيها الطفل المبادىء الاولى فى الدين وفى الاخلاق منذ صغره ·

ثالثا : استمرار التربية الدينية والخلقية المعتمدة على القرآن والسنة والآداب الاسلامية منذ المرحلة الابتدائية حتى التعليم العالى ، وأن تكون مادة أساسية واجبارية لها أثر فى الفوز والتفوق ، وفى الرسوب ·

رابعا : تشجيع تعليم القرآن ، واحداث مدارس لتحفيظه ولتعليم الحديث وشرحه ، وتزويد هذه المدارس بمكتبات خاصة ، كما توصى باحداث مكتبات عامة فى سائر المؤسسات العلمية والتربوية ·

خامسا : ضرورة تكوين الدعاة والمرشدين الاكفاء الملتزمين لنشر الفكر الاسلامى فى المجتمعات المختلفة ، واعطاء الصورة المثلى عن الدين الحنيف ·

سادسا : تكوين المعلمين المختصين فى سائر المراحل التعليمية لتدريس العلوم الاسلامية على أسس تربوية صحيحة مستقاة من الكتاب والسنة يستطيعون من خلالها انشاء جيل جديد مؤمن بالقيم الاسلامية مطبق لها ·

سابعا اعادة النظر فى المناهج التربوية والتعليمية فى سائر المراحل على أسس اسلامية كفيلة باعطاء الفكر الاسلامى الصحيح ·

ثامنا : ضرورة تخصيص مساجد فى المؤسسات الاجتماعية والتعليمية والتربوية على اختلاف درجاتها ، بالاضافة الى الاحياء الجامعية ·

تاسعا : الاهتمام بتوجيه وسائل الاعلام وجهة اسلامية صحيحة كفيلة بتكوين الناشئة على المبادىء القويمة البعيدة عن الانحرافات الخلقية لتأثير التيارات الهدامة والغزو الفكرى ·

عاشرا : يوصى الملتقى باشراف الآباء بأنفسهم على تربية أبنائهم ، ومراقبة الافلام المعروضة فى التلفزة أو دور العرض ومنعهم من مشاهدتها ·

حادى عشر : يوصى الملتقى وزارات الاعلام فى الدول الاسلامية بالاكثـــار من الحصص الدينية فى مختلف أجهزة الاعلام على اختلافها شكلا ومضمونا وربطها بواقع المجتمعات الاسلامية ·

جـ ـ ضرورة اهتمام الصحافـــة بنشر الوعي الدينى ، ونشـر أخبـــار العالم الاسلامى كله ليكون المسلمـــون على اتصال فيما بينهم ·

ثانى عشـر : ويوصى بلفت النظـر الى الاخطار التى تتولد عن الاختـــلاط بين الجنسية وما يترتب عليها من آثار سيئة على شبابنا المدرسى والرياضى ·